

الباب الثاني

خصائص الشيطان
في القرآن



خصائص الشيطان في القرآن

وأعني بهذا الاسم أن كل اسم ورد ذكره في القرآن من الأسماء الخمسة المذكورة، وبيان كيده، وطرق محاربه للإنسان، والوسائل والآلات والمعدات، والجنود، والحرب النفسية والعصبية التي يستخدمها الشيطان مع الإنسان، ولم أذكر في هذا الباب كل الأسلحة التي استخدمها لأن بقية الأسلحة جاءت في السنة كما لم أذكر الوسائل التي يتقى بها الإنسان هذا الكيد، والحصون التي يتحصن بها من الشيطان، لأن هذا باباً آخر في الكتاب منفصلاً.

أولاً: الشيطان في القرآن



(1)



إيقاع الإنسان في الذل والإزالة

قال تعالى: ﴿فَأَزَلُّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ [البقرة: 36]

قال القرطبي - رحمه الله - (1/ 290-291):

قوله تعالى: (فأزلهما) قرأ الجماعة "فأزلهما" بغير ألف، من الزلة وهي الخطيئة، أي استزلها وأوقعها فيها.

وقرأ حمزة "فأزلهما"⁽¹⁾ بالف، من التَّنْحِيَةِ، أي: نَحَّاهُما، يقال: أزلته فزال.

قال ابن كيسان؛ فأزلها من الزوال أي: صرفها عما كانا عليه من الطاعة إلى المعصية.

قلت؛ وعلى هذا تكون القراءتان بمعنى، إلا أن قراءة الجماعة أمكن في المعنى، يقال منه: أزلتته فزل، وذلك على هذا قوله تعالى ﴿أَسْزَلَهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ [آل عمران: 155]. قال: الوسوسة إنما هي إدخالها في الزلل بالمعصية، وليس للشيطان قدرة على زوال أحد من مكان إلى مكان إنما قدرته على إدخاله في الزلل، فيكون ذلك سبباً إلى زواله من مكان إلى مكان بذنبه وقد قيل: إن معنى أزلها من زلَّ عن المكان إذا تنحى، فيكون في المعنى كقراءة حمزة من الزوال.

قال امرؤ القيس:

يُزَلُّ الغلامُ الخِفَّ عن صَهَوَاتِهِ وَيُلَوِي بِأَثْوَابِ العَيْنِيفِ المَثَقَلِّ

وقال أيضاً:

كَمَا زَلَّتْ الصَّفْوَاءُ بِالمَنْزَلِ كُمَيْتِ يُزَلُّ اللَّبْدُ عن حالِ مَتْنِهِ

قال القرطبي:

(فأخرجهما مما كانا فيه) إذ جعل أزال من زال عن المكان فقوله: (فأخرجهما) تأكيد وبيان للزوال، إذ يمكن أن يزولا عن مكان كانا فيه إلى مكان آخر من الجنة، وليس كذلك وإنما كان إخراجها من الجنة إلى الأرض، لأنها خلقت منها، وليكون آدم أول

(1) قراءة سبعية متواتر - انظر تقريب النشر (ص 91).

خليفة في الأرض، ولم يقصد إبليس - لعنه الله - إخراجها منها وإنما قصد إسقاطه من مرتبته وإبعاده كما أبعد هو، فلم يبلغ مقصده ولا أدرك مراده، بل ازداد سُخْنَةً⁽¹⁾ عين وغيظ نفس، وخيبة ظن.

قال في "اللسان".

"إِذَا زَلَّتْ قَدَمُهُ قِيلَ: زَلَّ. وَإِذَا زَلَّ فِي مَقَالٍ أَوْ نَحْوِهِ قِيلَ: زَلَّ زَلَّةً، وَفِي الْخَطِيئَةِ وَنَحْوِهَا.

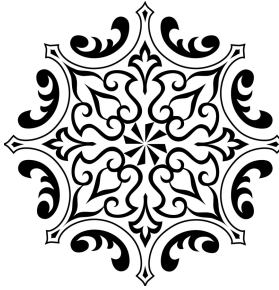
وزَلَّ في رأيه ودينه يَزُلُّ زَلًّا وَزُلُولًا وَزَلِيلِي تُمُدُّ وَتَقْصُرُ.

عن اللحياني، وأزله هو واستزله غيره، وكذلك زل في المنزلة، وأزل فلان فلاناً عن مكانه إزلالاً وأزاله وقرئ: (فأزلهما الشيطان عنها) وقرئ: "فأزلهما".

(فأزلهما) أي: فنحاهما، وقيل: أزلهما الشيطان أي: كسبهما الزلّة⁽²⁾.

فالمعنى: أن الشيطان أكسبهم الذل كما أزلهما: نحاهم عن المكانة فيكون هذا من خصائصه أن يستنزل العبد بالمعصية، أي يجعله زليل، وهكذا كل صاحب ذنب تجده مزلولاً بسبب ذنبه.

كما أن إزالة العبد من مكانته العلمية أو الإيمانية من خصائص الشيطان، بل هي أهم الخصائص، لأن الإنسان هو سبب تنحيته عن مكانه وسبب طرده من السماء، ولعنه، فتربص بالعبد كي يزحزحه عن إيمانه ودينه، فإن نحاه عن مكانته إلى مكانه أقل، فعل، وإن نحاه عن دينه بالكلية فهذا غاية المراد.



(1) سُخْنَةُ الْعَيْنِ: ضِدُّ قِرَةِ الْعَيْنِ وَسُخُونَةُ الْعَيْنِ بَكَاءُهَا.

(2) اللسان مادة (زلل).

(2)



خطوات الشيطان

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوًا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: 168]

والنهي عن اتباع خطوات الشيطان ورد في عدة مواطن منها هذا الموطن وفي نفس السورة برقم [208] قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: 208]

والموطن الثالث قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُّوًا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [الأنعام: 142]

والموطن الرابع ويعتبر أوضح وأبين المواطن في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوبَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: 21]

فهذه هي المواطن الخمس التي ذكر فيها خطوات الشيطان.

أما الموطن الأول فقال القرطبي (603/1): قوله (حلالا طيبا) سُمى الحلال حلالا لانحلال عقد الحظر عنه.

قال سهل بن عبد الله: النجاة من ثلاثة: أكل الحلال ، وأداء الفرائض والاعتداء بالنبي ﷺ .

وقال أبو عبد الله السَّاجِيُّ واسمه سعيد بن يزيد: " خمسُ خصالٍ بها تمام العلم وهي: معرفة الله عز وجل ومعرفة الحق، وإخلاص العمل لله، والعمل على السنة، وأكل الحلال، فإن فقدت واحدة لم يُرفع العمل".

قال سهل: ولا يصح أكل الحلال إلا بالعلم، ولا يكون المال حلالاً ، حتى يصفو من ستِّ خصال: "الربا والحرام والسُّحت والغلول والمكروه والشُّبهة".

ثم قال القرطبي: قوله (ولا تتبعوا) نهى (خطوات الشيطان) (خطوات) جمع خطوة، وخطوة بمعنى واحد.

قال الصَّراء: الخَطُوات جمع خطوة، بالفتح، وخطوة (باضم) ما بين القدمين. وقال الجوهري: وجمع القلَّة خَطُوات وخطُوات وخطَوات، الكثير خطأً والخطُوة (بالفتح) المرة الواحدة، والجمع خَطُوات (بالتحريك) وخطاء، مثل: رَكُوة وركاء. قال امرؤ القيس:

لها وثباتُ كوكبِ الظِّباءِ فوادٍ خطاءٌ ووادٍ مَطَرٌ

والمعنى: ولا تقفوا أثر الشيطان وعمله، وما لم يرد به الشرع فهو منسوب إلى الشيطان.

قال ابن عباس: (خطوات الشيطان) أعماله.

وقال مجاهد: خطاياهم.

وقال السُّدي: طاعته.

وقال أبو مجلز: هي الذنور في المعاصي

قال القرطبي: والصحيح أن اللفظ عام في كل ما عدا السنن والشرائع من البدع والمعاصي.

قال ابن كثير (434/1):

"لما بين تعالى أنه لا إله إلا هو، وأنه المستقل بالخلق، شرع يبين أنه الرزاق لجميع خلقه، فذكر ذلك في مقام الإمتنان أنه أباح لهم أن يأكلوا مما في الأرض في حال كونه حلالاً من الله طيباً، أي: مستطاباً في نفسه غير ضار للأبدان ولا للعقول ونهاهم عن اتباع خطوات الشيطان وهي: طرائقه ومسالكه فيما أضل أتباعه فيه من تحريم البحائر والسوائب والوصائل ونحوها مما كان زينته لهم في جاهليتهم، كما في حديث عياض بن حمار الذي في "صحيح مسلم" (4/63/2197)، عن رسول الله ﷺ أنه قال: "يقول الله تعالى: (إن كل ما أمنحه عبادي فهو حلال) وفيه: "وإني خلقت عبادي حُنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم".

ثم حكى ابن كثير الأقوال التي ذكرها القرطبي وذكر أقوالاً أخرى توسع فيها عن معنى الخطوات فنقل عن عكرمة أنه قال: "خطوات الشيطان نزغاته".
قال الشعبي: "نذر رجل أن ينحر ابنه فأفتاه مسروق بذبح كبش. وقال "هذا من خطوات الشيطان"

وقال أبو الضحى عن مسروق: أتى عبد الله بن مسعود بَصْرِعٍ وملح فجعل يأكل، فاعتزل رجل من القوم، فقال ابن مسعود: ناولوا اصحابكم فقال: لا أريده. فقال: أصائم أنت؟ قال: لا. قال: فما شأنك؟ قال: حرمت أن أكل صرعاً أبداً. فقال ابن مسعود: هذا من خطوات الشيطان، فاطعم وكفر عن يمينك" رواه ابن أبي حاتم.
وقال أيضاً: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا حَسَّانُ بن عبد الله المصري، عن سليمان التيمي، عن رافع، قال: غضبت على امرأتي. فقالت: هي يوماً يهودية، ويوماً نصرانية، وكل مملوك لها حُرٌّ، إن لم تطلق امرأتك. فأتيت عبد الله عمر فقال: إنما هذه من خطوات الشيطان، وكذلك قالت زينب بنت أم سلمة، وهي يومئذ أفقه امرأة في المدينة، وأتيت عاصماً وابن عمر فقالا مثل ذلك.

وروى عبد بن حميد عن عكرمة عن ابن عباس قال: "ما كان من يمين أو نذر في غضب، فهو من خطوات الشيطان، وكفارته كفارة يمين".
 ورورى سعيد بن داود في "تفسيره" حَدَّثَنَا عَبَّاد بن عَبَّاد المصلي عن عاصم الأحول، عن عكرمة في رجل قال لغلامه: "إن لم أجلك مائة سوط فامرأته طالق، قال: لا يجلد غلامه، ولا تطلق امرأته، هذا من خطوات الشيطان"
 هذا بعض ما ورد عن السلف في تفسيره "خطوات الشيطان"
أقول والله تعالى أعلم:

أن الله تعالى قرن خطوات الشيطان بأمر من الأكل الحلال وذلك لبيان أن شهوة الطعام والشرب أحد مداخل الشيطان للإنسان هو يريد أن يفسد عليه هذا المدخل بتزيين الحرام له.

وأن يسول له الباطل خوفاً من الفقر، والبعد عن الاحتياج للبشر، وإلقاء الشبهات في الحلال، وأن تواجهه عسير، والحصول عليه إزالاً للنفس، فيجمل له الحرام،

ويدخل له من باب الضروريات، ففي مجال البيع والشراء، يزين له الحرام، فيتبايع بالعينة، وجميع البيوع المحرمة، بوجه الناس يتعاملون بذلك، والواقع المر يفرض علينا، واحتياج الناس يدعوه إلى ذلك.. هكذا..

نفس الاستدراج الذي وقع عندما عُبدت الأصنام أول مرة، ونفس الاستدراج الذي وقع للمشركين فقالوا: هذا لله بزعمهم وهذا لشركاءنا، فما كان لله فهو يصل إلى شركائهم...

ويظل يستدرجه الشيطان حتى يقع في البيوع المحرمة، ثم يتعاطى الحرام ويصعب بعد هذا الاستغناء عنه، لأنه أخذ على وضع معين، ومعيشة معينة من الصعب التخلص منها حتى ولو كانت كلها من حرام...

فإذا استسلام للخطوات أوصله إلى الوقوع في الحرمان.. كمن حام صول الحمى يوشك أن يقع فيه، وغاية الشيطان في هذا كله أن يوصل اللقمة الحرام إلى معدته، فيتغذى بالحرام، وينبت جسده من هذا الحرام... ثم يدعوا فلا يُستجاب له... ثم يكون من أهل النار؟ لأن كل جسد نبت من حرام فالنار أولى به، ثم ينشأ أولاده على هذا الصنيع، فتنتب أجسادهم من الحرام، فيقع العقوق من الأبناء والنشوذ من الزوجات ثم ينهار البيت ومعه ينهار المجتمع..

ولذلك قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: 172] عقب هذه الآيات... فحذر الناس جميعاً من اتباع خطوات الشيطان في ترك الحلال وأخذ الحرام، عاد فأمر المؤمنين بالأكل الحلال، ومن الطيبات من الرزق، ثم يبين عليهم ما حُرِّم عليهم.

وبعد ما نهى عن إتباع خطوات الشيطان، وأن عداوته لنا ظاهرة العداوة، عاد مظهراً زيادة في إيضاح العداوة فقال: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 169].

فهذه ثلاثة أوامر مهلكات مبيدات للعبد، الأولى ما أسوؤها، والثانية أشد منها، والثالثة أشد وأشد وأنكى...

(السوء)

قال القرطبي (605/1): "سُمِّي السُّوءُ سوءاً لأنه يسوء صاحبه بسوء عواقبه وهو مصدر: ساء يسوء سوءاً ومساءةً إذا أجزته، وسُوِّتَه فسيء إذا أجزته فحزن، قال تعالى: ﴿سَيِّتَ وَجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الملك: 27].

قال الشاعر:

إن يك هذا الدهر قد ساءني فطالما قد سرنى الدهرُ
الأمر عندي فيها واحد لذاك شكرٌ ولذاك صبرٌ

أقول: والسُّو: الفجور والمنكر

والسُّو: اسم جامع للآفات والداء.

فالشيطان - لعنه الله - يأمر العبد بالسوء، حتى إذا فعل السوء وارتكبه، ساءه ذلك كمن ظهرت سُوته فافتضح.

والسُّوء: بداية الخطوات، فإذا خطاها الإنسان وتجاوزها، وأصبح قلبه معلقاً بالقبائح ساقه ذلك على ارتكاب الفجور والمنكرات فإذا اعتاد ذلك، أمره بالخطوة الأشد والأعظم، وهي (الفحشاء) قال مقاتل: إن كل ما في القرآن من ذكر الفحشاء فإنه الزنى، إلا قوله ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾ [البقرة: 268] فإنه منع الزكاة.

قلت: فيه نظر.

أقول: الفحشاء ذكرت سبع مرات في القرآن الكريم.

الأول والثاني - سبق في الآيتين السابقتين.

والثالث: في قوله: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: 24]

والفحشاء هنا على المعنى الرجح الزنا.

قال القرطبي: السوء الشهوة، والفحشاء المباشرة. وقيل: السوء الثناء القبيح

والفحشاء الزنى. وقيل: السوء خيانة صاحبه، والفحشاء: ركوب الفاحشة.

والموطن الرابع: ﴿وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُم لَعَلَّكُمْ

تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 90]

والخامس: في قوله ﴿يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [النور: 21]

والسادس في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرَهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [البقرة: 217]

[الأعراف: 28]

والسابع في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ

أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: 45]

ومن تأمل هذه اللفظة يجد أنها أعم من الزنى، واللواط، والسحاق، وغيرها من أنواع الفواحش.

قال في "اللسان" مادة "فحش":

الفُحْشُ والفُحْشَاءُ والفُحْشَاءُ: القُبْحُ من القول والفعل وجمعها: الفواحش. وأفحش عليه في المنطق أي: قال الفُحْشَ. والفُحْشَاءُ: اسم الفاحشة. والمتفحش الذي يتكلف سبَّ الناس ويتعمده.

وفي الحديث "إن الله يُبْغِضُ الفَاحِشَ المتفحش" والفاحش في الحديث: كل ما يشتد قبحه من الذنوب والمعاصي.

قال ابن الأثير: وكثيراً ما ترد الفاحشة بمعنى الزنا ويسمى الزنا فاحشة قال تعالى

﴿إِلَّا لَأَن يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُّبِينَةٍ﴾ [الطلاق: 1] قيل: الفاحشة: خروجها من بيتها بغير إذن زوجها.

قال الشافعي - رحمه الله - : "أن تبدو على أحمائها بذراية لسانها فتؤذيهم وتلوك"

وكل خصلة قبيحة: فهي فاحشة من الأقوال والأفعال.

أقول: وقد ذكر لفظ "الفاحشة" ثلاثة عشر مرة في القرآن: في سورة آل عمران

(135) والنساء (15)، (19)، (22)، (25)، والأعراف (28)، (80) والإسراء

(32) والنور (19) والنمل (254) والعنكبوت (28) والأحزاب (30) والطلاق

(1).

وهي تدور بين الزنى، واللواط، والزواج الحرام، وقبح القول ونقل الكلام، كما

جاءت لفظ "الفواحش" في أربعة مواطن، في قوله ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ

مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ ﴿ [الأنعام: 151] وهي أعم. فهي تشمل الفواحش الظاهرة للناس، والخافية عنهم، والظاهرة من الأقوال والأفعال، الخفية بالقلب والجوارح.

ومثلها في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ ﴾ [الأعراف: 33] ففي هذه الآية جعل الشرك والقول على الله بغير علم من الفواحش، والبغي، فهي أعم، فتدخل فيها كل معصية قولية أو فعلية، أو ظاهرة أو باطنة، فالرياء والشرك الخفي من ذلك. والله أعلم.

والموطن الثالث: قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ ﴾ [الشورى: 37] فالفواحش من الكبائر، بل منها أكبر الكبائر، وأعظم العظائم.

والموطن الرابع: في قوله ﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ ﴾ [النجم: 32] والفواحش القولية والفعلية الظاهرة والباطنة حرام الأقتراب منها لقوله تعالى ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ ﴾ ولفظ التحريم ظاهر مما يدل على شدة حرمة، لأن الحرام جاء مصرحاً به، وهذا من أقوى الأدلة على التحريم. وقال أيضاً ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ ﴾ وهذا صريح في التحريم، ظاهر التهديد، واضح الوعيد. وأخرج البخاري (4634)، ومسلم (4/214/33) عن ابن مسعود. رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " لا أحد أغير من الله، من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن".

وأخرجه البخاري (230/9) ومسلم (2/1136/17) عن سعد بن عبادة قال: لو رأيت مع امرأتي رجلاً لضربته بالسيف غير مُصْفَحٍ - فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: "أتعجبون من غيرة سعد! فوالله لأننا أغير من سعد، والله أغير مني، من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن"

وأخرج أحمد (2/326) بسند حسن عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قيل: يا رسول الله، إنا نغار. قال: "والله إني لأغار، والله أغير مني، ومن غيرته نهي عن الفواحش".

أما الخطوة الثالثة، التقول على الله بغير علم: ﴿ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: 169] فهذه أعظم الخطوات وأشدّها خطورة، فربما كانت الخطوة الأولى وهي

"السؤ" والثانية وهي "الفحشاء" خطورتها قاصرة على صاحبها، فمن فعل السوء وقال به، وفعل الفحشاء وقال بها، فلا تضر إلا فاعلها أو قائلها بخلاف التقول على الله بغير علم فضرر ذلك متعدٍ إلى غيره، فهو يضر الغير بذلك قبل أن يضر نفسه .

والتقول على الله تعالى أكبر الكبائر على الإطلاق، فليس بعدها شئ، لأن الله تعالى ذكره بعد الشرك به فقال مبيناً الترتيب التصاعدي في الحرمة ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُزَلِّ بِهِءُ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ ﴾ [الأعراف:33]

والشيطان إنما يريد هذه، ويضع نصب عينيه للوصول إليها لأنه يعلم أن ضلال المفتي متعدٍ إلى غيره، فإذا أغواه بالافتاء وأضله وجعله يفتي بخلاف الحق والصواب، فهذه غاية الشيطان ومراده من المفتي، لأجل ذلك قال عمر بن الخطاب: اثنان إذا صلحا صلحا الناس لصلاحهما وإذا فسدا فسدا الناس بفسادهما: العلماء والأمرء. وعن أبي الدرداء مثله.

ولأن المفتي موقَّع عن الله تعالى، وعن رسول الله ﷺ، فهو يتدخل ليغويه ويضله لأجل أن يضل الناس وينحرفون عن منهج الحق والصواب. فالتقول على الله أعظم المصائب وأعظم الكبائر.

لأجل ذلك كان منصب المفتي خطير، ومركزه وعر، ومكانته صعبة، ولعل هذا من الأسباب التي جعلت النبي ﷺ يقول لخالد بن الوليد: "أنزلهم على حكمك ولا تنزلهم على حكم الله وحكم رسوله ﷺ"، لأنك لا تدري أتصيب فيهم حكم الله أم لا؟! " وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنُفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يفلِحُونَ ﴾ [النحل:116].

ولأجل هذه الآية تورع العلماء والأئمة من قول الحلال والحرام حتى لا يقعون في الحرج والإثم، فكانوا يقولون: نحب، ونكره، دليل على الحل والحرمة كما تورعوا عن الافتاء، وكانوا يهربون من هذا المنصب الخطير، كما كانوا يتورعون من الإجابة وكانوا يحفظون "لا أدري" كما يحفظون العلم وكانوا يقولون. لا أدري نصف العلم.

أما الموطن الثاني فهو أعظم من الموطن السابق وهو قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطْوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾
[البقرة: 208]

قال ابن كثير - رحمه الله:

"يقول الله تعالى أمراً عباده المؤمنين به المصدّقين برسوله - أن يأخذوا بجميع غرى
الإسلام وشرائعه، والعمل بجميع أوامره، وترك جميع زواجره ما استطاعوا من ذلك.
ثم نقل عن ابن عباس، ومجاهد، وطاوس، والضحاك، وعكرمة، وقتادة، والسّدي،
وابن زيد أنهم قالوا في قوله تعالى (ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ) يعني: الإسلام.
ونقل عن بعضهم أنهم قالوا: الطاعة".

"ونقل عن ابن عباس، ومجاهد، وأبو العالية، وعكرمة والربيع، والسّدي، ومقاتل
بن حيان، وقتادة والضحاك: جميعاً في قوله تعالى (كَافَّةً) أي في الإسلام جميعاً. وقال
مجاهد. أي أعملوا بجميع الأعمال ووجوه البر.

قال ابن كثير: ومن المفسرين من يجعل قوله (كافة) حالاً من الداخلين، أي
ادخلوا في الإسلام كلكم، والصحيح الأول، وهو أنهم أمروا أن يعملوا بجميع شعب
الإيمان وشرائع الإسلام، وهي كثيرة جداً ما استطاعوا منها" (1).
قلت: قرأ الكسائي وغيره "ادْخُلُوا فِي الإِسْلَامِ كَافَّةً" وهذا نداء من العلي الخبير
- الذي يعلم ما كان وما سيكون - لأهل الإيمان الذين آمنوا بالله رباً، وبالإسلام ديناً،
وبمحمد - ﷺ - نبياً ورسولاً، والحشر والنشر والجنة والنار والصراف وبجميع.
الغيبات بأن يدخلوا في الإسلام كله، لا يؤمنون ببعض، ويتركوا بعضه، وألاً
يستدرجهم الشيطان عن دينهم بإتباع خطواته، فيبتعدون عنه شيئاً فشيئاً حتى يذهب
أصله، فيعبدون الله بالبدع والاستحسان.

ولقد أخبر الله تعالى في هذه الآية أن من المسلمين لن يدخلوا في الإسلام كله، لذلك
خاطبهم بالدخول فيه بالكلية.

(1) التفسير (1/ 532).

كما أخبر النبي ﷺ أن من أمته سوف يخرجون من الدين، ويمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية كما في الحديث الصحيح الثابت: " افترت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة، وسبعون في النار، وافترت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، فأحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة، والذي نفس محمد بيده، لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة، واثنان وسبعون في النار" (1)

وفي رواية " افترت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقة" (2)

فهذه الفرق جميعاً اتبعت خطوات الشيطان، ولبس عليهم إبليس، واتبعوا ظنه، ودخلت عليهم الشبه التي ألقاها إليهم...
فالخوارج... اتبعوا خطوات الشيطان وتركوا كثيراً من منهج الحق، وابتعدوا عن الصواب... فساروا فرقة ثم فرق.

والشيعة... اتبعوا خطوات الشيطان وتركوا الدين كله إلا بعض شعائر تقربوا بها لغير الله - فساروا فرقة ثم فرق.

والمعتزلة... اتبعوا خطوات الشيطان وتركوا الاعتقاد الحق، والمنهج الحق، وضلوا في كثير من أصول الدين وفروعه فساروا فرقة ثم فرق.
والمرجئة، والمعطلة، والمشبّهة، والجبرية، وغيرهم من الفرق وكلها ظهرت من قرب نهاية الرسول ﷺ حتى نهاية حياة شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - ولم يبق منها إلا غبرات.

كما ضحك الشيطان على كثير من الفرق المستحدثة، واتبعوا خطوات الشيطان، فأخذوا من الدين بطرف، وعملوا بجزء، وتركوا بقية الأجزاء.
فالأخوان... أخذوا من الدين كما يأخذ المخيط إذا أدخل اليم، وتركوا الباقي وضحك عليهم إبليس حتى ملاء فيه بالضحك، وحتى سقط على الأرض منهم، ولبس عليهم أن الدين كله في السياسة والوصول إلى سدة الحكم!!

(1) أخرجه ابن ماجه..راجع الصحيحة(1492)، عن عوض بن مالك.

(2) أخرجه الأربعة عن أبي هريره وصححه الألباني في "صحيح الجامع" (1083).

جماعة التبليغ... ضحك عليهم، ودخل عليهم من كل باب، وقال لهم الشيطان أن الدين في تقصير الثياب، والمسبحة الطويلة، وحمل الأمتعة والخروج إلى الله تعالى لدعوة الناس إليه، والويل كل الويل لمن تعلم التوحيد، فأخذوا جانبا من الدين وغالوا فيه، وتركوا كل الجوانب... بل حرموا على أنفسهم الاقتراب منها!!

والجهاد... قالوا أن الدين كله ما هو إلا الجهاد في سبيل الله تعالى، فتركوا كل شئ وتمسكوا بهذه الشعيرة وتركوا بقية الشعائر، ولبس عليهم إبليس الخروج على الحاكم وأن ترك الجهاد كفر، واستباحة الأموال والأعراض في بعض الأحيان للوصول إلى السلاح الذي يرد الخارجين عن الدين إلى حظيرة الإسلام...!!!

والتكفير والهجرة... جماعة نشأة تحت وطئت الظلم، ولبس عليهم إبليس أن الحكومات كافرة، وأن أموالهم مستباحة، ودمائهم، فخرجوا من السجن ليكفروا المجتمع والحكومة... وكان تلبس إبليس عليهم شديد...!!!

الصوفية... لم يجد إبليس جماعة باض فيهم وفرخ من هذه الجماعة، فأعادهم إلى عبادة الأوثان من جديد، وغالوا في الشيوخ، الأموات منهم والأحياء، وضربوا حولهم الهالات والأوهام والكرامات المصطنعة التي لم تكن لأصحاب النبي ﷺ، بل لم تقع للنبي ﷺ نفسه...!!!

ومن شدة تلبس إبليس عليهم فرّقهم إلى عشرات الفرق، وكل فرقة على طريقة ومنهج... واتبعوا خطوات الشيطان وخلعوا عبادة الإسلام، ولبسوا عباة مختلفة ليس للدين فيها نصيب، وكانت خطوات الشيطان فيهم سريعة، وكانت واسعة جدا إلى درجة أنهم أصبحوا يعبدون غير الله تعالى... فلم يجد الشيطان أي تعب وجهد في إخراجهم من الدين... وما بقى معهم من الدين. هوامش، المخلوطه بالجهل، المعجونة بالشرك...!!!

وجماعة التوقف والتبين، وجماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلى آخر هذه الجماعات التي أخذت من الدين بسهم وتركت كل الأسهم، هؤلاء جميعا ضحك عليهم إبليس، واتبعوا خطواته، وخرجوا معه من الدين كله... إلى بعضه أو جزءه...!!!

ولقد نادى الله تعالى هؤلاء جميعا بنداء الإيذان بأن يدخلوا في الدين كله، وأن يعملوا بشرائع الدين كله فقال: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة:208]

وقال في حق من اتبع الشيطان وظنه:

﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ:20]

فنداء لكل الفرق، ولكل الجماعات، بأن يدخلوا في الإسلام كافة، وأن يعملوا بشرائع الدين كلها، كما نوجه هذا النداء إلى الحكومات بأن يحكّموا الدين، ويطبقوا شرائع الدين في الأحكام والسياسات والأعراف، ولا يغتروا بمن يقول لهم: "أنتم تطبقون خمسة وتسعين بالمائة من الأحكام!!!!!!!"

وأعلم أيها المسلم أن الشيطان يستخدم أتباعه، ويدخل لهم من مدخلين:

الأول: الشهوات، فسدّ الله عليه المدخل بالآية الأولى.

الثاني: الشبهات، وقد سدّ الله عليه هذا المدخل بالآية الثانية.

ولقد صرح الله تعالى لمن اتبع خطوات الشيطان النتيجة التي سوف يصل إليها باتباع خطواته فقال تعالى:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ

وَالْمُنْكَرِ﴾ [النور:21]

فإنه تعالى لم ينهي أهل الشرك والكفر وغيرهما عن إتباع الخطوات الشيطانية وذلك لأنهم شياطين، وأن مراد الشيطان فيهم تحقق، فلا حاجة فيهم، ولا مأرب للشيطان بعد أن أوصلهم لغايته... وإنما نادى أهل الإيذان... ثم بين أن مراد الشيطان أن يأمرهم ولا يأمرهم إلاّ بعد أن يستعبدهم، فعند إذ يأمرهم فيطيعون وينقادون. له.. وبما يأمرهم... بالسوء والفحشاء...

فاحذروا عباد الله خطوات الشيطان، والله تعالى لم يقل لكم لاتتبعوا الشيطان، لأن الشيطان لم يأمر أحداً بعبادته، ولكن يأمر باتباع الخطأ، والاقتراب من الفواحش ولا يأمر بها...

(3)



وعد الشيطان

قال تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 268]

وقال تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء: 120]

وقال تعالى: ﴿وَعَدَهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الإسراء: 64]

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُم مِّنْ سُلْطَانٍ﴾ [إبراهيم: 22]

قال القرطبي في تفسير الآيات الأولى من سورة البقرة (281/2): (يعدكم) معناه: يخوفكم. (الفقر) أي: بالفقر لئلا تنفقوا، فهذه الآية متصلة بما قبل، وأن الشيطان له مدخل في التثييط للإنسان عن الإنفاق في سبيل الله، وهو مع ذلك يأمر بالفحشاء وهي المعاصي والإنفاق فيها.

وقيل: أي بالآ لا تتصدقوا فتعصوا وتتقاعوا.

وقوله ﴿بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا﴾ الوعد في كلام العرب إذا أطلق فهو في الخير وإذا قيد بالموعود ما هو فقد يُقَدَّر بالخير وبالشر كالبشارة، فهذه الآية مما يقيد فيها الوعد بالمعنيين جميعاً.

قال ابن عباس - رضي الله عنه - في هذه الآية اثنتان من الله تعالى واثنتان من الشيطان.

وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال رسول الله ﷺ: "إن للشيطان لمةً بابن آدم، وللملك لمةً، فأما لمة الشيطان فيعيد بالشر والتكذيب بالحق وأما لمة الملك فيعيد بالخير، وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله ومن وجد الأخرى فليعود بالله من الشيطان ثم قرأ ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾ قال: رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح وهذا الحديث سيأتي قريباً ومعه تخرجه.

قال القضاعي في "نظم الدرر" (1/522).

ولما رغب سبحانه وتعالى في الإنفاق وختم آياته بما يقتضي الوعد من أصدق القائلين بالغنى والإثابة في الدارين أتبعه بما للعدو الكاذب من ضد ذلك فقال محذرا من البخل - في جواب من كأنه قال: هذا ما لا يشك فيه فما للنفوس لا توجد غالبا إلا شحيحة بالإنفاق: - (الشيطان) أي الذي اسمه أسوأ الأسماء، فإنه يقتضي الهلاك والبعث، وأحد الوصفين كاف في مجابته فكيف إذا اجتمعا (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ) المانع من الإنفاق. قال الحرالي: الذي لخوفه تقاطع أهل الدنيا وتدابروا وحرصوا وادخروا وكل ذلك لا يزيل الفقر، كل حريص فقير ولو ملك الدنيا وكل مقتنع غني، ومن حق من كان عبدا لغني أن يتحقق أنه غني يغني سيده، ففي خوف الفقر أباق العبد عن ربه؛ والفقر فقد ما إليه الحاجة في وقت من قيام المرء في ظاهره وباطنه - انتهى. (وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ) المبطله له من المن والأذى وغيرهما من مستلذات الأنفس وربما كان فيها إتلاف الأموال وإذهاب الأرواح. وقال الحرالي: وكل ما اجتمعت عليه استقباحات العقل والشرع والطبع فهو فحشاء، وأعظم مراد بها هنا البخل الذي هو أدوأ داء، لمناسبة ذكر الفقر، وعليه ينبنى شر الدنيا والآخرة ويلازمه الحرص ويتابعه الحسد ويتلاحق به الشر كله انتهى وفيه تصرف.

ولما ذكر ما للعدو من الشر أتبعه سبحانه وتعالى بما له من الخير فقال مصرحا بما تقدم التلويح به: (والله) أي الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلى الرحيم الودود (يعدكم مغفرة منه) لما وقع منكم من تقصير، وفيه إشعار بأنه لا يقدر أحد أن يُقدِّر الله حقَّ قَدْرِهِ لما له من الإحاطة بصفات الكمال ولما جبل عليه الإنسان من النقص (وفضلاً) بالزيادة في الدارين، وكل نعمة من فضل؛ ثم أكد ذلك بقوله: (والله) أي المحيط بكل كمال (واسع) لتضمنه معنى حلیم غني، وأتبعه بقوله: (عليم) إشارة إلى أنه لا يضيع شيئا وإن دقَّ. قال الحرالي: وفي إشعاره توهين لكيد الشيطان ووعد كريم للمفتون بخوف الفقر وعمل الفحشاء لما علمه من ضعف الأنفس وسرعة قبولها من الوسواس - انتهى. فختم آخر آيات الأمثال بما ختم به أولها ترغيبا وترهيبا.

وقال النيسابوري في " غرائب القرآن و رغائب الفرقان " (2 / 602 - 603)، ثم إن الله تعالى لما رغب في أجود ما يملكه الإنسان أن ينفق حذر عن وسوسة الشيطان فقال (الشَّيْطَانُ يُعَدُّكُمْ الْفَقْرَ) أما الشيطان فيشمل إبليس وجنوده، وشياطين الإنس والنفس الأمارة بالسوء.

والوعد يستعمل في الخير والشر. قال تعالى: (النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا) وأصل الفقر في اللغة: كسر الفقار وقرئ (الفُقْر) بضمين، و(الفَقْر) بفتحين. (وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ) يغريكم على البخل، ومنع الصدقات: إغراء الأمر للمأمور. والفاحش عند العرب: البخيل. والتحقيق أن لكل خلق طرفين ووسطاً فالطرف الكامل للإنفاق: هو أن يبذل كل ماله في سبيل الله، والطرف الأفحش: أن لا ينفق شيئاً لا الجيد ولا الرديء والوسط: أن يبخل بالجيد وينفق الرديء فالشيطان إذا أراد نقله من الأفضل إلى الأفحش، فمن خفى حيلته أن يجره إلى الوسط وهو وعده بالفقر. ثم إلى الطرف، وهو أمره بالفحشاء. وذلك أن البخل صفة مذمومة عند كل أحد، فلا يمكنه أن يجره ابتداء إليها إلا بتقديم مقدمة في التخويف بالفقر إذا أنفق الجيد من ماله، فإذا أطاعه زاد فيمنعه من الإنفاق بالكلية، وربما تدرج إلى أن يمنع الحقوق الواجبة، فلا يؤدي الزكاة، ولا يصل الرحم، ولا يرد الوديعة، فإذا صار هكذا ذهب وقع الذنوب عن قلبه، ويتسع الحرق فيقدم على المعاصي كلها.

ثم لما ذكر درجات وسوسة الشيطان أردفها بذكر إلهامات الرحمن فقال (والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً) فالمغفرة إشارة إلى منافع الآخرة، والفضل إشارة إلى ما يحصل في الدنيا من الخلف.

عن النبي ﷺ: "إن الملك يُنادي كُلَّ لَيْلَةٍ: اللَّهُمَّ أعط مُنْفَقاً خَلْفاً وممسكاً تلفاً" (1) فالشيطان يعدكم الفقر في غد الدنيا، والرحمن يعدكم المغفرة في غد العقبى، ووعد الرحمن بالقبول أولى، لأن الوصول إلى غد الدنيا مشكوك فيه؛ وغد العقبى مقطوع به.

(1) أخرجه أحمد (3/ 306) والبخاري (زكاة) (37).

وعلى تقدير وجدان غد الدنيا فقد لا يبقى المال بأفة أخرى، وعند وجدان العقبي لا بد من حصول المغفرة، فإن الله تعالى لا يخلف الميعاد. ولو رفض بقاء المال، فقد لا تمكن صاحبه من الانتفاع به لخوف أو مرض أو مهم، بخلاف الانتفاع بما في الآخرة فإنه لا مانع منه. وبتقدير التمكّن من الانتفاع بالمال، فإن ذلك ينقطع ويزول، بخلاف الموعود في الآخرة فإنه باق لا يزول.

وأيضاً لذات الدنيا مشوبة بالآلام والمضار البتة، فلا لذة إلا وفيها ألم من وجوه كثيرة، بخلاف لذات الآخرة فإنه لا نعص فيها ولا نقص.

المراد بالمغفرة:

والمراد بالمغفرة تكفير الذنوب؛ والتنكير فيه للدلالة على الكمال والتعظيم، لاسيما وقد قرن به لفظه منه، فإن غاية كرمه ونهاية جوده مما يعجز عن إدراكها عقول الخلائق. وقال العلامة الألويسي في "روح المعاني" (54/3).

(الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمْ الْفَقْرَ) استئناف لبيان سبب تيمم الخبيث في الإنفاق وتوهين شأنه والوعد في أصل وضعه لغة شائع في الخير والشر، وأما في الاستعمال الشائع فالوعد في الخير والإيعاد في الشر حتى يحملوا خلافه على المجاز والتهكم، وقد استعمل هنا في الشر نظراً إلى الوضع، لأن الفقر مما يراه الإنسان شراً، ولهذا يخوف الشيطان به المتصدقين فيقول لهم: لا تنفقوا الجيد من أموالكم وإن عاقبة إنفاقكم أن تفتقروا، وتسمية ذلك وعداً مع أنه اعتبر فيه الإخبار بما سيكون من جهة المخبر، والشيطان لم يضيف مجئ الفقر إلى جهته للإيذان بمبالغة اللعين في الإخبار بتحقيق مجيئه، كأنه نزل في تقرر الوقوع منزله أفعال الواقعة حسب إرادته، أو لو وقوعه في مقابلة وعده تعالى على طريق المشاكلة، ومن الناس من زعم أن استعمال الوعد هنا في الخير حسب الاستعمال الشائع، والمراد أن ما يخوفكم به هو وعد الخير، لأن الفقر للإنفاق أجل خير، ولا يخفى أنه بمراحل عن مذاق التنزيل، وقرئ - الفقر - بالضم والسكون وبفتحتين وضميتين، وكلها لغات الفقر، وأصله كسر فقار الظهر (ويأمركم بالفحشاء) أي الخصلة الفحشاء وهي البخل وترك الصدقات والعرب تسمى البخيل فاحشاً قال كعب:

أخي يا أخي لا فاحشا عند بيته ولا برم عند اللقاء هيوب

والمراد بالأمر بذلك الإغراء والحث عليه، ففي الكلام استعارة مصرحة تبعية، وقيل: المراد بالفحشاء سائر المعاصي وحملها على الزنا - نعوذ بالله وجوز أن تكون بمعنى الكلمة السيئة فتكون هذه الجملة كالتأكيد للأولى، وقَدَّمَ وعد الشيطان على أمره لأنه بالوعد يحصل الاطمئنان إليه فإذا اطمأن إليه وخاف الفقر تسلط عليه بالأمر، إذ فيه استعلاء على المأمور (والله يعدكم) في الإنفاق على لسان نبيكم ﷺ (مغفرة) لذنوبكم، وعن قتادة لفحشائكم والتنوين فيها للتفخيم وكذلك وصفها بقوله (منه) فهو مؤكد لفخامتها وفيه تصريح بما علم ضمنا من الوعد كما علمت مبالغة في توهين أمر الشيطان (وفضلاً) أي رزقا وخلفا- وهو المروي عن ابن عباس رضي الله عنهما - فتكون المغفرة إشارة إلى منافع الآخرة وهذا إشارة إلى منافع الدنيا.

وقال ابن كثير رحمه الله (700/1):

(الشيطان يعدكم الفقر) أي: يخوفكم الفقر، لتمسكوا ما بأيديكم فلا تنفقوه في مرضاة الله.، (ويأمركم بالفحشاء) أي: مع نهيه إياكم عن الإنفاق خشية الإملاق، يأمركم بالمعاصي والمأثم والمحارم ومخلفة الخلاق، قال تعالى (والله يعدكم مغفرة منه) أي: مقابلة ما أمركم الشيطان بالفحشاء. (وفضلاً) أي: في مقابلة ما خوفكم الشيطان من الفقر.

أقول:

لقد أخبرنا الله العليم الخير الذي يعلم ما كان وما سيكون، أن إله الشر يعد أتباعه ومواليه، الفقر الذي يذهب بفقر الظهر، ويخوفهم به، ويجعل من الفقر شبح يخيف به أتباعه والذين يصغون له، ويستمعون إليه.

والعجب أنه لم يخف وعده، ولم يدلّس عليهم في أمر الوعد، بل صرح وبجح وقال: أنا أعد أتباعي الفقر، ومع هذا التصريح والتبجيح، اتبعه الناس وتمسكوا به، وزادهم له حُباً، فانساقوا له انسياق الأعمى، وانقادوا له انقياد الزليل. وفوق هذا يأمر بالفحشاء، والفحشاء ملازمة للفقر، حتى لو كان فاعلها أغنى الأغنياء، فإن فعله للفحشاء يُفقره، ويُذله، ويلقي عليه الصغار يخيفه من كل شيء.

أما إلهنا إله الخير سبحانه، فهو منجز وعده لأنه سبحانه لا يخلف الميعاد، فقال (والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم) فلقد وعدنا ربنا وخالقنا ومولانا جلّت قدرته مغفرة منه لذنوبنا ومعاصينا وسيئاتنا، ومع هذه المغفرة، فضلاً... لعل الفضل: الجنة، لأنه سبحانه قرن فضله بوسع رحمته وعلمه، ولا يكون الفضل الواسع إلا الجنة، والله أعلم، حتى ولو لم تكن الجنة، فإن فضله مفضي إلى الجنة، ومع هذا الوعد الحق، والخبر الصدق، تقعع الناس عن هذا الفضل، وانشغلوا عن هذه المغفرة... بماذا؟ انشغلوا بوعد الشيطان مخافة الفقر، فتجد الناس اليوم يهرعون إلى أفران الخبز من ساعات الليل المتأخرة التي تكون فيها المغفرة، وفيها فضل الله ينزل، وأبواب السماء المفتحة، ونزول الرب سبحانه إلى سماء الدنيا وينادي على عبده - هل من تائب - هل من مستغفر؟ وهم يتسابقون إلى الأفران مخافة الجوع، ومخافة الفقر، وما وعدهم به الشيطان.

مع أن المحتاح يرفع يده إلى الله الغني سبحانه، لكي يغنيه من فضله، والمستغفر ينتظر وقت السحر ليستغفر، والتائب ينتظر ثلث الليل ليرفع يده إلى الله باكياً ليقبل توبته... وكل محتاج ينتظر وقت هطول الرحمت، ونزول رب البريات، ليغفر السيئات ويقضي الحاجات.

ولقد زدت بصيرة بهذه الآية هذه الأيام، عندما يعمل الرجل العمر الطويل للبحث عن المال وجمعه، أو يسافر إلى بلاد بعيدة لأجل الوصول إلى المال.. ثم تدعوه إلى الصدقة والإنفاق في سبيل الله، فلا يستجيب، وإن استجاب فيكون على استحياء وبالقليل، والقليل جداً، وكل ذلك مخافة الفقر، ثم بعد أيام يصنع عرساً لابنته أو لابنه، فينفق عليه الانفاق الباهظ، ويأتي بالمغنيين والمغنيات، وخلافهم... فهو قد استجاب إذا لأمر الشيطان بعدم الانفاق مخافة الفقر، واستجاب له في فعل الفحشاء... والله المستعان.

وقوله في الآية الثانية ﴿يَعِدُّهُمْ وَيُمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُّهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾

قال القرطبي (3/344): قوله تعالى (يعدهم) المعنى: يعدهم بأباطيله وترهاته من المال والجاه الرياسة، وأن لا بعث ولا عقاب، ويوهمهم الفقر حتى لا ينفقوا في

الخير. (ويمنيهم) كذلك (وما يعدهم الشيطان إلا غرورا) لأي: خديعة. قال ابن عرفة: الغرور: ما رأيت له ظاهراً تُحبه وفيه باطن مكروه أو مجهول، والشيطان غرور، لأنه يحمل على محابّ النفس، ووراء ذلك ما يسوء.

وقال ابن كثير: (463/2):

(يعدهم ويمنيهم) وهذا إخبار عن الواقع، أن الشيطان يعد أوليائه ويمنيهم بأنهم هم الفائزون في الدنيا والآخرة، وقد كذب وافترى في ذلك ولهذا قال: (وما يعدهم الشيطان إلا غرورا) كما قال تعالى مخبراً عن إبليس يوم الميعاد (وقال الشيطان لما قضى الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم)

قلت: إن الشيطان قد أعلن عن نفسه وبين أنه كذاب أشر، وأنه مُخْلِفٌ للوعد، وأن وعده سراب وأمانيه خراب، وأن وعد الله هو الحق، وأن الله لا يخلف الميعاد، فقال الله تعالى مخبراً عن الشيطان (إن الله وعدكم وعد الحق) فهذه شهادة من إبليس وإن كان الله غني عن هذه الشهادة، لكن عندما تأتي على لسان من له أتباع لأتباعه، تكون لها واقع على النفس. ثم قال الشيطان وقد أخبر الله عنه (ووعدتكم فأخلفتكم) فلقد فضحه الله تعالى لنا، وجلى لنا أمره، وهتك سره، وبين كذبه، وأظهر عواره، وعلى لسانه، فيقول عن نفسه (فأخلفتكم) أبعد هذا يتبعه عاقل، ويتمسك بضلاله بصير؟! وبعد هذا البيان الواضح.. يكون لأحدٍ حجة يتمسك بها للإحتجاج عن غيّه أمام الملك لا يوم الدين في الميعاد الأكبر يوم الميعاد، يوم التناد؟!!



(4)



تزيين الشيطان

قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: 43]

وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ﴾

[الأنعام: 137]

وقال تعالى: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾

[النحل: 63]

وقال تعالى: ﴿وَجَدْتَهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾

[النمل: 24]

وقال تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِّن مَّسْكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ

الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ [العنكبوت: 38]

وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الحجر: 39]

فهذه المواطن ذكر فيها تزيين الشيطان، إلا موطن واحد لم يقرن بالشيطان، لكن لما كان نتيجة التزيين القتل، وقتل الأولاد والأبناء، ووقع للمشركين في عبادتهم وكفرهم علم أنه من تزيين الشيطان لهم.

وقد ذكر الله تعالى "التزيين" في القرآن الكريم في ست وعشرين موضعاً.

1 - في موضع نسب التزيين إلى الله تعالى كما في قوله تعالى ﴿وَأَعْلَمُوا أَن فِيكُمْ رَسُولَ

اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾

[الحجرات: 7]

وقال: ﴿كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ﴾ [الأنعام: 108]

وقال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ [النمل: 4]

وقال تعالى ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ﴾ [الملك: 5]

ومثلها في الصافات وفصلت، والحجر، وق.
ونسب التزيين في مواضع إلى الشيطان كما سبق.
ثم ذكر التزيين في القرآن ولم ينسب إلى أحد، لكن سياق الآيات يوحي أنه من فعل
الشيطان على الأكثر.

وقد يكون التزيين فطري كما في قوله تعالى ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ
وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ ﴾ [آل عمران: 14]

وقد يكون التزيين بسبب إنحراف الفطرة وانتكاس الطبيعة البشرية، وسوء الاعتقاد
كما قال تعالى ﴿ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْحَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ [البقرة: 212]
وأساء نوع من هذه الأنواع أن يقع التزيين للعبد ثم يراه هو الحق، وهو الحسن، كما
قال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ زِينَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَّاهُ حَسَنًا ﴾ [فاطر: 8]
قال ابن القيم - رحمه الله -

"أضاف التزيين إليه منه - سبحانه - خلقاً ومشية، وحذف فاعله تارة، ونسبه إلى
سببه ومن أجره على يده تارة، وهذا التزيين منه سبحانه حسن، إذ هو ابتلاء واختبار
بعده، لتمييز المطيع منهم والعاصي، والمؤمن من الكافر... قال: وهو من الشيطان
قبيح... وقال: فتزين الرب - تعالى - عدل، وعقوبته حكمة، وتزيين الشيطان إغواء
وظلم، وهو السب الخارج عن العبد، والسبب الداخلة فيه حُبُّه وبُغْضُهُ وإغراضه،
والرب سبحانه خالق الجميع (1)

قلت: ومن نظر في تزيين الشيطان للعبد يجد أن التزيين أنواع وأكثره في "العمل".
فالآية الأولى: التزيين في العمل جاء بعد قساوة القلب، والقساوة القلبية قد تدفع
صاحبها إلى الوقوع في أعمال محرمة، لكن صاحبها يراها من منظار الغلظة القلبية أنها
رحمة، وأنها أعمال طبيعية، لأنه يتصرف بدافع القسوة التي حالت بينه وبين الرحمة،
والسماحة، والعفو، والرأفة، وجعلت على قلبه غشاوة.

(1) شفاء العليل (ص 179).

فلا يرى هذا كله إلا ضد طباعه، فيألف مثل هذه الأخلاق، ثم لا يحسن غيرها، ويرأها حسنة.

فالشيطان يزين له الرحمة قسوة، والعمو ضعف، والإندفاع قوة، فيوقعه في الهلكة. ومن نظر في الموطن الثاني يجد أنه - أي الشيطان - بعدما أمرهم بالتمسك بالشرك ودين الأباء والأسلاف، وجعلهم يقاتلون عليه ويموتون دونه، أمر بقتل أولادهم، ولعل عدم ذكر الشيطان هنا في الآية والله أعلم، أنه أمرهم بالكفر والتمسك بالشرك وعبادة الأوثان، ثم تركهم لكفرهم، فهو قد أوصلهم إلى ما يريد ورحل، وجعل الكفر يتحكم فيهم ويزين لهم هذا الباطل كن "متصوف" فهو يتصرف بهوى هذا المذهب، لأن من يقضي هذا المذهب، التوسل بالأموات، والطواف حول الأضرحة، وغير ذلك من الشركيات...

وقس على ذلك جميع المذاهب المخالفة لمذهب أهل السنة والجماعة. ومن نظر في الآية الثالثة يجد أن التزيين وقع في موطن صعب، في أرض المعركة، وأوحى إليهم بالهزيمة، ثم أوقعهم في تزيين العمل ثم تركهم... ونقص على عقبيه... إذاً.. الشيطان في أرض المعركة...

ومن نظر في آية سورة النحل يجد أن الشيطان زين للأمم السابقة في عدم اتباع الرسل، كما زين للمشركين في عدم اتباع النبي ﷺ فما فعله مع الذين من قبلنا فعله معنا، فمنهجه لا يتغير ودعوته في العصيان والتمرد لا تنقطع ولا يهدء ولا يرتاح حتى يرى البشرية كلها مدفوع بها إلى الهاوية... الباطل حقاً، ويقاتلون عليه، ويموتون لأجله.

فالذي تمذهب بأحد المذاهب الباطلة، يرى مذهبه هو الحق وما عداه هو الباطل، فلو سألت صوفياً عن صوفيته فسوف يحدثك عنها بكل حرارة واندفاع وغيره... إلى حد ترى فيه أنه هو الحق وأنت على غيره،... وربما لو طال المجلس واحتدت المناقشة لقال لك: النبي ﷺ، وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى... وجميع الصحابة كانوا متصوفة... ولقد سمعت هذا الكلام ورأيت على شاشة التلفاز من شيوعي بغض يماني تسلل إلى مصر ثم إلى التلفاز حتى أصبح له برنامجاً يومياً في بث سمومه...

ولو حاورت ديمقراطيا.. يؤمن بالديمقراطية.. تجد من شدة تعصبه لهذا المذهب الباطل.. وربما قاتل من أجله.. ويعتصم لنشره، والدفاع عنه.. وينادي دوماً على منبر الديمقراطية أن فلاناً مات من أجل الديمقراطية.. ويجب أن نعمل صنماً له لأنه دافع عنها حتى آخر قطرة من دمه!!!

"ومن قاتل تحت راية عُمِّيهِ يدعو إلى عصبية أو إلى جاهلية فمات فميتته ميتة جاهلية".

وتزيين الشيطان للإنسان لا ينقطع ولن ينقطع لأنه السلاح الذي عاش لأجله، وطلب البقاء لأجل أن يقاتل به، ويدافع عن الباطل تحت رايته فقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: 39].

هذه هي مهنته، ومهمته، تزيين الباطل للناس على أنه الحق، وقلما ينجو من هذا التزيين إلا من عصمه الله تعالى واستخلصه من الشر.

قال ابن القيم في "إغاثة الهنات" (ص 130): "ومن مكايده - أي الشيطان - أنه يُسمر العقل دائماً حتى يكيدته، ولا يسلم من سحره إلا من شاء الله، فيزين له الفعل الذي يضره حتى يخيل إليه أنه أنفع الأشياء، وينفره من الفعل الذي هو أنفع الأشياء له، حتى يخيل له أنه يضره، فلا إله إلا الله كم فتن بهذا السحر من إنسان؟ وكم حال به بين القلب وبين الإسلام والإيمان والإحسان؟ وكم حلاً الباطل وأبرزه في صورة مستحسنة وشنع الحق وأخرجه في صورة مستحسنة وشنع الحق وأخرجه في صورة مستهجنة؟

وكم بهرج من الزيوف على الناقلين؟

وكم روج من الزغل على العارفين؟

فهو الذي سحر العقول حتى ألقى أربابها في الأهواء المختلفة والآراء المتشعبة، وسلك بهم سبل الضلال كل مسلك وألقاهم من المهالك في مَهْكَ بعد مَهْلك، وزَيَّن لهم عبادة الأصنام، وقطيعه الأرحام، ووَاد البنات، ونكاح الأمهات، ووعدهم بالفوز بالجنات، مع الكفر بصفات الرب تعالى وعلوه وتكلمه بكتبه ووضعهم ذلك في قالب

التنزيه، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في قلب التودد إلى الناس، وحسن الخلق معهم، والعمل بقوله ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [المائدة:105] والإعراض عما جاء به الرسول ﷺ في قلب التقليد، والاكتفاء بقوله من هو أعلم منهم، والنفاق والإدهان في دين الله في قلب العقل المعيشي الذي يندرج به العبد بين الناس.

ولما طلب إبليس الإهمال إلى يوم الدين، وأن ، ينذره ربه إلى يوم يبعثون.. أول ما أغوى، أغوى آدم وأقسم له بالغواية أنه لمن الخالدين، فأكل هو وزوجته تحت تأثير الغواية، من الشجرة وعصى آدم ربه فغوى..

ووتتابع في غواية أبنائه وأحفاده... واستولى على كثير من نسله بالغواية.. وما هلك أكثر أهل الأرض إلا بالتزيين.. وما خرجت الفرق عن جماعة أهل السنة إلا بالتزيين، فهو سلاح مدمر، يدمر العقول والقلوب والأعمال، ومؤثر جداً في بني البشر.





أقوال المفسرين في آيات التزيين

ففي قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾

[الحجر: 39]

وقد جمع إبليس لعنه الله في هذه الآية بين التزيين والغواية.

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله: -

"يقول تعالى مخبراً عن إبليس وتمرده وعتوه أنه قال للرب: (بما اغويتني) قال بعضهم: أقسم ياغواء الله له.

قلت: ويحتمل أنه بسبب ما اغويتني وأضللتنني (لأزين لهم) أي: لذرية آدم عليه السلام (في الأرض) أي: أحبب إليهم المعاصي وأرغبهم فيها، وأؤزهم إليها، وأزعجهم إزعاجاً (ولأغوينهم) أي: كما اغويتني وقدرت على ذلك (1).

وقال القضاعي - رحمه الله: -

(رب) أي: أيها الموجود والمربي لي وعزتك (بما اغويتني) أي: بسبب إغوائك لي من أجلهم، وللإهتمام بهذا السبب قدّمه على جواب القسم الدال على المقسم به. وهو قوله (لأزين لهم) أي: تزييناً عظيماً، المعاصي والمباحات والجارّة إليها الشاغلة عن الطاعة الصارفة عنها (في الأرض) أي: التي هي محل الغفلة وهو منها، والشيء إلى ما هو منه أميل، فهي بهذا التقدير مساوية لآية "ص" (فبعزتك) والتزيين: جعل الشيء متقبلاً في النفس من جهة الطبع والعقل بحق أو باطل (ولأغوينهم) أي: بالإضلال عن الطريق الحميد (أجمعين) انتقاماً لنفسي (2)

قال صديق حسن خان - رحمه الله: -

(قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي) الباء للقسم، و(ما) مصدرية، أي: أقسم ياغوائك إياي، واختار البيضاوي من "الأعراف" كونها للسبية، ونقل كونها للقسم بصيغة التمريض لأنه وقع

(1) نظم الدرر (4/ 223).

(2) أنظر التفسير الكبير (15/ 174) والكشاف (2/ 162) والبحر المحيط (4/ 504) وتفسير أبو

السعود (2/ 364) وروح المعاني (10/ 15).

في مكان آخر، قال (فعرتك) والقصة واحدة إلا أن أحدهما أقسام بصفة ذاته، والثاني: أقسام بفعله، والفقهاء قالوا: الأقسام بصفات الذات صحيح، واختلفوا في القسم بصفات الأفعال، ومنهم من فرَّق بينهم، ولأن جعل الإغواء مُقسماً به غير متعارف، قاله الكرخي.

قلت: وأقسامه هنا بإغواء الله له لا ينافي أقسامه في موضع آخر بعزة الله التي هي سلطانه وقهره لأن الإغواء له هو من جملة ما يصدق عليه العزة، وقال أهل العراق: الحَلْف بصفة الذات القدرة والعظمة والعزة يمين، والحَلْف بصفة الفعل كالرحمة والسخط ليس بيمين، قيل: والأصح أن الأيمان مبنية على العُرف، فما تعارف الناس الحلف به يكون يميناً وما لا فلا.

وجواب القسم (لأزينن لهم) أي: لذرية آدم وأن لم يجز لهم ذكر للعلم بهم (في الأرض) أي: ما داموا في الدنيا والتزيين منه إما بتحسين المعاصي لهم وإيقاعهم فيها، و بشغلهم بزينة الدنيا وحُبّها عن فعل ما أمرهم الله به فلا يلتفتون إلى غيره (ولأغوينهم أجمعين) أي: لأضلنهم عن طريق الهدى وأوقعهم في طريق الغواية وأحملهم عليها بإلقاء الوسوسة في قلوبهم، وذلك أن إبليس لما علم أنه يموت على الكفر غير مغفور له حرص على إضلال الخلق بالكفر وإغوائهم، وفي الآية حجة على المعتزلة في خلق الأفعال وحملهم على التسبب عدولاً عن الظاهر" (1).

أما قوله تعالى: ﴿ قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الأعراف: 16] سيأتي الكلام عنها في "غواية إبليس" إن شاء الله.

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَآتِ الْأَفْتَانَ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الأنفال: 48]

واختلف جماعة المفسرين في كيفية التزيين هنا على قولين:

الأول: أن التزيين كان بالوسوسة فقط، وهو قول الحسن والأصم. وبه قال أبو

(1) فتح البيان في مقاصد القرآن (5/ 185 - 186).

السعود والألوسي (1).

الثاني: التزيين كان عن طريق مجيئه في صورة سُراقَة بن مالك بن جُعثم. وهو قول ابن عباس والسُّدى وعروة بن الزبير، وقتادة، ومحمد بن كعب، وابن جرير والفراء والبعوى والقرطبي وابن جزري وابن كثير والشوكاني وغيرهم وهو قول جمهور المفسرين، وهو الحق إن شاء الله فلقده روى ابن جرير (18 / 10) والبيهقي في "الدلائل" (87 / 3) عن ابن عباس رضي الله عنهما - أن إبليس تمثل يوم بدر في صورة سُراقَة بن مالك"

أقول: إن ظهور إبليس في صورة آدمي جاءت به أحاديث كثيرة، بل هو متواتر النقل عن الصحابة وغيرهم، والأحاديث الواردة في ذلك كثيرة، انظر في جزء الشيطان في السنة" كما جاء إبليس وظهر في صورة حيوانات وهوام كثيرة، سوف نذكرها إن شاء الله في " الشيطان في السنة".

فالتزيين هو أحد أسلحة إبليس القديمة جداً، بل ربما كان أول الأسلحة على الإطلاق، ولهذا جَرَّبَه مع آدم، وفلح في تزيينه، وما نزل آدم عليه السلام من الجنة إلا بسبب التزيين، فهو أول شئ استخدمه إبليس اللعين مع آدم عليه السلام، لذلك استخدمه مع ذريته. وما ضلت البشرية وما تاهت وضاعت وبعدت عن الحق إلا بالتزيين، فلقد زين لهم الباطل، وزين لهم حب المعصية وقربها إليهم على أنها مُتعة الحياة، وأن الآخرة غير مضمونة الحصول، وهكذا.... خرَّج البشرية وزجَّها إلى النار وذلك بالتزيين... وبعد ما وصلت البشرية إلى الهاوية.... وقف ليخطب فيهم خطبته الشهيرة.



(5)



إيقاع غواية الشيطان

قال تعالى ﴿ قَالَ فِيمَا أُغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الأعراف: 16]

وقال تعالى ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [ص: 82]

والغواية جاء معناها على هذا النحو:

غوى: الغي؛ الضلال والخيبة. غوى، بالفتح، غياً و غوى غواية الأخيرة عن أبي عبيد:
ضَلَّ ورجلٌ غَاوٍ و غَوٍ و غَوِيٌّ و غَيَّانٌ .

ضالٌ و أغواه هو، وأنشد للمقرشي:

فَمَنْ يَلْتَقِ خَيْرًا يُحْمَدُ النَّاسَ أَمْرُهُ

وَمَنْ يَغْوِ لَا يَعْدَمُ عَلَى الْغَيِّ لَأَمَّا

وقال دريد بن الصمّة:

وهل أنا إلا من غزّيه إن غوت

غويت، وإن ترشّد غزّية أرشّد؟

والغى جاء بمعنى آخر وهو: الفساد

قال ابن الأعرابي: الغيُّ الفساد.

قال ابن بري: غوٍ هو اسم الفاعل من غوى لا من غوى وكذلك غوى، ونظيره: رشّد فهو راشدٌ ورشيدٌ فهو رشيدٌ وفي حديث "من يطع الله ورسوله فقد رشّد ومن يعصيهما فقد غوى" (1)

وفي حديث الإسراء "لو أخذت الخمر غوت أمّك" (2) أي ضلّت، وفي الحديث "سيكون عليكم أئمة إن أطعتموهم غويتهم" (3) أي إن أطاعوهم فيما يأمرونهم به من

(1) صحيح - وقد خرجته في "فتح المجيد".

(2) متفق عليه - وخرجته في النهاية في الفتن.

(3) متفق عليه - وخرجته في النهاية في الفتن.

الظلم والمعاصي غووا: أي ضلوا. وفي حديث موسى وآدم عليهما السلام "أغويت الناس" (1) أي خيبتهم: يقال: غوى الرجل خاب وأغوه غيره.

أي فسد عليه عيشه.

والغَوَّةُ والغِيَّةُ واحد.

قلت: وهذا هو المعنى الرابع.

المعنى الخامس: ترك النهي.

قال في "اللسان": وقيل: غَوَى أي: ترك النهي وأكل من الشجرة، فعوقب بأن أُخرج من الجنة.

وقال الليث: مصدر غوى الغي. قال: والغوايةُ الأَنهالكُ في الغيِّ.

ويقال: أغواه الله إذ أضلَّهُ.

وقال تعالى: ﴿فَأَغْوَيْتَكُمْ إِذَا كُنَّا غُورِينَ﴾ [الصفات: 32] وقال: ﴿قَالَ فِيمَا أُغْوِيْتَنِي لِأَقْعُدَنَّ

لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: 16] قيل: فيه قولان، قال بعضهم: فيما أضللتني. وقال

بعضهم: فيما دعوتني إلى شيء غويتُ به، أي: غويت من أجل آدم، ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أي: على صراطك.

والغاوون الشياطين. قال تعالى: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ [الشعراء: 224] وقيل:

الغاوون من الناس.

قال الرَّجَاجُ: والمعنى: أن الشاعر إذا هجا بما لا يجوزُ هَوَى ذلك قومٌ وأحبُّوه فهم

الغاوون. وكذلك إن مدح ممدوحاً بما ليس فيه، وأحبَّ ذلك قومٌ وتابعوه فهم الغاوون.

وأرض مَغْوَاهُ: مَصَلَةٌ. والأغويَّةُ: الهلكة.

والتغاوى: التعاون على الباطل (2).

قلت: من تدبر آيات "الغواية" يجد أنها تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

(1) خرجته بطرقه في "قصص الأنبياء".

(2) اللسان - مادة (غوى).

الأول: غواية منسوبة إلى الله جل جلاله كما في قوله تعالى على لسان إبليس اللعين

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي ﴾ [الحجر: 39]

وقال ﴿ قَالَ فِيمَا أَغْوَيْتَنِي ﴾ [الأعراف: 16] . وقال تعالى ﴿ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ

رَبُّكُمْ ﴾ [هود: 34]

قال القرطبي في تفسيره (152/4) في تفسير قوله تعالى: ﴿ قَالَ فِيمَا أَغْوَيْتَنِي ﴾

وقال تعالى: ﴿ فِيمَا أَغْوَيْتَنِي ﴾ الإغواء إيقاع الغي في القلب، أي: فيها أوقعت في قلبي من الغي والعناد والاستكبار. وهذا لأن كفر إبليس ليس كفر جهل، بل هو كفر عناد واستكبار... ثم قال:

"مذهب أهل السنة أن الله تعالى أضله وخلق فيه الكفر ولذلك نسب الإغواء في هذا إلى الله تعالى وهو الحقيقة، فلا شيء في الوجود إلا وهو مخلوق له، صادر عن إرادته تعالى، وخالف الإمامية والقدرية وغيرهم شيخهم إبليس الذي طاعوه في كل ما زينه لهم، ولم يطاعوه في هذه المسألة ويقولون: أخطأ إبليس وهو أهل للخطأ حيث نسب الغواية إلى ربه تعالى الله عن ذلك، فيقال لهم: وإبليس وإن كان أهلاً للخطأ فما تصنعون في بني آدم مكرم معصوم وهو نوح عليه السلام حيث قال لقومه ﴿ وَلَا يَفْعَلْكُمْ نَصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُنصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [هود: 34] - وقد روى أن طاوساً جاءه رجل في المسجد الحرام، وكان متها بالقدر، وكان من الفقهاء الكبار فجلس إليه فقال له طاوس: تقوم أو تقام؟

فقيل لطاوس: تقول هذا لرجل فقيه؟! فقال: إبليس أفه منه، يقول إبليس: ﴿ رَبِّ

بِمَا أَغْوَيْتَنِي ﴾ ويقول هذا: أنا أغوى نفسي". وقال القرطبي أيضاً (29/5):

قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَفْعَلْكُمْ نَصْحِي ﴾ أي: لأنكم لا تقبلون نصحاً ﴿ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ

يُغْوِيَكُمْ ﴾ أي: يضلكم، وهذا مما يدل على بطلان مذهب المعتزلة والقدرية ومن وافقهما إذ زعموا أن الله تعالى لا يريد أن يعص العاصي، ولا يكفر الكافر، ولا يغوي الغاوي، وأن يفعل ذلك والله لا يريد ذلك، فردّ الله عليهم بقوله: ﴿ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ ﴾

وقد كذبوا شيخهم اللعين أبلّيس على ما بينناه في "الأعراف" في إغواء الله تعالى إياه حيث قال ﴿فِيمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ ولا محيص لهم عن قول نوح عليه السلام: ﴿إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ فأضاف إغواءهم إلى الله سبحانه وتعالى إذ هو الهادي والمضل، سبحانه عما يقول الجاحدون والظالمون علواً كبيراً. وقيل (يغويكم) يهلككم بعذابه.

الثاني: نسبة الغواية إلى الشيطان:

قال تعالى: ﴿قَالَ فِعْرَازُكَ لِأَغْوَيْتَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص:82]، وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر:39]
قال القرطبي رحمه الله - (390/5).

قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ﴾ [الحجر:42] قال العلماء يعني: قلوبهم. وقال ابن عيينة: أي في أن يلقبهم في ذنب يمنعم عفوى ويضيقه عليهم، وهؤلاء الذين هداهم الله واجتباهم واختارهم واصطفاهم.

قلت: لعل قائلاً يقول: قد أخبر الله عن صفة آدم وحواء عليهما السلام بقوله ﴿فَأَزَلَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ [البقرة:36] وعن جملة من أصحاب نبيه بقوله: ﴿إِنَّمَا أَسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ [آل عمران:155] فالجواب ما ذكر وهو ليس له سلطان على قلوبهم، ولا موضع إيمانهم، ولا يلقبهم في ذنب يؤول إلى عدم القبول، بل تزيله التوبة وتمحوه الأوبة، ولم يكن خروج آدم عقوبة لما تناول. ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ﴾ يحتمل أن يكون خاصاً فيمن حفظه الله، ويحتمل أن يكون في أكثر الأوقات والأحوال، وقد يكون في تسلطه تفرج كربه وإزالة غمّة، كما فعل بلال، إذ أتاه يهديه كما يهدي الصبي حتى نام، ونام النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه فلم يستيقظوا حتى طلعت الشمس، وفزعوا وقالوا: ما كفارة صنعنا بتفريطنا في صلاتنا؛ فقال النبي صلى الله عليه وآله "ليس في النوم تفريط" ففرج عنهم (1) ﴿إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ أي: الضالين المشركين. أي سلطانه على هؤلاء، دليله ﴿إِنَّمَا سُلْطَنُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل:100].

(1) أخرجه مسلم في كتاب المساجد، باب قضاء الصلاة الغائبة (1/473) وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وأحمد.

قال البقاعي - رحمه الله - (223/4):

" (إن عبادي) أي عامة (ليس لك) أي بوجه من الوجوه (عليهم سلطان) أي لتردهم كلهم عما يرضيني (إلا من اتبعك) أي بتعمد منه ورغبة في اتباعك (من الغاوين) ومات عن غير توبة: فإني جعلت لك عليهم سلطاناً بالتزيين والإغواء "

وقال تعالى ﴿فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الأعراف: 175]. فقد بيّن رب العزة جل جلاله في هذه الآية أن الغواية كل الغواية في متابعة الشيطان، والضلال كل الضلالة في متابعة هذا اللعين.

فمن أراد الغواية والإضلال فليتبع آثار إبليس، وليسير على خطاه، ويقتدي به، ويسمع له ويطع!!

ولهذا أخبر عن آدم فقال تعالى ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ، فَغَوَى﴾ [طه: 121] قال القاسمي - رحمه الله: (7 / 160)

"عصى آدم بارتكاب النهي، وترك العزم في حفظ العهد (فغوى) أي: عن المأمور به. حيث اعتر بقول العدو"

قال العلامة الشنقيطي - رحمه الله - (375/4) -:

والمعصية خلاف الطاعة. فقوله (وعصى آدم ربه) أي لم يطعه في اجتناب ما نهاه عنه من قربان تلك الشجرة. وقوله (فغوى) الغي: الضلال وهو الذهاب عن طريق الصواب، فمعنى الآية: لم يطع آدم ربه فأخطأ طريق الصواب بسبب عدم الطاعة، وهذا العصيان والغى، بين الله جل في علاه - في غير موضع من كتاب أن المراد به أن الله أباح له أن يأكل هو وأمرته من الجنة رغداً حيث شاء، ونهاهما أن يقربا شجرة معينة من شجرها؛ فلم يزل الشيطان يوسوس لهما ويحلف لهما بالله إنه لهما ناصح، وإنهما إن أكلا منها نالا الخلود والملك الذي لا يبلى، فخدعهما بذلك كما نص الله على تلك في قوله:

﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ ﴿٣١﴾ فَذَلَّهُمَا بِغُرُورٍ ﴿٣٢﴾ [الأعراف: 21، 22] فأكلا منها، وكان بعض أهل العلم يقول: من خادعنا بالله خدعنا؛ وهو مروى عن عمر وفي حديث أبي هريرة عند أبي داود والترمذي والحاكم: "المؤمن غر كريم، والفاجر خب لئيم" (1).

(1) حسن/ أخرجه أبو داود والترمذي والحاكم، راجع الصحيحة (935).

وأُنشد لذلك نقطوية: -

إن الكريم إذا تشاء خدعته وترى اللئيم مجرباً لا يخدع

فآدم ما صدرت منه الزلة إلا بسبب غرور إبليس له. وقد قدمنا قول بعض أهل العلم: إن آدم من شدة تعظيمه لله أعتقد أنه لا يمكن أن يحلف به أحد وهو كاذب، فأنساه حلف إبليس بالله العهد بالنهي الأكل من الشجرة. وقوله بعض أهل العلم: إن معنى قوله: غوي أي فسد عليه عيشه بنزوله إلى الدنيا.

قائلوا: والغي؛ الفساد، خلاف الظاهر وإن حكاه النقاش واختاره القشيري وكذلك قول من قال: (فَغَوَى) أي بَشَمَ من كثرة الأكل. والبشم: التخمّة، فهو قول باطل. وقال فيه الزمخشري "الكشاف": وهذا وإن صحَّ على لغة من يقلب الياء المكسورة ما قبلها ألفاً فيقول في فني وبقى، فنا وبقا، وهم بنو طيء تفسير خبيث". وما أشار إليه الزمخشري من لغة طيء معروف؛ فهم يقولون للجارية: جارة، وللناصية ناصاة، ويقولون في بقي: بقي، كرمى. ومن هذه اللغة قول الشاعر:

لعمرك لا أخشى التصعلك ما بقى على الأرض قيسي يسوق الأباعرا

وهذه اللغة التي ذكرها الزمخشري لا حاجة لها في التفسير الباطل المذكور، لأن العرب تقول غوى الفصيل كرضى وكرمى: إذا بشم من اللبن.

وقوله تعالى في هذه الآية: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ﴾ [طه: 121] يدل على أن معنى "غوى" ضل عن طريق الصواب كما ذكرنا. وقد قدمنا أن هذه الآية الكريمة وأمثالها في القرآن هي حجة من قال بأن الأنبياء غير معصومين من الصغائر. وعصمة الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - مبحث أصولي لعلماء الأصول فيه كلام كثير واختلاف معروف، وسنذكر هنا طرفاً من كلام أهل الأصول في ذلك، قال ابن الحاجب في مختصره في الأصول:

مسألة:

الأكثر على أنه لا يمتنع عقلاً على الأنبياء معصية، وخالف الروافض، وخالف المعتزلة إلا في الصغائر؛ ومعتمدتهم التقيح العقلي. والإجماع على عصمتهم بعد الرسالة من تعمد الكذب في الأحكام؛ لدلالة المعجزة على الصدق. وجوّزه القاضي غلطاً

وقال: دلت على الصدق اعتقاداً. وأما غيره من المعاصي فالإجماع على عصمتهم من الكبائر والصغائر الخسيسة. والأكثر على جواز غيرهما.
وحاصل كلامه: عصمتهم من الكبائر، ومن الصغائر.
 وقال العلامة العلوي الشنقيطي في (نشر البنود شرح مراقي السعود) في الكلام على قوله:

والأنبياء عصموا. مما نهوا عنه ولم يكن لهم تفكه
 بجائز بل ذاك للتشريع أو نية الزلفي من الرفيع

ما نصه: فقد أجمع أهل الملل والشرائع كلها على وجوب عصمتهم من تعتمد الكذب فيما دل المعجز القاطع على صدقهم فيه؛ كدعوى الرسالة، وما يبلغونه عن الله تعالى الخلائق. وصدور الكذب عنهم فيما ذكر سهواً أو نسياناً منعه الأكثرون وما سوى الكذب في التبليغ، فإن كان كفوفاً فقد أجمعت الأمة على عصمتهم منه قبل النبوة وبعدها، وإن كان غيره فالجمهور على عصمتهم من الكبائر عمداً. ومخالف الجمهور الحشوية.

واختلف أهل الحق: هل المانع لوقوع الكبائر منهم عمداً العقل أو السمع؟ وأما المعتزلة فالعقل، لكنها لا تقع منهم، غير صغائر الخسة فلا يجوز وقوعها منهم لا عمداً ولا سهواً" وحاصل كلامه: عصمتهم من الكذب فيما يبلغونه عن الله ومن الكفر والكبائر وصغائر الخسة، وأن الجمهور على جواز وقوع الصغائر الأخرى منهم عقلاً؛ غير أن ذلك لم يقع فعلاً.

وقال أبو حيان في "البحر" في سورة "البقرة": وفي "المنتخب" للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي الفضل المرسي ما ملخصه: منعت الأمة وقوع الكفر من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، إلا الفضيلية من الخوارج قالوا: وقد وقع منهم ذنوب والذنوب عندهم كفر. وأجاز الإمامية إظهار الكفر منهم على سبيل التقية. واجتمعت الأمة على عصمتهم من الكذب والتحريف فيما يتعلق بالتبليغ، فلا يجوز عمداً ولا سهواً. ومن الناس من جَوَّز ذلك سهواً. وأجمعوا على امتناع خطئهم في الفتيا عمداً. واختلفوا في السهو، وأما أفعالهم فقالت الحشوية: يجوز وقوع الكبائر منهم على جهة العمد. وقال

أكثر. المعتزلة بجواز الصغائر عمداً إلا في القول كالكذب. وقال الجبائي: يمتنعان عليهم إلا على جهة التأويل؟ وقيل: يمتنعان عليهم إلا على جهة السهو والخطأ، وهم مأخوذون بذلك وإن كان موضوعاً عن أمتهم. وقالت الرافضة: يمتنع ذلك على كل جهة.

واختلف في وقت العصمة؛ فقالت الرافضة: من وقت مولدهم. وقال كثير من المعتزلة: من وقت النبوة. والمختار عندنا أنه لم يصدر عنهم ذنب حالة النبوة البتة لا الكبيرة ولا الصغيرة؛ لأنهم لو صدر عنهم الذنب لكانوا أقل درجة من عصاة الأمة لعظيم شرفهم وذلك محال، لئلا يكونوا غير مقبولي الشهادة، ولئلا يجب زجرهم وإبداؤهم، ولئلا يقتدي بهم في ذلك، ولئلا يكونوا مستحقين للعقاب، ولئلا يفعلوا ضد ما أمروا به لأنهم مصطفون، ولأن إبليس استثناهم في الإغواء، انتهى ما لخصناه من (المنتخب)، والقول في الدلائل لهذه المذاهب. وفي إبطال ما ينبغي إبطاله منها المذكور في كتب أصول الدين، انتهى كلام أبي حيان.

وحاصل كلام الأصوليين في هذه المسألة: عصتهم من الكفر، وفي كل ما يتعلق بالتبليغ، ومن الكبائر وصغائر الخسة كسرقة لقمة وتطيف حبة. وأن أكثر أهل الأصول على جواز وقوع الصغائر غير صغائر الخسة منهم. ولكن جماعة كثيرة من متأخري الأصوليين اختاروا أن ذلك وإن جاز عقلاً لم يقع فعلاً، وقالوا: إنما جاء في الكتاب ولاسنة من ذلك أن ما فعلوه بتأويل أو نسياناً أو سهواً، أو نحو ذلك.

قال مُقَيِّده - عفا الله عنه وغفر له: - الذي يظهر لنا أنه الصواب في هذه المسألة، أن الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - لم يقع منهم ما يزرى بمراتبهم العلية، ومناصبهم السامية. ولا يستوجب خطأ منهم ولا نقصاً فيهم - صلوات الله وسلامه عليهم - ولو فرضنا أنه وقع منهم بعض الذنوب لأنهم يتداركون ما وقع منهم بالتوبة، والإخلاص، وصدق الإنابة إلى الله حتى ينالوا بذلك أعلى الدرجات، فتكون بذلك درجاتهم أعلى من درجة من لم يرتكب شيئاً من ذلك، ومما يوضح هذا قوله تعالى:

﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ، فَغَوَى ﴿١٢١﴾ ثُمَّ أَجْبَنَهُ رَبُّهُ، فَفَأَبَّ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴿١٢٢﴾﴾ [طه: 121، 122]؛ فانظر أي

أثر يبقى للعصيان والغي بعد توبة الله عليه، واجتباؤه أي اصطفاؤه إياه، وهدايته له، ولا شك أن بعض الزلات ينال صاحبها بالتوبة منها درجة أعلى من درجته قبل ارتكاب تلك الزلة، والعلم عند الله تعالى.

قلت: هذه هو الموضع الأول، أما الموضع الثاني الذي ورد فيه لفظه "غوى" في قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَاضِلٌ صَاحِبِكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ [النجم: 1، 2] والمعنى هنا ليس كالمعنى هناك.

فقال الحافظ ابن كثير رحمه الله - (447/7): ﴿مَاضِلٌ صَاحِبِكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ هذا هو المُقْسَم عليه، وهو الشاهدة للرسول - صلوات الله وسلامه عليه - بأنه بار راشد تابع للحق، ليس بضال وهو: الجاهل الذي يسلك على غير طريق بغير علم، والغاوي: هو العالم بالحق العادل عنه قصداً إلى غيره، فنزه الله سبحانه وتعالى رسوله وشرعه عن مشابهة أهل الضلال كالنصارى وطرائق اليهود وهي علم الشيء وكتمانه والعمل بخلافه، بل هو صلوات الله وسلامه عليه، وما بعثه الله به من الشرع العظيم في غاية الاستقامة والاعتدال والسداد ولهذا قال تعالى ﴿وَمَا يَطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [النجم: 3] أي: ما يقول قولاً عن هوى وغرض.

قلت وقد مضى تفسير قوله وتعالى ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ [الشعراء: 224] أما قوله تعالى مبيناً جزاء الغاوين ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ [الشعراء: 91] وقد وردت (الغاوين) في أربعة مواضع هذا موضع والثاني في "الأعراف" آية (175) و"الحجر" آية (42) و"الصفات" رقم (32).

أما الموضع الثاني والثالث فقد سبق الكلام عليهما ، أما الأول: وهو قوله ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾.

قال القرطبي .رحمه الله. (108/7): "أي أظهرت يعني جهنم (للغاوين) أي الكافرين الذين ضلوا عن الهوى ، أي تظهر جهنم لأهلها قبل أن يدخلوها حتى يستشعروا الروع والحزن ، كما يستشعر أهل الجنة الفرح لعلمهم أنهم يدخلون الجنة".

قال ابن كثير - رحمه الله - (161/6) .

﴿ وَبُرِزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴾ أي: أظهرت وكشف عنها ، وبدت منها عنق ، فزفرت زفرة بلغت منها القلوب إلى الحناجر ، وقيل لأهلها تقريباً وتوبيخاً : ﴿ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴾ (٩٢) من دون الله هل ينصرونكم أو ينصرونكم ﴿ [الشعراء: 92، 93] أي: ليست الآلهة التي عبدتموها من دون الله ، من تلك الأصنام والأنداد تغني عنكم اليوم شيئاً ولا تدفع عن أنفسها ، فإنكم وإياها اليوم حسب جهنم أنتم لها واردون "

أما الموضع الآخر ففي قوله تعالى ﴿ فَأَعْوَيْنَكُمْ إِذَا كُنَّا غَوِينَ ﴾ [الصفات: 32].

قال الحافظ ابن كثير (10/7) :-

" يقول الكبراء للمستضعفين : حقت علينا كلمة الله : انا من الأشقياء الذائقين العذاب يوم القامة (فَأَعْوَيْنَكُمْ) أي : دعوناكم الى الضلالة . (إِنَّا كُنَّا غَوِينَ) أي : دعوناكم إلى ما نحن منه . فاستجبتم لنا ، قال الله تبارك وتعالى ﴿ فَأَتَتْهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ [الصفات: 33] أي الجميع في النار "

أقول : أما بقية آيات الغواية ، فقد جاءت بلفظ " الغاؤون " في موضعين الأول في

قوله تعالى ﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾

وقد سبق بيانه، والثاني في نفس السورة برقم 94 وهو قوله ﴿ فَكَبِّرُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴾ .

قال القرطبي (108/7) :

" (فَكَبِّرُوا فِيهَا) أي : قلبوا على رؤوسهم . وقيل : دُهوروا وألقى بعضهم على بعض . وقيل : جمعوا . مأخوذ من الكبكة وهي الجماعة ، قاله الهروي . وقال النحاس : وهو مشتق من كوكب الشيء أي معظمة ، والجماعة من الخيل كوكب وكبكة . قال ابن عباس : جمعوا فطرحوا في النار . وقال مجاهد : دهوروا . وقال وقائل : قذفوا . والمعنى واحد . فقول : دهورت الشيء إذا جمعته ثم قذفته في مهواة) وقوله (الغاؤون) الآلهة . وقال قتادة والكلبي ومقاتل : (الغاؤون) هم الشياطين "

قلت : أما بقية آيات الغواية فجاءت في أية واحدة بثلاثة ألفاظ ﴿ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ

أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ﴾ [القصص: 63] .

قال القرطبي (269/7):

﴿ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ ﴾ [القصص:63] وهم الرؤساء ، وقيل : الشياطين .

﴿ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا ﴾ أي دعوناهم إلى الغي ، فقيل لهم : أغويتموهم ؟

قالوا ﴿ أَغْوَيْنَهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ﴾ يعنون أضللناك كما كنا ضالين ﴿ تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ ﴾ أي

تبرأ بعضنا من بعض ، والشياطين يتبرءون ممن أطاعهم ، والرؤساء يتبرءون ممن قبل

منهم . كما قال تعالى ﴿ الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف:67] "

أقول : هؤلاء أئمة الكفر تبرؤا ممن اتبعوهم وقلدوهم على كفرهم وأغووهم بالكفر

والشرك والمعصية فنقول لعُبَاد القبور ، والطوفين حول الأضرحة ، والمتمسحين بها

والذين يدعون الموتى ويسألونها الضر والنفع إن الذين دعاكم وزين لكم هذا الكفر

أول من يتبرأ منكم يوم القيامة كما قال تعالى : ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا

وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَنَقَطَعْتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴾ [البقرة:166] وقال تعالى ﴿ إِيَّا هَؤُلَاءِ لَيَكُونُوا لَكُمْ

عِزًّا ﴾ (٨١) ﴿ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾ [مريم:81،82] والآيات كثيرة في

أن الرؤساء والزعماء الذين أضلوا شعوبهم ، والذين دعوا أقوامهم لعبادة غير الله ، أو

زينوا لهم المعاصي ، وحببوا إليهم الفسوق والعصيان ، سوف تبرءون من أتباعهم

وأقوامهم ومريديهم يوم القيامة كما نقول للشعوب البأسة المقلدة الحائرة الذين ساروا في

ركاب رؤسائهم وكبرائهم سوف يتبرؤون منكم يوم القيامة ، وساعتها تقولوا ﴿ قَدَّبَيْنَ

الرُّشْدَ مِنَ الْغَيِّ ﴾ [البقرة:256] ﴿ لَوْ أَن لَنَا كَرَّةٌ فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ

اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسْرَتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾ [البقرة:167]

أقول بقي من أفاض الغواية في القرآن : الغي وقد وردت في ثلاثة مواضع ، الأول قوله

تعالى ﴿ قَدَّبَيْنَ الرُّشْدَ مِنَ الْغَيِّ ﴾ [البقرة:256] والثاني والثالث في " الأعراف " ﴿ وَإِن يَكُرُوا

سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾ [146] وقوله تعالى ﴿ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴾ [202]

أما عن الموضع الأول فقال القرطبي - رحمه الله - (238/2) :

"قرأ أبو عبد الرحمن " قد تبين الرشد من الغي " (1) وكذا روى عن الحسن والشعبي ، يقال : رشد برشد رشد ، ورشد برشد رشدًا : إذا بلغ ما يجب ، وغوى ضده (2) وحكي ابن عطية عن أبي عبد الرحمن السلمي أنه قرأ " الرشاد " (3) بالألف وروى عن الحسن أيضا " الرشد " (4) بضم الراء والشين (الغي) مصدر من غوى يغوي إذا ضل في معتقد أو رأى ولا يقال : الغي في الضلال على الإطلاق "

أقول : من يطالع أقوال المفسرين يجد أن " الغي " كل معتقد فاسد أو رأى فاسد يخالف العقيدة الصحيحة والآراء السليمة .

فهي إذا أعم في معناها فتشمل الآراء والمذاهب الفكرية المعاصرة مثل : الديمقراطية ، والرأسمالية ، والشيوعية ، والأحزاب المتعددة والتي تصطدم بالإسلام ، وكل مذهب سوف يتجدد لأنه لا مذهب ولا رأى ولا معتقد إلا معتقد واحد هو ما عليه أهل السنة والجماعة ، سواء هذه المذاهب اعتقاديه أم فكرية ، والله أعلم .

فان الشيطان يزين للغاوين الباطل من المعتقدات والمذاهب والآراء إلى حد الدفاع والقتال من أجل هذه المذاهب ، والمعتقدات فتجد أهل " الفن " من الممثلين والممثلات يعتصمون من أجل عمل نقابة لهم ، فقامت واحدة منهم بالإضراب عن الطعام والشراب لمدة تزيد عن عشرين يوماً حتى أغشى عليها ... من أجل باطلها؟! وغيرها كثير

الموضع الثاني قوله ﴿وَأَن يَكْرُوا سَبِيلَ الْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ﴾ [الأعراف:146] قال القرطبي : يعني هؤلاء المتكبرون أخبر عنهم أنهم يتركون طريق الرشاد ويتبعون سبيل الغي والضلال ، أي الكفر ، يتخذوه ديناً ثم علل فقال ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِعَايِنَتِنَا﴾ أي ذلك الفعل الذي فعلته بهم بتكذيبهم ﴿وَكَاثِبُوا عَنْهَا عَنْفِلِينَ﴾ أي كانوا في تركهم تدبر الحق كغافلين .

(1) قراءات غير متواترة .

(2) إعراب القرآن لابن النحاس (1 / 331) .

(3) غير متواترة انظر تفسير ابن عطية (1 / 391) .

(4) غير متواترة انظر تفسير ابن عطية (2 / 391) .

أي من شيم أهل الكبر أنهم يتركون الحق كبراً ، ويتبعون الغي عناداً .
الموضع الثالث في نفس السورة قوله تعالى ﴿ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴾ [الأعراف:202] قال القرطبي :

"قيل المعنى وإخوانهم - إخوان الشياطين وهم الفجار من ضلال الإنس تمدهم الشيطان في الغي . وقيل : للفجار إخوان الشيطان لأنهم يقبلون منهم (وَلَا يُقْصِرُونَ) أي لا يتوبون ولا يرجعون ، وقال الزجاج: في الكلام تقديم وتأخير، والمعنى : والذين تدعون من دونه لا يستطيعون لكم نصراً ولا أنفسهم ينصرون ، وإخوانهم يمدونهم في الغي ، لأن الكفار إخوان الشياطين ، ومعنى الآية : إن المؤمن إذا مسه طيف من الشيطان تنبه عن قرب ، فأما المشركون فيمدهم الشيطان ، (وَلَا يُقْصِرُونَ) قيل يرجع إلى الكفار على القولين جميعاً، وقيل : يجوز أن يرجع إلى الشيطان ، قال قتادة : المعنى ثم لا يقصرون عنهم ولا يرحمونهم⁽¹⁾ والاختصار : الانتهاء عن الشيء ، أي لا تقتصر الشياطين في مدهم الكفار بالغي ، وقوله : (فِي الْغَيِّ) يجوز أن يكون متصلاً بقوله : (يَمُدُّونَهُمْ) ويجوز أن يكون متصلاً بالإخوان ، والغي الجهل ، وقرأ نافع (يَمُدُّونَهُمْ)⁽²⁾ بضم الياء وكسر الميم ، والباقون يفتح الياء وضم الميم، وهما لغتان مد وأمد، ومد أكثر ، بغير الألف ، قاله مكى ، النحاس⁽³⁾ : وجماعة من أهل العربية ينكرون قراءة أهل المدينة ، منهم أبو حاتم وأبو عبيد ، قال أبو حاتم : لا أعرف لها وجهاً ، إلا أن يكون المعنى يزيدونهم في الغي ، وحكي جماعة من أهل اللغة منهم أبو عبيد أنه يقال إذا كثّر شئ شيئاً بنفسه مده ، وإذا كثّر بغيره قيل أمده ، نحو ﴿يَمُدُّكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ أَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران:125] وحكي عن محمد بن يزيد أنه احتج لقراءة أهل المدينة : يقال مددت له في كذا أي زينته له واستدعيته أن يفعله ، وأمددته في : كذا أي أعتته برأي أو غير ذلك ، قال مكى : والاختيار الفتح ، لأنه يقال : مددت في الشر ، وأمددت في الخير ، قال الله تعالى ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة:15] فهذا يدل على

(1) رواه الطبري (108 / 9) .

(2) البحر المحيط (4 / 451) .

(3) البحر المحيط (4 / 451) .

قوة الفتح في هذا الحرف ، لأنه في الشر ، والغى هو الشر ، ولأن الجماعة عليه ، وقرأ
عاصم الجحدري (يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ) (1) وقرأ عيسى ابن عمر (يُقَصِّرُونَ) (2) يفتح الياء
وضم الصاد وتخفيف القاف ، الباقون (يُقَصِّرُونَ) بضده وهما لغتان ، قال امرؤ القيس :
*سما لك شوقٌ بعدما كان أقصرا *

بقي في هذا المعنى "لفظتين" الأولى : "لغوي" في قوله تعالى ﴿ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ [القصص: 18]

الثانية " لاغيا" في قوله تعالى ﴿ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ [مریم: 59] أما عن المعنى الأول
قال القرطبي :

﴿ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ والغوي يعني الخائب أي لأنك تشاد من لا تطيقه
وقيل : مُضِلٌّ بَيْنَ الضَّلَالَةِ ، قتلت بسببك أمس رجلاً وتدعوني اليوم لأخر ، والغوي
فعليل من أغوى يغوي وهو بمعنى مغو ، وهو كالوجيع والأليم بمعنى الموجه والمؤلم .
وقيل : الغوي بمعنى الغاوي ، أي إنك لغوي في قتال من لا تطيق رفع شره عنك " (3)

أما الموضع الثاني فقال البقاعي :

﴿ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ أي شرًا يتعقب ضلالاً عظيماً ، فلا يزالون في عمي عن طريق
الرشاد لا يستطيعون إليه سبيلاً وهم على بصيرة من أنهم على خطأ وضلالاً ، ولكنهم
مقهورون على ذلك بما زين لهم منه حتى صارت لهم فيه أتم رغبة ، وذلك أعظم الشرِّ
ولم يزل سبحانه يستدرجهم بالنعم إلى أن قطعوا بالظفر والغلبة حتي أناخت بهم
سوط العزة فأخذوا على غرّة ، ولا انكأ من الأخذ على هذه الصفة بعد توطين النفس
على الفوز ، وهو من وادي قوله ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عَمِيَائًا وَبُكْمًا وَصُمَّاءً ﴾
[الإسراء: 97] مع قوله ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ ﴾ [مریم: 38] وجزاء من كان هذا ديدنه في الدنيا
والآخرة معروف لكل من له أنى بصيرة أنه العار ثم النار ، وأيضا : فان من ضل أخطأ
طريق الفلاح من الجنة وغيرها مافخان ، ومن خاب فقد هلك ، قال أبو علي الجبائي :

(1) البحر المحيط (4 / 451) .

(2) البحر المحيط (4 / 451) .

(3) التفسير (7 / 236) .

والغي هو الخيبة في اللغة - انتهى - ويجوز ان يراد بالغي الهلاك، وأما من قولهم -أغوية - وزن أنفية - أي مهلكة وأما من تسمية الشيء باسم ما يلزمه "(1) .

وتحت هذا العنوان - غواية الشيطان - كتب ابن القيم - رحمه الله تعالى :

تدرج الشيطان في الإغواء النظر الرابع : نظره إلى الأمر له بالمعصية ، المزين له فعلها ، الحاض له عليها ، وهو شيطانه الموكل به .

فيفيده النظر إليه ، وملاحظته : اتخاذه عدواً ، وكمال الاحتراز منه ، والتحفظ واليقظة والانتباه لما يريد منه عدوه وهو لا يشعر . فانه يريد أن يظفر به في عقبة من سبع عقبات بعضها أصعب من بعض . لا ينزل منه العقبة الشاقة إلى ما دونها إلا إذا عجز عن الظفر به فيها .

العقبة الأولى : عقبة الكفر بالله وبدينه ولقائه وبصفات كماله، وبما أخبرت به رسله عنه فانه إن ظفر به في هذا العقبة بردت نار عداوته واستراح . فان اقتحم هذه العقبة ونجا منها ببصيرة هداية ، وسلم معه نور الإيمان طلبه على :

العقبة الثانية : وهي عقبة البدعة . أما باعتقاد خلاف الحق الذي أرسل الله به رسله ، وأنزل به كتابه . وأما بالتعبد بما لم يأذن به الله . من الأوضاع والرسوم المحدثه في الدين ، التي لا يقبل الله منها شيئاً . والبدعتان في الغالب متلازمتان . قل أن تنفك إحداهما عن الأخرى . كما قال بعضهم : تزوجت بدعة الأقوال ببدعة الأعمال . فاشتغل الزوجان بالعرس ، فلم يفاجأهم إلا أولاد الزنا يعيشون في بلاد الإسلام ، تضح منهم العباد والبلاد إلى الله تعالى .

وقال شيخنا : تزوجت الحقيقة الكافرة ، بالبدعة الفاجرة ، فتولد بينهما خسران الدنيا والآخرة .

فان قطع هذه العقبة ، وخلص منها بنور السنة ، واعتصم منها بحقيقة المتابعة ، وما مضى عليه السلف الأخيار ، من الصحابة والتابعين لهم بإحسان . وهيهات أن تسمح الإعصار المتأخرة بواحد من هذا الضرب ! فان سمحت به نصب له أهل البدع الحبائل ، ويغوه الغوائل ، وقالوا: مبتدع محدث .

(1) نظم الدر (4/ 546) .

فإذا وفقه الله لقطع هذه العقبة طلبه على :

العقبة الثالثة : وهي عقبة الكبائر فإن ظفر به فيها زينها له ، وحسنها في عينه . وسوف به وفتح له باب الإرجاء . وقال له : الإيمان هو نفس التصديق . فلا تقدر فيه الأعمال ، وربما أجرى على لسانه وأذنه كلمة طالما أهلك بها الخلق ، وهي قوله " لا يضر مع التوحيد ذنب ، كما لا ينفع مع الشرك حسنة " والظفر به في عقبة البدعة أحب إليه .

لمناقضتها الدين ، ودفعها لما بعث الله به رسوله . وصاحبها لا يتوب منها ، ولا يرجع عنها ، بل يدعو الخلق إليها ولتضمنها القول على الله بلا علم ، ومعاداة صريح السنة ومعاداة أهلها ، والاجتهاد على إطفاء نور السنة وتولية من عزله الله ورسوله وعزل من ولاه الله ورسوله ، واعتبار ما رده الله ورسوله ، ورد ما اعتبره ، وموالاته من عاداه ومعاداة من والاه ، وثبات ما نفاه ، ونفى ما أثبتته ، وتكذيب الصادق ، وتصديق الكاذب ، ومعارضة الحق بالباطل ، وقلب الحقائق ، بجعل الحق باطلا ، والباطل حقا ، والإلحاد في دين الله ، وتعميمه الحق على القلوب ، وطلب العوج لصراط الله المستقيم ، وفتح باب تبديل الدين جملة .

فان البدع تستدرج بصغيرها إلى كبيرها ، حتى ينسلخ صاحبها من الدين . كما تنسل الشعرة من العجين . فمفاسد البدع لا يقف عليها إلا أرباب البصائر ، والعميان ضالون في ظلمه العمى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾ [النور: 40]

فان قطع هذه العقبة بعصمة من الله ، أو بتوبة نصوح تنجيه منها ، طلبه على العقبة الرابعة .

والعقبة الرابعة : وهي عقبة الصغائر . فكال له منها بالقفران ، وقال : ما عليك إذا اجتنبت الكبائر ما غشيت من اللم ، أو ما علمت بأنها تكفر باجتنايب الكبائر وبالחסنات ولا يزال يهون عليه أمرها حتى يصر عليها . فيكون مرتكب الكبيرة الخائف الوجع الندام أحسن حالا منه . فالإصرار على الذنب أقبح منه . ولا كبيرة مع التوبة والاستغفار . ولا صغيرة مع الإصرار . وقد قال ﷺ : " إياكم ومحقرات الذنوب

- ثم ضرب لذلك مثلاً بقوم نزلوا بفلاة من الأرض، فأعوزهم الحطب، فجعل هذا يحيي بعودٍ، وهذا بعودٍ، حتى جمعوا حطباً كثيراً فأوقدوا ناراً، وأنضجوا خبرتهم، فكَذَلِكَ فإن محقرات الذنوب تجتمع على العبد - وهو يستهين بشأنها - حتى تُهْلِكَهُ (1) - فإن نجا من هذه العقبة بالتحرز والتحفظ ، ودوام التوبة والاستغفار ، وأتبع

السيئة الحسنة طلبه على :

العقبة الخامسة : وهى عقبة المباحات التى لا حرج على فاعلها ، فشغله بها عن الاستكثار من الطاعات ، وعن الاجتهاد فى التزود لمعاده، ثم طمع فيه أن يستدرج منها ترك السنن، ثم من ترك السنن إلى الوجبات، وأقل ما ينال منه : تفويته الأرباح والمكاسب العظيمة، والمنازل العالية، ولو عرف السعر لما فوّت على نفسه شيئاً من القربات ولكنه ولطته جاهل بالسعر .

فإن نجا من هذه العقبة ببصيرة تامة ونور هاد، ومعرفة بقدر الطاعات والاستكثار منها وقلة على الميئاد، وخطر التجارة وكرم المشتري، وقدر ما يعوض به التجار، بأوقاته، وضمن بأنفاسه أن تذهب فى غير ربح، طلبه العدو على العقبة السادسة.

العقبة السادسة: وهى عقبة الأعمال المرجوحة المفصولة من الطاعات، فأمره بها، وحسنها فى عينه، وزينها له. وأراه ما فيها من الفضل والربح، ليشغله بها عما هو أفضل وأعظم كسباً وربحاً. لأنه لما عجز عن تحسيره أصل الثواب، طمع فى تحسيره كماله وثقته ودرجاته العالية. فشغله وفضله عن الفاضل، وبالمرجوح عن الراجح، والمحبوب لله عن الأحب إليه، وبالمرضى عن الأرضى له.

لكن أين أصحاب هذه العقبة؟ فهم الأفراد فى العالم، والأكثرون قد ظفر بهم فى العقبات الأولى.

فإن نجا منها بفقهِ فى الأعمال ومراتبها عند الله، ومنازلها فى الفضل، ومعرفة مقاديرها والتميز بين عاليها وسافلها، ومفضلوها وفاصلها، ورئيسها ومرؤوسها، وسيدها ومسودها. فإن فى الأعمال والأقوال سيئاً ومسوداً ورئيساً ومرؤوساً، وذروة

(1) أخرجه أحمد (5/ 331) من حديث سهيل بن سعد وصححه الألباني - الصحيحة (389)

وما دونها كما في الحديث الصحيح " سيد الاستغفار: أن يقول العبد: اللهم أنت ربي، لا اله إلا أنت " (1)

الحديث، وفي الحديث الآخر: " الجهاد ذروة سنام الأمر " (2)

وفي الأثر الآخر " إن الأعمال تفاخرت. فذكر كل عمل منها مرتبته وفضله، وكان للصدقة مزية قي الفخر عليهن " ولا يقطع هذه العقبة إلا أهل البصائر والصدق من أولى العلم، السائرين على جادة التوفيق، قد أنزلوا الأعمال منازلها وأعطوا كل ذي حق حقه.

فإذا نجا منها لم يبق هناك عقبة يطلبه العدو عليها سوى واحدة لا بد منها، ولو نجا منها أخذ لنجا منها رسل الله وأنبياءه، وأكرم الخلق عليه، وهي عقبة تسليط جنده عليه بأنواع الأذى، باليد واللسان والقلب، على حسب مرتبته في الخير. فكلما علت مرتبته أجلب عليه العدو بخيله ورجله، وظاهر عليه بجنده. وسلط عليه حزبه وأهله بأنواع التسليط، وهذه العقبة لا حيلة له في التخلص منها. فإنه كما جدَّ في الاستقامة والدعوة إلى الله، والقيام له بأمره، جد العدو في إغراء السفهاء به، فهو في هذه العقبة قد لبس لأمة الحرب وأخذ في محاربة العدو لله وبالله، فعبوديته فيها عبودية خواص العرفين، وهي تسمى عبودية لعدوه، وإغاظته له. وقد أشار سبحانه إلى هذه العبودية في مواضع المرغمة، ولا يتنبه لها إلا أولو البصائر التامة، ولا شيء أحب إلى الله من مراغمة وليه لعدوه، وإغاظته له. وقد أشار إلى هذه العبودية في مواضع من كتابه (3).



(1) متفق عليه وسيأتي تحريجه

(2) أخرجه أحمد (23/5) والترمذي (26/6) والنسائي وابن ماجه (39/13) من حديث معاذ بن جبل

ﷺ وهو صحيح .

(3) كتاب مدارج السالكين (185 - 188).

(6)



تخويف الشيطان

الخوف مفرداً ومجموعاً ورد في مائة وستة وثلاثين موضعاً، لم يقرن إلا في موضع واحد بالشيطان في القرآن كله في قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ۗ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: 175]

وتخويف الشيطان للإنسان بأمور كثيرة تفوق الحصر، فالخوف أحد الأسلحة التي يستخدمها الشيطان للفتك بالإنسان وهو سلاح في غاية الخطورة، خاصة مع ضعف الإيمان، والذين ليس عندهم يقين أو ضعف يقين.

فهو يخوفهم من كل شيء يخوفهم إذا أذنبوا أن لا يغفر لهم، بل يبأسهم من رحمة الله، ولقد استغل الشيطان خوف بعض العباد فأفرتوا في الخوف ﷺ وصلوا المرحلة اليأس.

ويخوفهم بالرزق، فيشغلهم بالرزق والبحث عنه، والجري وراءه وأن الأبناء قد يموتون جوعاً إذا لم تعمل وتواصل العمل بالعمل، وأن تنتقل من عمل إلى عمل، حتى يضع العمر في البحث عن الرزق، فلا هو قنع بما رزقه الله، ولا هو استغل عمره في الطاعة وطلب العلم، فمات يوم مات جاهلاً، غير قانع برزق، ولا هو الذي شبع في الدنيا وأغنى أولاده!!

ويخوفه من غد، ويحمله هم غد، ويظل يشغل همه بالغد، حتى خشى طلوع الشمس عليه، هروبا من الغد.

يخوفه من الفقر، ويجعل الفقر شبح يخيفه به ليلاً ونهاراً.

يخوفه من أولاده، وزوجته، واخواته، فربما قتله بالخوف.

يخوفه من الجهاد في سبيل الله، وفي ساحة القتال ويقول له: تجاهد فتقتل، فترمل زوجتك وتيتيم أولادك ويقسم ميراثك ويتمتع به غيرك.

يخوفه ذنبه، فيقول له: أنت فعلت كذا وتريد أن تتوب هيهات هيهات .. أين أنت

من فلان الذي لم يذنب؟ وفلان الذي بشره النبي ﷺ بالجنة... أتريد أن تلحق بهؤلاء وأنت مذنب ويجعل من الصغيرة، كبيرة، ويجعل من الكبيرة صغيرة، فمرة يهون له الذنب الكبير، ويزينه له ويقول له: فلان أذنب، وفلان الفلاني صاحب العلم والعبادة ارتكب كذا وكذا من الذنوب، وتارة يهول له الصغيرة في نظره فيجعلها كبيرة... حتى يوصله لليأس من رحمة الله.. فتارة يبلغه إلى القنوط، وتارة بأمنه من مكر الله تعالى.

قال الحافظ بن كثير (192/2) :-

﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ﴾ أي: يخوفكم أولياءه، ويوهمكم أنهم ذرو بأس وذور شدة، قال تعالى ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ أي: فإذا سؤل لكم وأوهمكم فتوكلوا على والجنوا إلى، فأنا كافيكم وناصركم عليهم، كما قال تعالى ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ۗ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۗ ﴾ [الزمر: 36] إلى قوله تعالى ﴿ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [الزمر: 38]

أقول: ومن أضرار تخويف الشيطان للبعد أنه ينسيه الخوف من الله تعالى، لأنه انشغل به، وسيطر عليه، فقطعه عن هذه المنزلة العظيمة، وأفقده الثقة بالله، وشغله بالخوف من كل شيء أصبح يخاف من نفسه.

قال ابن القيم - رحمه الله - في "المدارج" (410/1):

" ومنزلة الخوف من الله تعالى .. هي من أجلّ منازل الطريق، وأنفعها للقلب، وهي فرض على كل أحد .

قال تعالى: ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: 175] وقال تعالى: ﴿ وَإِنِّي فَأَرْهَبُونَ ﴾ [البقرة: 40] وقال تعالى: ﴿ فَلَا تَخْشَوْا أَلْتَكَا سَ وَأَخْشَوْنَ ﴾ [المائدة: 44] ومدح أهله في كتابه وأثنى عليهم فقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴾ [المؤمنون: 57] إلى قوله تعالى: ﴿ أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾ [المؤمنون: 61] وفي المسند والترمذي عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قلت يا رسول الله، قول الله ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً تَاوًا قُلُوبِهِمْ وَجِلَةً ﴾ [المؤمنون: 60] أهو الذي يزني، ويشرب الخمر،

ويسرق، قال: لا يا ابنة الصديق. ولكنه الرجل يصوم ويصلي يتصدق، ويخاف أن لا يقبل منه" قلت: والحديث صحيح.

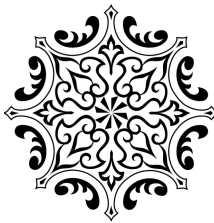
قال الحسن: عملوا والله بالطاعات واجتهدوا فيها، وخافوا أن ترد عليهم إن المؤمن جمع إحسانا وخشية، والمنافق جمع إساءة وأمناً.

والوجل، والخوف، والخشية، والرغبة، ألفاظ متقاربة غير مترادفة وراجع هذه المنزلة، ومعنى الخوف في الكتاب السابقة.

قلت: وكثيراً ما يحضر عندي شباب وفتيات قد امتلكهم الخوف، حتى قال بعضهم: أخشى أن أمشي بين البيوت والعمارات حتى لا تسقط عليّ، وأن أمشي على كبري علوي أو على كبرى فوق الماء حتى لا يسقط بي في الماء، حتى حبسه الخوف في بيته - نعوذ بالله من مثل هذا الخوف..

والناس اليوم على اختلاف أجناسهم وانتماءاتهم قد سيطر عليهم الخوف الذي بثه الشيطان في نفوسهم وألقاه إبليس في روعهم، وحتى لا ينكشف إبليس نوع هذا الخوف عند الناس فهذا يخشى الفقر كما قال تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾ [البقرة:268] وهذا يخشى الدين، فيصبح في هم ويمسي في هم.

وهذا يخشى قلة المال، وآخر يخشى فوات الرزق، وتنوع إبليس في تخويفه للبشر، فأوقع الناس في الكذب والمراهنة والغش، والمكر، والتحاييل غير المشروع، وساءت أخلاق الناس تبعا لشدة ونوع خوفهم، نعوذ بالله من هذا كله.



(7)



نزغ الشيطان

(نزغ) النَّزْعُ؛ أن تَنْزَعُ بين قوم فَتَحْمِلَ بعضهم على بعض بفساد بينهم. وَنَزَعٌ بينهم يَنْزَعُ وَيَنْزَعُ نَزْعًا: أغرى وأفسد وحمل بعضهم على بعض.

وَالنَّزْعُ: الكلام الذي يُغري بين الناس وَنَزَعَهُ: حَرَكَةُ أدنى حركة. وَنَزَعُ الشَّيْطَانُ بينهم يَنْزَعُ نَزْعًا أي أفسد وأغرى. قوله تعالى ﴿وَأَمَّا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ [الأعراف: 200] نَزَعُ الشَّيْطَانُ: وَسَاوِسُهُ وَنَحَسُهُ في القلب بما يُسَوِّوُلُ لِلإنسان من المعاصي، يعني يُلقِي في قلبه ما يُفْسِدُهُ على أصحابه.

قال الرَّجَّاحُ: معناه؛ إن نالك الشيطان أدنى نَزَعٍ ووسوسةٍ وتحريكٍ يَصْرِفُكَ عن الاحتمال، فاستعد بالله من شره وأمض على حُكْمِكَ.

أبو زيد: نَزَعْتُ بين القوم وتَزَأْتُ ومَأَسْتُ كُلَّ هذا من الإفساد بينهم، وكذلك دَحَسْتُ وآسَدْتُ وَأَرَشْتُ. وفي حديث عليٍّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - "ولم تَرَمِ الشُّكُوكُ بنوازغها عزيمة إيمانهم النَّوَازِعُ: جمع نازغة من النَّزْعِ وهو الطعنُ والفسادُ.

وفي الحديث "صياح المولود حين يقع نَزْعُهُ من الشيطان" (1) أي: نَحَسُهُ: وطعنة وربما كان النَّزْعُ: ذكر قُبْحِ الرجل.

قال في اللسان؛ وَنَزَعُ الرجل يَنْزَعُهُ نَزْعًا: ذكر بقبیح. ورجل مُنَزَعٌ وَمُنَزَعَةٌ وَنَزَّاعٌ: يَنْزَعُ الناس. أي يذكُرهم بقبیح أعمالهم.

وَالنَّزْعُ: شبه الوخز والطعن. وَنَزَعَهُ بكلمة نَزْعًا: نَحَسَهُ وَطَعَنَ فيه مثل نَسَعَهُ وَنَدَعَهُ وَنَزَعَهُ نَزْعًا: طعنه بيدٍ أو رُمح.

وفي حديث ابن الزبير: "فنزعه إنسان من أهل المسجد بنزيعه" أي رماه بكلمة سيئة. وأدرك الأمر بِنَزَعِهِ أي بحدثه ثانياً "عن ثعلب" (2)

قول: والنزغ في القرآن ذكر في ستة مواضع.

(1) سيأتي تخريجه ولفظه.

(2) اللسان مادة (نزغ).

في موضعين في الأعراف في قوله تعالى ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [200] ومثلها في سورة فصلت الآية رقم (36) فهذه أربعة مواضع.

الخامس في قوله تعالى: ﴿ حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ﴾ [يوسف: 100] والأخير في قوله تعالى ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ﴾ [الإسراء: 53] والنزغ: هو الدخول في أمرٍ لإفساده (1)

قال ابن زيد: "نزغت بين القوم: إذا أفسدت بينهم" (2)
وقال الفخر الرازي: "وقيل النزغ: الإزعاج، وأكثر ما يكون عند الغضب وأصله الإزعاج بالحركة إلى الشر" (3)

فالنزغ من الخطط الإبليسية، والوسائل الشيطانية للإفساد بين الناس، وتأليبهم ضد بعض، ويقوم بتهييج الغضب لدى جميع الأطراف لايقاع الفتنة بينهم، وزع الشر في نفوسهم، حتى إذا تمكن الغضب منهم حرَّكهم هذا الغضب إلى ما لا يُحمد عقباه. والنزغ أيضاً: نوعٌ من أنواع الوسوسة التي يتصيد بها الشيطان أتباعه للتحريش بينهم، وإلقاء العداوة والبغضاء فيما بينهم".

فهو يلقي النزغ في صدور الأخوة وذلك لتفريق جماعتهم، وتوغير صدورهم بالعدوة إلى درجة أن يقتل بعضهم بعضاً كما في قصة يوسف مع إخوته. بعد أن نزغ الشيطان أي أمدهم بالعداوة، وأوغر صدورهم بالحسد والحقد، وأتلف عقولهم بالوسوسة.

ولهذا قال القاسمي في "تفسيره" (5/ 247) في تفسير آية الأعراف ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ ﴾ [فصلت: 36] أي: يُصيبك من الشيطان وسوسة تثير غضبك

(1) معجم مفردات ألفاظ القرآن مادة (تنزغ).

(2) روح المعاني (9/ 147).

(3) التفسير الكبير (15/ 97).

على جهلهم وإساءتهم، وتحملك على خلاف ما أمرت فيه بالعتو والأمر بالمعروف (فاستعذ بالله) أي: استجر بالله، وادعه في دفعه ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: 200] أي: لدعائك (عليم) باستعاذتك.

قال الزمخشري: النزغ والنسغ: الغرز والنخس، كأنه ينخس الناس حين يغريهم على المعاصي. أي: فشبهت وسوسته وإغراؤه بالغرز، وهو إدخال الإبرة وطرف العصا وما يشبهه في الجلد، كما يفعله السائق لحث الدواب. وجعل النزغ نازغاً مجازاً بالإسناد، لجعل المصدر فاعلاً، كجد جده.

قال أبو السعود: وفي الأمر بالاستعاذة بالله تعالى تهويل لأمره وتنبيه على أنه من الغوائل الصعبة التي لا يتخلص من مضرتها إلا بالالتجاء إلى حرم عصمته عز وجل " (1)

قال القرطبي (4 / 298 - 299):

﴿وَمَا يَزَعَنَّكَ﴾ ونزغ الشيطان، وساوسة، وفيه لغتان: نزغ ونغز. يُقال: إياك والنزاع والنغاز، وهم المورثون.

قال الزجاج: النزغ أدني حركة تكون، ومن الشيطان أدني وسوسة: ومعنى ﴿يَزَعَنَّكَ﴾ يُصِيك ويُعرض لك عند الغضب وسوسة بما لا يحل - ثم قال:

"والنغز والنزغ والهمز والوسوسة سواء. قال الله تعالى ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [المؤمنون: 97] وقال تعالى ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ [الناس: 4] وأصل النزغ الفساد، يقال: نزغ بيننا أي أفسد بيننا. ومنه قوله تعالى ﴿نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ [يوسف: 100] أي أفسد، وقيل: النزغ: الإغواء والإغراء، والمعنى متقارب"

قال الحافظ بن كثير: (3 / 583):

"وإما يغضبَنَّك من الشيطان غضبٌ يصدك على الإعراض عن الجاهلين ويحملك على مجازاتهم (فاستعذ بالله) يقول: فاستجر بالله من نزغه ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: 200] يقول: إن الله الذي تستعيد به من نزغ الشيطان سميع بجهل الجاهل

عليك، والاستعاذة به من نزغه، ولغير ذلك من كلام خلقه، ولا يخفي عليه منه شيء،
 عليم بما يُذهب عنك نزغ الشيطان، وغير ذلك من أمور خلقه"
 وقد فسر الطبري الهمز بالغمز. (1)

وقال ابن القيم: "والتحقيق أن الهمز - دفعٌ بنخز، وغمزٌ يشبه الطعن، فهو دفع
 خاص، فهزمت الشياطين: دفعهم الوسوس والإغواء إلى القلب" (2)
 "فالشيطان ينخس الإنسان ويدفعه إلى سُبُل الهلاك والفساد من خلال وسوسته له
 بالمعاصي والردائل، وهمزة له بتأجيج لهب الغضب في نفسه، فيتخبّطه ويقوده إلى الفخّ
 الذي نصبه له، ولذا فقد أمر الله تعالى - نبيه ﷺ وأُمَّته من بعده أن يتعوذوا بالله من
 همزات الشياطين وحضورهم قال تعالى ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾ (3)
 وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون: 97، 98] (3)

"فالشيطان يتسلّط على الإنسان بنزغه وهمزة ليصرفه عن طاعةٍ توجّه لامثالها، أو
 يستحثه أو يزين له معصيةً رغب عنها، وكثيراً ما يُلهب في نفسه سياط الغضب
 فيتخبّطه ويقوده ليقع في فخ طاعته، ويلحظ أن الذي يتسلط عليه الشيطان بنزغه
 وهمزة يميل إلى شدة الغضب والانفعال والخطأ، ويلاحظ على وجهه الشحوبة
 والعبوس، وحدة وشدة في ألفاظه التي يُطلقها، وتختلف نبرات صوته ولهجة حديثه،
 ويفقد الحُلم والرّوية، وتهيج لديه حمة الانتقام والإعراض عن العفو والصفح، مع
 شعوره بإختناق وضيق شديد في نفسه، وربما نفّس عنه بالصراخ أو البكاء" (4)

وأما قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ

كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ [الإسراء: 53]

قال الحافظ ابن كثير (91/5):

"يأمر تعالى رسوله ﷺ أن يأمر عباد الله المؤمنين أن يقولوا في مخاطبتهم ومحاورتهم

(1) تفسير الطبري (18 / 51)

(2) إغاثة اللهفان (1 / 113).

(3) عداوة الشيطان (ص: 283).

(4) وسائل إهلاك الشيطان للإنسان (ص: 83).

الكلام الأحسن والكلمة الطيبة، فإنه إذا لم يفعلوا ذلك نزع الشيطان بينهم وأخرج الكلام إلى الفعال، ووقع الشرُّ والمخاصمة والمقاتلة فإن الشيطان عدو لآدم وذريته من حين أمتنع من السجود لآدم، فعداوته ظاهرة بينة، ولهذا نهي أن يشير الرجل إلى أخيه المسلم بحديده، فإن الشيطان ينزع في يده، أي: فرما أصابه بها"

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: "لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح، فإنه لا يدري أحدكم لعل الشيطان أن ينزع في يده، فيقع في حفرة من نار" (1) أقول: إن نزع الشيطان للإنسان يأتي على صور متعددة، وبجميع الجوارح، لأنه قال سبحانه ﴿وَمَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ﴾ [فُصِّلَتْ: 36] وقال ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ﴾ [الإسراء: 53] فذكر النزع العام، وخص في القرآن نوع واحد وهو "اللسان" وذلك أن جميع المصائب والجرائم التي ترتكب عن طريق اللسان، فطلب الله من عباده أن يقولوا التي هي أحسن، وهي صيغة أفضل أو أفعل، أي الواجب على كل إنسان أن يقول التي هي أحسن من القول والوصف، ولا يقل عن رتبة الأحسن إلى رتبة الحسن وإلا وقع اللوم.

فنزع اللسان ربما وقع بالغبية والنميمة - لأن معنى النزع، الكلام التي يفسد بين الناس.

وربما كان النزع السبب والعن في الآخرين، ويكون بالفحش وقول الخنا - والمسلم ليس بالسباب. ولا الطعان ولا الفاحش والبرئ.

وربما كان النزع بنقل المساوي، أو الكذب، ولو أنت بحثت في جميع المشاكل التي أدت إلى إنقطاع الأرحام وهتك الأوصال لوجدتها من نزع اللسان. وربما نزع الشيطان على لسانه فقال بالكفر ونطق بالشرك.

ونحن نرى هذه الأيام أن الشيطان قد تسلط على السنة كثير من المتحدثين في "التلفاز" وجميع القنوات، فنطقوا بهزيان، وقالوا هزيات، وتحدثوا بالهزيان - واسمع إلى جمال البنا - ذلك الخيaban التي تسلط عليه الشيطان، وضحك عليه العميان، وقالوا له: إنك من علماء الواحد الديان، وهو والشيطان سيان.

(1) أخرجه أحمد (2/337) والبخاري (7072) ومسلم (4/126/2020).

وغيره من أصحاب القلوب والعقول الخربة الذين امتلأت بهم ساحات المتكلمين - فهذا وأمثاله نزع الشيطان على ألسنتهم، وفي قلوبهم وعلى عقولهم فذهبوا يجلون الحرام، ويجررون الناس من عبادة الله لعبادة الشيطان فعليهم من الله ما يستحقون. واللسان يخرج منه نحو من عشرين كبيرة كلها من نزع الشيطان، لذلك قال الله تعالى: ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [الإسراء: 53].

والنزع في الفعل كما سبق في الحديث السابق "لعل الشيطان ينزع ما في يده" يعني يطعن يده وينزع عقله فيشهر سيفه ويضرب به، ويقتل الأبرياء - وهذا من نزع الشيطان.

والنزع في العقل، كما في الحديث الصحيح "يأتي الشيطان أحدكم فيقول له من خلقك فتقول الله، فيقول من خلق الله؟... (1) الحديث

والنزع في الفرج - فربما تسلط عليه الشيطان، وتسلط على إحليله فينزع منه الشهوة، وربما المتعة بزوجته، وعندما يرى أجنبية أو محرمة عنه، يداعب أحليله وينفخ في ذكره، فيتناول على المحرمات ويأتي المحارم، ويفعل بهن الفاحشة، ويجد في ذلك متعة ولذة!!

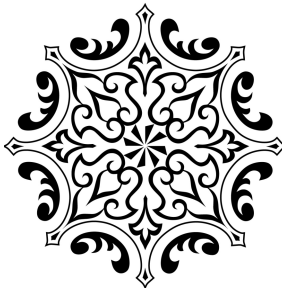
وينزع في بطنه فيستمتع بالطعام الحرام، ويشهيه للربا، وغير ذلك، وإذا ما أكل حلالاً أخذ الشيطان منه كل مأخذ حتى يتقبي فيستريح، فإذا ما أكل الحرام وجد له لذة ومتعة...!!

وينزع يده... فيكتب الهجاء، ويكتب الغناء ويجد في هذا الحرام ضالته المنشودة، وإذا كتب العلم وقع التعب والملل والصد الغريب العجيب.. وربما شُلت يده! فيقدم على كتابة المحرمات، والرسائل المشحونة بالغرام، وربما أذى غيره بيده... فهو سريع في معصية الله بطى في طاعة الله.

ونزع العقل يأتي على صور، فربما أوهمه ووسوس له أنه عالم زمانه، وفقهه وقته، ومحدث عصره، الخ... فيجعله يقول بلا علم، ويفتي، ويهرف بما لا يعرف.

(1) سيأتي في السنة.

وسياتي في السنة أن الشيطان يتلاعب بمقاعد ابن آدم.
 وأنه أيضاً يتلاعب بحيض النساء وسماه الرسول ﷺ بـ "ركضة الشيطان".
 إلى غير ذلك من الصور الكثيرة جداً التي تأتي عن طريق نزع الشيطان نعوذ بالله من
 همزه ونفته ووخزة ونزغه، ومن الشيطان الرجيم.



(8)



رجز الشيطان

ذكر الله تعالى الرجز في القرآن في عشرة مواضع، موضع واحد فقط الذي قرن بالشيطان في قوله تعالى: ﴿وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ، وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْسَ الشَّيْطَانِ﴾ [الأنفال: 11]

ويقية المواضع نوع فيها الرجز، وسنذكر أنواعها إن شاء الله تعالى.

أما معنى الرجز:

الرَّجْزُ: القَدْرُ مثل: الرَّجْسُ. والرَّجْزُ: العذاب. والرَّجْزُ والرُّجْزُ: عبادة الأوثان. وقيل: هو الشُّرك ما كان تأويله أن مَنْ عَبَدَ غيرَ الله تعالى فهو على ريب من أمره واضطراب من اعتقاده، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ [الحج: 11] أي شك وغير ثقة ولا مُسَكَّة ولا طمأنينة، وقوله تعالى ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [المدثر: 5] قال قوم هو صنم وهو قول مجاهد - والله أعلم.

قال أبو إسحاق: قرئ "والرَّجْزُ والرُّجْزُ" بالكسر والضم ومعناها واحد، وهو العمل الذي يؤدي إلى العذاب. وقال تعالى: ﴿لَئِن كَشَفَتْنَا عَنْكَ الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ﴾ [الأعراف: 134] هو العذاب.

أصل الرَّجْزِ فِي اللُّغَةِ: تتابع الحركات. ومن ذلك قولهم: ناقة رَجْزَاءُ إذا كانت قوائمها ترتعد عند قيامها، ومن هذا رَجْزُ الشَّعْرِ لأنه أقصر أبيات الشعر والانتقال من بيت إلى بيت سرعٌ نحو قوله

صبرا بني عبد السِّدَارِ

وكقوله:

* ما هاجَ أحزاناً وشجواً قد شَجَا*

قال أبو إسحاق: ومعنى الرَّجْزِ فِي الْقُرْآنِ هو العذاب المُتَّقِلُّ لشدته وله قلقلةٌ شديدةٌ متتابعة.

وقوله تعالى: ﴿وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْسَ الشَّيْطَانِ﴾ قال المفسرون: هو وساوسة وخطاياها،

وذلك أن المسلمين كانوا في رمل تسوخ فيه الأرجل، وأصابت بعضهم الجنابة فوسوس إليهم الشيطان بأن عدوكم يقدرون على الماء وهم لا يقدرون عليه، وخیل إليهم أن ذلك عونٌ من الله تعالى لعدوهم، فأمر الله تعالى المكان الذي كانوا فيه حتى تطهروا من الماء، واستوت الأرض التي كانوا عليها وذلك من آيات الله عز وجل.

"ووسوس الشيطان رجزاً"

قلت: وبنحو هذا أجاب جُلُّ المفسرين، فلا حاجة لإعادة الكلام.

أما بقية معنى الرجز:

فقال تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لِيُنزِلَ عَلَيْنَا مَاءً كَالْمَاءِ الَّذِي يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ فَيَكُونُ لَنَا مِن مِّمِّهِمْ كَمَا لَبِيتُمْ آلِ عَادَ يَأْتِيهِمُ الرِّجْزُ فَكُونُوا لِلرِّجْزِ عَاقِبَةً ذَاتِ تَلَوُّنٍ﴾ [الأعراف: 134، 135]

فهذه ثلاثة مواضع في سورة واحدة، والموضع الرابع فيها برقم [162] قوله ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّجْزَ مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ [162] [وفي سورة البقرة آية [59] قوله تعالى: ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ .

السابع: في سورة سبأ آية (5) قوله: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ

مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٍ﴾

الثامن: في قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٍ﴾ [الجاثية: 11] والأخير قوله: ﴿وَالرِّجْزُ فَاهْجُرْ﴾ [المدثر: 5] والرجز في جميع المواطن بمعنى واحد تقريباً، وفي موضعين فقط فيها معنى زائد، ففي سورة سبأ والجاثية معنى زائد وهو قوله: ﴿عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٍ﴾ قال القرطبي:

والرجز العذاب، أي لهم عذاب من عذاب أليم "دليله قوله تعالى: ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ أي: عذاباً. وقيل: الرجز القدر مثل الرجس وهو كقوله تعالى: ﴿جَهَنَّمَ وَيُسْقَى مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: 16] أي لهم عذاب من تجرع الشراب القدر".

فقوله: ﴿عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٌ﴾ مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ [يوسف:17] الإيمان هو التصديق، لكن في وصف العذاب بأنه رجز هذا شيء زائد في الوصف، وربما كان العذاب شيء والرجز عذاب آخر أشد إيلاماً، أي عذاب موصوف بالألم، مثل العذاب المهين، والعذاب الشديد، والعذاب المهين، عذاب فيه مهانة، مثل العذاب يدور في الرحي في النار، فهو وصف زائد لشدة ما أتى به من المعاصي، والله أعلم أما في قوله تعالى: ﴿وَالرَّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [المدثر:5].

قال القرطبي (58 / 10):

"قال مجاهد وعكرمة ﴿وَالرَّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ يعني الأوثان، دليله قوله تعالى: ﴿فَأَجْتَكِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ [الحج:30] قاله ابن عباس وابن زيد. وعن ابن عباس قال: والمأثم فاهجر، أي فاترك، وكذا روي مغيرة عن إبراهيم النخعي قال: الرُّجْزُ الإثم. وقال قتادة: الرجز: إساف ونائلة صنمان كانا عند البيت. وقيل: الرجز العذاب، على تقدير حذف المصاف، المعنى: وعمَّيل الرجز فاهجر، أو العمل المؤدي إلى العذاب وأصل الرجز العذاب قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَشَفَتْ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ﴾ [الأعراف:134] وقال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّن السَّمَاءِ﴾ [الأعراف:162] فسميت الأوثان رجزاً لأنها تؤدي إلى العذاب"

فالرجز عذاب، إما أن يكون بسبب عبادة الأوثان، أو بسبب العناد والاستكبار وعدم الإيمان، أو بسبب معصية من المعاصي سواء كانت كبيرة من الكبائر العظام، أو كبيرة من الكبائر المعروفة، وربما كان هذا العذاب في الدنيا، أو في الآخرة، وسواء كان مهيناً أو أليماً، فهذا كله يشمل كلمة "الرجز" والله تعالى أعلم.



(9)



عداوة الشيطان

لا ولن تنشأ محبة ولا صدقة بين الأنسان والشيطان، لأن الله تعالى خلقه يوم خلقه وهو عدو للإنسان، وأن عداوته محققة وعداوته ظاهرة، وواضحة جلية، وليس في الدنيا عدو للإنسان مثل الشيطان، بل هو الذي أنشأ العداوات التي تنوعت وكثرت في الدنيا، وليس له مثل في عداوته، لا يحابي إنسان ولا يدهن آدمي، بل يعاديه ويجعل من عداوته قربان يتقرب بها لنفسه ويرضي بها غروره، وهو العدو الأول والأخير، مما قرب من نصح وأسدى إلى أنسان معروف، فهو ينصح ليغري، ويأمر بالمعروف ليفسد، وفساده بعد المعروف أشد، ونصحه دليل عداوته.

فالعداوة والعدو والعدوان، وغيرها من الأشتاقات، ذكرت في سبعة وستين موضعاً، أما العداوة المتصلة بالشيطان ففي ثمانية عشر موضعاً، يعني أن الله تعالى لم يتركنا من غير تحذير، بل من رحمته وسعة مغفرته، وعظيم مننه، حذرنا من عداوة الشيطان في هذه المواضع الكثيرة المتكررة، حتى لا يبقى لأحد حجة في اتخاذ العدو صاحب، أو تكون له فرصة في أن يهادنه.

وهذه المواطن:

قوله تعالى: ﴿ فِيهِ قُلْنَا أَهْبَطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ [البقرة: 36] [الأعراف: 24]

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [البقرة: 168] وكررها

برقم [208] وفي الأنعام [142]

وقال ﴿ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [الأعراف: 22]

وقال تعالى ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [يوسف: 5] وقال تعالى: ﴿ أَفَنَتَّخِذُونَهُ

وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ ﴾ [الكهف: 50] وقال تعالى ﴿ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ

لَكَ وَلِزَوْجِكَ ﴾ [طه: 117] وبرقم [123] قال ﴿ قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ

عَدُوٌّ ﴾. وقال تعالى ﴿ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴾ [القصص: 15] وقال

تعالى ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء: 53] وقال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: 6] وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَوْا عَهْدَ إِلَيْكُمْ يَبْتَغِيءَ إِذْ أَدَّ مِنْكُمْ مَعْرُوفَهُمْ لَيُلَاقِيَنَّاهُمْ وَيُؤْتِيَهُمْ كَيْدًا يَلْمِزُونَ﴾ [يونس: 60] وقال تعالى ﴿وَلَا يَصُدُّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الزُّحُرْف: 62]، وقال تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [المائدة: 91] وقال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَاطِئِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: 112].

تعريف العداوة :

العدوُّ ضدُّ الصديق. يكون للواحد والأثنين والجمع والأنثى والذكر بلفظ واحد.
قال الجوهري: العدوُّ ضدُّ الوليِّ ، وهو وصفٌ ولكنه ضارع الاسم.
قال ابن الأعرابي: العدو يكون للذكر والأنثى بغير هاء، والجمع أعداءٌ وأعداءٍ، وعُدَّةٌ، وعُدِّيٌّ وعُدِّيٌّ فأوهم أ، هذا كُلهُ لشيءٍ واحدٍ؟ وإنما أعداءٌ جمع عدوٌّ.
والعداوة: فلان يُعادي بني فلان - قال تعالى ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَةً﴾ [المتحنة: 7] وقال ﴿فَاتَّخَذُوا لِي عَدُوًّا لِي﴾ [الشعراء: 77].
قال سيبويه: عدوٌّ وصفٌ ولكنه ضارع الاسم، وقد يثنى ويجمع ويؤنث، والجمع أعداء. (1)

وقال الجرجاني: العداوة؛ هي أن يتمكن في القلب من قصدٍ لإضرار والانتقام (2)
وقال الرازي: والعدوُّ: التجاوز ومنافاة الألتئام، فتارة يعتبر بالقلب فقال له: العداوة والمعاداة، وتارة بالمشي، فيقال له: العدو. وتارة في الإخلال بالعدالة في المعاملة، فيقال له العدوان والعدو. وتارة بأجزاء المقر، فيقال له: العدو، ويقال: مكان ذا عدو أي غير متلائم الأجزاء، والعدو، ضربان.

(1) اللسان مادة [عدا] والصحاح [6/ 2419]

(2) التعريفات (ص 148).

أحدهما: بقصد من المعادي نحو ﴿فَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ عَدُوِّكُمْ﴾ [النساء: 92] ﴿عَدُوِّ الشَّيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾ [الأنعام: 112].

والثاني: لا بقصده، بل تعرض له حالة يتأذى بها كما يتأذى مما يكون من العدى نحو قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِحِ الْأَرْبِ الْعَلَمِينَ﴾ [الشعراء: 77] ومن العدو يقال: فعادى عداءً بين ثور ونعجة..
وقال: والاعتداء مجاورة الحق - أو مجاورة الحد.

قال: ومن العدوان المحذور ابتداء قوله: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: 2] ومن العدوان الذي هو على سبيل المجازاة ويصح أن يتعاطى مع من ابتداء قوله ﴿فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 193].
﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عَدُوًّا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء: 30] (1).

يقول شيخ الإسلام: "وأصل العداوة: البغض والبُعد" (2)

قال الدكتور الأشقر: "والعداء بين الإنسان والشيطان عداء بعيد الجذور، يعود تاريخه إلى اليوم الذي صور الله فيه آدم، قبل أن ينفخ فيه الروح، فأخذ الشيطان يطيف به، ففي "صحيح مسلم" عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: "لما صور الله آدم في الجنة تركه ما شاء الله أن يتركه، فجعل إبليس يطيف به، ينظر ما هو، فلما راه أجوف، عرف أنه خلق خلقاً لا يتمالك" (3) فلما نفخ الله في آدم الروح، وأمر الملائكة بالسجود لآدم، وكان إبليس يتعبد الله مع ملائكة السماء فشملة الأمر، ولكنه تعاضم في نفسه واستكبر، وأبى السجود لآدم: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِمَّنْ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: 12]
لقد فتح أبونا آدم عينيه، فإذا به يجد أعظم تكريم، يجد الملائكة ساجدين له، ولكنه يجد عدوا رهيباً يتهدده وذريته بالهلاك والإضلال (4).

(1) المفردات (عدا).

(2) الفرق بين أولياء الرحمن (ص 18)

(3) صحيح مسلم (2611).

(4) عالم الجن (ص 71).

قال القرطبي: (إنه لكم عدو مبین) أخبر - تعالى - بأن الشيطان عدو، وخبره سبحانه وتعالى - حق وصدق فالواجب على العاقل أن يأخذ حذره من هذا العدو الذي قد أبان عداوته من زمن آدم وبذل نفسه وعمره في إفساد أحوال بني آدم وقد أمر الله تعالى بالحدز منه فقال جل من قائل: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطْوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: 168] (1)

قال ابن كثير: (إنه لكم عدو مبین) ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ تنفير عنه وتحذير منه، كما قال: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: 6] وقال تعالى ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ [الكهف: 50] وقال قتادة، والسدى في قوله ﴿لَا تَتَّبِعُوا خُطْوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [النور: 21] كل معصية لله فهي من خطوات الشيطان ثم ذكر ابن كثير الأقوال التي ذكرها في "الخطوات" (2)

ثم قال مبيناً حال العدو وبها يأمر، وماذا يريد؟

(إنما يأمركم) أي هذا العدو اللدود (بالسوء) وهذه وحدها كافية في إهلال البشر، وتقاطع الأرحام وسفك الدماء، وهتك الأعراض... الخ.

(والفحشاء) وهي تقضي على البقية الباقية في إصلاح المجتمع، فإذا نجا المجتمع من الأولى، فلن يستطيع الهرب من الثانية، ثم الثالثة ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 169] فإذا وقع المجتمع في الأولى أو الثانية أو فيها معاً، ثم يلجئون إلى أصحاب الفتاوى، وأهل العلم، لكي ينجوا على سبيل الرجوع والتوبة فيجدون أهل العلم يقولون بما لا يعلمون، ويفتون بما يجهلون، ويهرفون بما لا يعرفون.. فتكون القاضية.

يقول ابن كثير: "إنما يأمركم عدوكم الشيطان بالأفعال السيئة، وأغلظ منها الفاحشة كزنا ونحوه، فأغلظ من ذلك وهو القول على الله بلا علم، فيدخل في هذا كل كافر وكل مبتدع أيضاً" (3)

(1) تفسير القرطبي (1/ 696).

(2) تفسير ابن كثير (1/ 435).

(3) تفسير ابن كثير (1/ 435).

وقال في موطن آخر: "ثم بين تعالى عداوة إبليس لابن آدم فقال: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر:6] أي: هو مبارز لكم بالعداوة، فعادوه أنتم أشد العداوة، وخالفوه وكذبوه فيما يغركم به. ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر:6] أي: إنها يقصد أن يضلكم حتى تدخلوا. معه إلى عذاب السعير، فهذا هو العدو المبين. فنسأل الله القوي العزيز أن يجعلنا أعداء الشيطان، وأن يرزقنا اتباع كتابه والإقتفاء بطريق رسوله، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير، وهذه كقوله ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف:50].

قال بعض العلماء: وتحت هذا الخطاب نوع لطيف من العتاب كأنه يقول: إنما عاديت إبليس من أجل أبيكم ومن أجلكم، فكيف يحسن بكم أن توالوه؟ بل اللائق بكم أن تعادوه وتخالفوه ولا تطاوعوه (1).

قال القرطبي: "قوله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ أي: فعادوه ولا تطيعوه، ويدلكم على عداوته إخراج أباكم من الجنة، وضمانه إضلالكم في قوله ﴿وَلَا ضَلَّئِهِمْ وَلَا مَبِيئَهُمْ﴾ [النساء:119].

وقوله: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (١٦) ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ [الأعراف:16، 17] فأخبرنا جل وعز أن الشيطان لنا عدو مبين، واقتص علينا قصته، وما فعل بأبينا آدم عليه السلام، وكيف انتدب لعداوتنا وغرورنا من قبل وجودنا وبعده، ونحن على ذلك نتولاه ونطيعه فيما يريد منا مما فيه هلاكنا.

وكان الفضيل بن عياض يقول: يا كذاب يا فقير، اتق الله ولا تسب الشيطان في العلانية وأنت صديقه في السر.

قال ابن السماك: يا عجا لمن عصى المحسن بعد معرفته بإحسانه أو أطاع اللعين بعد معرفته بعداوته (2).

(1) تفسيره (6/ 557).

(2) تفسيره (7/ 603 - 604).

وقال في موطن آخر قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ ﴾ [يس:60] العهد هنا بمعنى الوصية، أي ألم أوصكم وأبلغكم على السنة الرسل ﴿ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ﴾ [يس:60] أي لا تطيعوه في معصيتي. قال الكسائي: لا للنهي (وأن أعبدوني) بكسر النون علي الأصل ومن ضم كره كسره بعدها ضمه ﴿ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ [يس:61] أي عبادتي دين قويم.

قوله: ﴿ وَكَانَ أَضَلَّ مِنْكُمْ ﴾ [يس:62] أي: أغوى ﴿ حِيَلًا كَثِيرًا ﴾ أي خلقا. كثيرا - قال مجاهد وقتادة: جموعا كثيرة. وقال الكلبي: أما كثيرة، والمعنى واحد وقوله ﴿ أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴾ عداوته وتعلمون أن الواجب طاعة الله (1)

قلت: من أمعن النظر في آيات العداوة والعدوان في القرآن كله وجد أن العداوة تنقسم إلى عداوة واجبة، وهي من أركان التوحيد، وعنوان الولاء والبراء وهي عداوة الشيطان وأوليائه وحزبه وأتباعه من اليهود والنصارى وغيرهم.

وهذه العداوة لا يتم توحيد العبد إلا بها، ولا يكتمل ولاؤه وبراءه إلا بوجودها في نفس المسلم إذا أراد أن يكتمل توحيد الله أن يجعل في قلبه أمثال الجبال الراوسي من العداوة لليهود والنصارى وغيرهم، وكذلك الشيعة والشيوعيون، والعلمانيون، وغيرهم من أصحاب الأحزاب المناهضة للدين.

أما النوع الثاني: وهي عداوة محرمة وهي تفسد التوحيد، وتفسر الولاء والبراء، وهي عداوة أولياء الله، وأصحاب المهتم العالية من العلوم الشرعية، وأهل السنة، وأصحاب الحديث، أو معادة الكتاب والسنة، أو معادة شيء من الكتاب والسنة، أو معادة حكم شرعي مصدره الكتاب والسنة.

ثم من نظر العداوة المتصلة بالشيطان والآيات المذكورة يجد تنوعاً عجيباً في سردها فمثلاً قال مرة ﴿ أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عُدُوًّا ﴾ [البقرة:36] وكرر هذا الأمر في القرآن ثلاث مرات، وحتى لا ينسى آدم وزوجته وبعدهما زريتهما، العداوة التي نزلت معها من السماء. فهو أي - آدم - نزل من السماء وأهبط إلى الأرض وهو محمل بالتحذير من هذه العداوة.

ومع أن الله قال ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [البقرة:36] أي أن هذه العداوة لا تنفك أبداً، ولا يقع فيها صلح، وهي ملازمة لآدم وإبليس حتى قيام الساعة ومن بعده زريته، مع أن العداوة منشأها إبليس وبأديها الشيطان وحمله على هذه العداوة بالحق والفساد وحب الذات، ومجموعة من الأمراض القلبية التي كانت في نفس إبليس، أما آدم فلم يكن في قلبه شيء من هذه العداوة، لكن الله أوجدها في قلبه حتى يتمكن من العيش في الدنيا بها، أنه لا يستطيع العيش بدون هذه العداوة في الدنيا، فإن عاش في الدنيا بغيرها ضاع وضاعت ذريته، فكانت العداوة في هذا الموطن رحمة من الله تعالى، ومنة من الله تعالى على آدم وزريته، فمن عاش في الدنيا بدون عداوة الشيطان ضل وضاع.

وقال في موطن آخر (إنه) أي الشيطان ﴿لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة:168] وكرر هذا البيان في مواطن كثيرة، ففي ذلك من الفوائد:

أولاً: أن الله تعالى نوع في بيان عداوته، ليعلم مداخل ومخارج ذلك العدو.

ثانياً: أن الله تعالى من فضله وكرمه مع تنوعه في إظهار عداوة الشيطان غير أنه كرر كل نوع منها وفي سور عدة، ربما كانت أول القرآن، ثم في الثلث الثاني، والثلث الثالث، والرابع.. وذلك لكي لا تنسى، وأن تكون في موطن الأهتمام لدى العبد.

ثالثاً: أنه كرر هذه العداوة مع بيانها وإظهارها، وقال "لكم" أنتم، ففي نفس إبليس عداوة بالغة نتيجة الحسد والحقد البالغ في قلبه، فعليكم أن توجدوا هذا العداوة في نفوسكم أنتم أيضاً، وهناك فارق بين عداوة منشأها الحسد والحقد والغيرة والأخلاق السيئة وبين عداوة مأمور بها لا بد أن توجد، لأنها طاعة، وكأن الذي لا يتواجد في قلبه هذه العداوة المأمور بها، قد عصى الله تعالى في عدمها، وأطاع إبليس، وأصبح ولياً له مطيعاً لأوامره.

وبعدم وجود العداوة المأمور بها أصبح العبد بمعصيته هذه عاصي، معصية مركبة، ثم هو الخاسر في النهاية.

رابعا: أنه قال (مبين) أي عداوة ظاهرة واضحة جلية، لا تخفي على ذي بصيرة، وهذه منة أخرى غير ما سبق، وهذه المنة هي أن الله تعالى أظهر العداوة ووضحها وجلاها، فلم يبق لأحد حجة في مهادنة الشيطان واتباعه.

خامسا: قال في موضع ﴿عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾ [القصص: 15] فزاد (فضل) فوق أنه عدو، وأنه واضح العداوة، فإنه مضل - مضل لأتباعه، مضل لأولياءه.

سادسا: أن الله تعالى بين في موضع آخر وكرره ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَتْ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ [الإسراء: 53] أي عداوته لم تقف عند حد معين، بل تجاوزت كل البشر، سواء من أسلم أو بقى على كفره.

سابعا: أنه سبحانه بعدما أظهر العداوة أمرنا بأن نتخذه عدو فقال ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: 6] ثم بين عاقبة عدم سماع كلام الله، وعدم اتخاذه عدو فقال ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: 6] فهذه عاقبة كل من لم يتخذ الشيطان عدو.

ثامنا: أنه عهد إلينا من بداية الخليقة بأن نتخذه عدو فقال ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَئِي ءَادَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [يس: 60].

تاسعا: العداوة سلاح يتخذه الشيطان ويلقيه بين البشر لإفساد البشرية كلها فقال تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ﴾ [المائدة: 91] فالشيطان يستخدم التحريش بين البشر لإيقاع العداوة بينهم فلقد استخدم التحريش بين البشر أفراداً وجماعات، أمم ودول، حتى فرق الدولة الواحدة إلى دويلات، والجماعة إلى جماعات والمذهب الواحد إلى مذاهب، والمنهج الواحد إلى مناهج، وفرق بين الزوج وزوجته والابن وأبيه، والجار وجاره، والأخ وأخيه، وحملوا عن طريق العداوة الأسلحة في وجوه بعض وقتل الأخ أخاه والابن أبيه، وطلق الرجل زوجته، وفرق بين الأحبة... الخ. فهذه ثمرة العداوة والتحريش التي ألقاها الشيطان بين أتباعه وأولياءه.



(10)



إضلال الشيطان

أولاً: معنى الإضلال والضلال والمضل والضال.

قال في اللسان مادة "ضلل":

الضَّلَالُ والضَّلَالَةُ: ضدُّ الهدى والرَّشادِ

ضَلَّكَ تَضَلُّ هذه اللغة الفصيحة، وَضَلَّكَ تَضَلُّ ضلالاً وضلالةً.

بنو تميم يقولون: ضَلَّكَ أَضَلُّ وَضَلَّكَ أَضَلُّ

أهل نجد يقولون: ضَلَّكَ أَضَلُّ

وأهل الحجاز يقولون: ضَلَّكَ أَضَلُّ

وقد قرئ بهما جميعاً قوله عز وجل ﴿ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي ﴾ [سبأ: 50].

وأهل العاليتة يقولون: ضَلَّكَ بالكسر، أَضَلُّ، وهو ضالٌّ تالٌّ، وهي الضلالة

والتَّالَّة.

قال الجوهري: لغة نجد هي الفصيحة.

قال ابن سيده: وكان يحيى بن وثاب يقرأ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْقُرْآنِ "ضَلَّكَ وَضَلَّكَ، بكسر

اللام. ورجل ضالٌّ.

وأضله: جعله ضالاً.

والإضلالُ في كلام العرب ضدُّ الهداية والإرشاد.

ويقال: أضللتُ فلاناً إذا وجَّهته للضلال عن الطريق.

وللضلال معنى آخر:

قال أبو منصور: والأصل في الكلام العرب وجه آخر يقال: أضللتُ الشئ إذا غيَّبتُهُ،

وأضللتُ الميت دفتته، ومنه قوله تعالى ﴿ أءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾

[السجدة: 10]

وفي الحديث: "سيكون عليكم أمةٌ إن عصيتموهم ضللتهم" يريد بمعصيتهم الخروج

عليهم وشقَّ عصا المسلمين.

وقد يقع أَضَلَّهُمْ في غير هذا الموضع على الحمل على الضلال والدخول فيه. وقوله ﴿ رَبِّ إِنَّمَنْ أَضَلَّنْ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ﴾ [إبراهيم: 36] أي ضلوا بسببها لأن الأصنام لا تفعل شيئاً ولا تعقل، وهذا كما تقول: قد أفتنتني هذه الدار أي افتتنت بسببها وأحببتها.

وضللت المسجد والدار إذا لم تعرف موضعها، وضللت الدار والمسجد والطريق وكل شئ مقيم ثابت لا تهتدي له. وضلَّ هو عني ضلالاً وضلالةً. وفي الحديث " ضالة المؤمن " قال ابن الأثير: وهى الضائعة من كل ما يُقتنى من الحيوان وغيره .

وقال الجوهري: الضالة من البهائم للذكر والأنثى يقال: ضل الشئ إذا ضاع. ضل عن الطريق إذا جار.

قلت: ومادة "الضلال" واسعة جدا في المعنى وراجع كتب اللغة والتعريفات. أقول: الآيات الواردة في كتاب الله تعالى عن هذه المادة كثيرة جدا وهي من أكثر الآيات والكلمات استعمالاً.

فورد معنى "الضلال" بمشتقاته نحو من مائة وتسعة وسبعون آية مقسمة على هذا النحو:

الضلال الخاص بالخالق سبحانه وتعالى والمنسوب إليه نحو من ثلاثين موضعاً كقوله:

﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوْنَهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عَٰلَمٍ ﴾ [الجاثية: 23]

وكقوله تعالى ﴿ إِن هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنِ شَاءَ وَتَهْدِي مَنِ شَاءَ ﴾ [الأعراف: 155]

وقوله ﴿ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ﴾ [إبراهيم: 27] وقوله تعالى ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنِ يَشَاءُ

وَيَهْدِي مَنِ يَشَاءُ ﴾ [فاطر: 8] ونحوها في [المدثر: 31] وقوله ﴿ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ

سَبِيلًا ﴾ [النساء: 88] والآيات كثيرة جداً.

أما الضلال المنسوب إلى الشيطان ففي ستّة مواضع :-

الأول: قوله تعالى ﴿ رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ﴾ [فصلت: 29]

الثاني: ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾
[الفرقان: 29]

الثالث: ﴿وَلَا ضَلَّتْهُمْ وَلَا مُنِنْتَهُمْ وَلَا مُرْتَهُمْ فَلْيَبْتَكَنَّ إِذَا ذَاكَ الْأَنْعَامِ﴾ [النساء: 119]

الرابع: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [الحج: 4]

الخامس: ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: 60]

السادس: ﴿قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾ [القصص: 15]

وهناك ضلال بسبب الهوى :

مثل قوله تعالى ﴿كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: 119]

وقوله تعالى ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ﴾ [المائدة: 77]

وقوله تعالى ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ﴾ [الحج: 23]

وقوله تعالى ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: 26]

والضلال المنسوب إلى الناس :

مثل قوله تعالى ﴿ءَأَنْتُمْ أَضَلُّتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ [الفرقان: 17]

وكقوله تعالى ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي﴾ [سبأ: 50]

كقول تعالى ﴿وَمَا أَضَلْنَا إِلَّا الْآلَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [الشعراء: 99]

وكقوله تعالى ﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ [طه: 85]

وكقوله تعالى ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ [المائدة: 77]

وكقوله تعالى ﴿وَإِنْ تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: 116]

وهناك ضلال منسوب إلى السادة والكبراء :-

كقوله تعالى ﴿إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا﴾ [الأحزاب: 67]

وكقوله تعالى ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَغَاتِرِهِمْ عَدَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ﴾ [الأعراف: 38]

وضلال بسبب الشرك وعبادة الأوثان:

وهناك منسوب إلى الكفار.

وهناك فريق من البشر اشتروا الضلال تاجروا به.

كقوله تعالى ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [لقمان:6]
ومن تتبع آيات الضلال والإضلال في القرآن لوجد عجباً، ولو أن هناك من يقيده
الله لهذه المهمة لاستخرج لنا معنى كثيرة، وفوائد حجة.

ولولا أني بصدد ضلال الشيطان لتوسعت في هذا الباب .

أقول: من تتبع الأنواع المذكورة والمنسوبة لأصحابها لوجدها جلها من الشيطان
وعائد إليه وهو منشأها وهو سببها، فهو تارة يضل بنفسه، وتارة يستخدم أتباع يضل
بهم غيرهم، فهو مرة يباشر العمل بنفسه، ومرة أخرى عن طريق أتباعه وجنوده وهذا
لأمر في جميع معاركه تقريباً، والله أعلم.

أما الآيات المنسوبة فيها للإضلال للشيطان: كقوله تعالى: ﴿ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ
لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَا أَضِلُّنَّهُمْ وَلَا أَتَّبِعُهُمْ وَلَا مَكْرَهُمْ فَلْيَبْتِكُنْ
ءَاذَانَ الْآعْنَجِ ﴾ [النساء:118،119] هذه الآية جديرة بالاهتمام والتصنيف.

قال القرطبي رحمه الله:-

(لعنه الله) أصل اللعن الإبعاد. وهو في العرف إبعاد مقترن بسخط وغضب، فلعنة
الله على إبليس - عليه لعنة الله - على التعيين جائز، وكذلك سائر الكفرة الموتى
كفرعون، وهامان، وأبي جهل، فأما الأحياء - ففيه تفصيل.

قوله تعالى: ﴿ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾ أي: وقال
الشيطان، والمعنى: لأستخلصنهم بغوايتي وأضلنهم بإضلالتي، وهم الكفرة والعصاة⁽¹⁾
قلت: اللام للقسم.

أي: أن هذا الملعون أقسم أن له من عباد الله نصيباً - والناظر اليوم يجد هذا النصيب
قطيع كبير من البشر - مفروضاً أي مقطوعاً ومقدرًا من عبادتهم بأن يعبدوا غيرك، أو
يراؤوا فيها، أو يعجبوا بها، أو يتلفوها في المظالم، أو يحبطونها بالكفر بعدها⁽²⁾

(1) تفسير القرطبي (3/ 388).

(2) تفسير القاسمي (3/ 348).

أي أن هذا الملعون أقسم أنه سيتخذ من العباد نصيباً، ممكن أن يكون هذا النصيب هو أكثر من نصف البشرية وممكن أن يكون أكثر البشرية، لكن حينما تمعن النظر تجد أن هذا النصيب هو الجزء الكبير جداً من الكل بدليل أن عدد المسلمين اليوم لا يمثلون ربع العالم وبقية العالم غير مسلمين، فمنهم النصارى أصحاب التثليث، ومنهم اليهود أعداء البشرية، ومنهم اللادينيين اللذين ليسوا لهم دين، ومنهم اصحاب معتقدات فاسدة، هذا بالنسبة لأكثر من ثلاثة أرباع العالم، تأتي للمسلمين تجد أن معظمهم شيعة زنادقة، ومنهم متصوفة عباد قبور، ولك أن تنظر في الموالد التي تقام كل عام هنا وهناك والكم الكبير من البشر وهم يقدمون النذور للأولياء، وغير ذلك من الشراكيات، ثم تنظر في بقية المسلمين بعدما تستخرج منهم الشيعة والصوفية، تجد أنهم أحزابا وشيعة، وأهل السنة منهم كالشعرة البيضاء في الثور الأسود، والله المستعان. فهولاء جميعا اقتطعهم الشيطان لنفسه واتخذهم عبيداً له، وصنف لهم الأله، والعبادات والمعتقدات.

فهولاء هم النصب المفروض للشيطان لعنه الله.

ثم قال الشيطان لعنه الله (ولا ضلنهم) هذه هو القسّم الثاني. (ولا منيهم) القسّم الثالث. (ولا أمرنهم) هذه هو القسّم الرابع.

القسّم الثاني: أقسم ليضل البشرية أو النصيب الذي افترضه لنفسه. أي: أصرفنهم عن طريق الهدى، بجميع وسائل الضلال والإضلال.

وهذا القسّم الشيطاني يذكرني بالقسّم الشيطان الآدمي الذي أقسمه الملحد كارل

ماركس حينما قال: لأنسينهم - الله - بالمرح والسينما والتلفزيون!!!

ولقد نجح إلى حد كبير بمعاونة إبليس في ذلك.

واليهود أقسموا أنهم ليضلوا البشرية على رأسهم المسلمون بالكرة... ونجحوا في ذلك نجاحاً ساحقاً.

وآخرون أقسموا على إضلال البشرية على رأسهم المسلمون خاصةً بالغزو الفكري،

ونجحوا وجاء الدور على العلامانيين.. ليضلوا البشرية بفقد الهوية.

أما القسّم الثالث: (ولا منيهم) أي: الأمانى الباطلة من طول الأعمار وبلوغ الآمال.

قال الرازي: إن الشيطان لما ادعى أنه يضل الخلق قال: (ولأمنيهم) وهذا يشعر بأنه لا حيلة له في الإضلال أقوى من إلقاء الأمانى في قلوب الخلق، وطلب ما يورث شيئين: الحرص والأمل، والحرص والأمل يستلزم أكثر الأخلاق الذميمة، وهما كالأمرين اللازمين لجوهر الإنسان. قال ﷺ " يهرم ابن آدم ويشب معه اثنتان: الحرص والأمل⁽¹⁾ والحرص يستلزم ركوب أهوال الدنيا، وأهوال الدين. فإنه إذا اشتد حرصه على الشيء فقد لا يقدر على تحصيله إلا بمعصية الله وإيذاء الخلق، وإذا طال أمله نسي الآخرة وصار غريقاً في الدنيا فلا يكاد يقدم على التوبة، ولا يكاد يؤثر فيه الوعظ فيصير قلبه كالحجارة أو أشد قسوة⁽²⁾

(ولأمنيهم) أي: لأسولن لهم من التمني، وهذا لا ينحصر إلى واحد من الأمنية، لأن كل واحد في نفسه إنما يُمنيه بقدر رغبته وقرائن حاله. وقيل: لأمنيهم طول الحياة الخير والتوبة والمعرفة مع الإصرار⁽³⁾

قلت: لا شك في أن الأمنية إذا اتصلت بالشيطان ففيها الكذب، وفيها مخالفة الشرع، وفيها طلب العلو في الدنيا وإن كان على حساب الدين.

ولو عاش هؤلاء العلماء وأصحاب التفاسير لوجدوا أن الأمانى هذه الأيام هي التي وعد بها إبليس أتباعه، وأوليائه، هي تلك الأمانى التي يتمناها الشباب والفتيات، بأن يصبحوا مغنين أو ممثلين أو لاعبي كرة... الخ.

كان الشاب في زمن الفضل يتمنى أن يكون عالماً بالحديث أو بالتفسير أو بالفقه، أو أن يكون مثل العالم الفلاني.. كما قال الحافظ ابن حجر رحمه الله - شربت ماء زمزم.. كذا سنة.. لأجل أن أصل إلى مرتبة الحافظ الذهبي.

فهذه أمانى من كان في زمن أهل الفضل، لكن اليوم تشتت الأمانى، فمع نقص الدين وقلة العلم، ووقوع أكثر الخلق في قبضة الشيطان، وموت أكثر العلماء، تلاعب الشيطان بأمانى الناس، وحق له ذلك ما دام أن هناك من يحارب السنة، ويحارب

(1) أخرجه البخاري (6058) ومسلم (1047).

(2) محاسن التأويل (3/ 348).

(3) تفسير القرطبي (3/ 338).

العقيدة الصحيحة، ويحارب أهل الفضل، ويحارب الفضيلة.. واصبح أهل الفضل والسنة اليوم كمثل ما قال أهل الفسق والفجور من قوم لوط ﴿أَخْرَجُوهُمْ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يُّنَظَّهُرُونَ﴾ [الأعراف:82] فهذه هي جريمة أهل الفضل: العفة، والطهارة.. فأصبحت العفة والطهارة من الجرائم التي يعاقب عليها القانون!!!

أما القسم الرابع: ﴿وَلَا مَرْنَهُمْ فَلْيَبْتِكُنَّ ءَاذَانَ الْاُنْعَمِ﴾ [النساء:119].

قال الواحدي - رحمة الله:-

"التبتيك، هنا هو: قطع آذان البهيرة، بإجماع المفسرين، وذلك أنهم يشقون آذان الناقة إذا ولدت خمسه أبطن، وجاء الخامس ذكرًا ثم تسيب، وحرموا على أنفسهم الانتفاع بها، فأعفوا ظهرها من الركوب والجمل والذبح، ولا يردونها عن ماء ولا مرعى، وإذا لقيها المعني المنقطع به لم يركبها، وسؤل لهم إبليس أن هذا قربة، وهي البهيرة (1)

القسم الخامس: ﴿وَلَا مَرْنَهُمْ فَلْيَغْيِرْتِ خَلْقَ اللَّهِ﴾ [النساء:119]

قال القرطبي: الالامات كلها للقسم. واختلف العلماء في هذا التغيير على أقوال.

وأقول: الآية فيها أمور:

الأول: قسم الشيطان أنه سوف يغير ما خلق الله تعالى، سواء كان بشراً أم حيواناً أو غيره.

الثاني: جاء بعد القسم الفاء التعقيبية ثم تبعها لام الأمر، الذي يفيد سرعة الأمر بعد القسم، أي بين القسم والتنفيذ مجرد السرعة. ومعنى هذا أنه من الاستهزاء بالبشر لن يقوم هو بهذا الأمر، بل أنه أقسم أنه يأمرهم، فيقومون هم بالتغيير، أي الذي سيتولى التغيير هم وليس الشيطان، إمعاناً في استعباد البشرية.

الثالث: أن قوله (خلق الله) كل ما هو مخلوق لله من بشر أو حيوان أو حتى البنيان، ومن استقرأ الأحكام الشرعية وجد أن اللفظ للعموم.

(1) محاسن التأويل (3/ 349).

أول ما وقع عليه التغير. فطرة الإنسان كما قال ﷺ "كل مولود يولد على الفطرة" وقوله ﷺ " قال الله تعالى إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالهم الشياطين" الحديث ثم غير عبادتهم ، ولقد ظل الناس يعبدون الله فترة من الزمان حتى جاء جماعة من الصالحين الذين ذكرهم الله في سورة نوح، وسول الشيطان للناس عبادتهم فغير التوحيد، وأوقع الشرك في الأرض ثم مالبس الشيطان أن غير أشكالهم فتلاعب بملابسهم ثم اشكالهم، حتى حلقوا لحاهم، وتلاعب بشعورهم، فأصبح للشعر عشرات الأوضاع والمسميات، حتى أن ابن القيم - رحمه الله - جعل للشعر عند الحلق خمسة أحكام، أي الأحكام التكليفية الخمسة. وتلاعب بلحاهم فمنهم من خفها، ومنهم من حلقها وترك الجزء الذي هو أسفل الحنك ويُسمى (سكسوكة) ومنهم من ترك سوائف وحلق الباقي، وأصبح للحية أشكال كثيرة وهذا من تلاعب الشيطان بالرجال وبلحاهم.

وتلاعب بشعر المرأة وغيره عن خلقته، فقصره مرّة، وكعكعه مرّة، وكل هذا من تلاعب الشيطان بالمرأة.

وجعل الرجال يرفعون حواجبهم تارة، ويوصلونها تارة، والنساء مثل ذلك. وجعل الرجال يتلاعبون بشواربهم، فمنهم من أسرف في إطالته، وأخذ يتباهى به، ويسرف عليه الأموال الكثيرة - ثم وسوس لهؤلاء فكونوا جمعية سميت (جمعية أبو شنب) وانضم إلى هذه الجمعية مخابيل ومهابيل لا يحصون عددا.

وآخرون رفعوا الشارب فأخذوا من أسفله ومن أعلاه أشبه برباط الجزمة... وآخرون جذوه فلم يبقوا منه شيئاً..

وآخرون فصلوه عن اللحية، وآخرون أوصلوه باللحية... وغير زي المرأة فشبهها: بالرجال، وشبه الرجال بالنساء.. واختلط الحابل بالنابل.. حتى أنك من الصعب هذه الأيام أن تميز الرجال من النساء إلاّ عند التدقيق.. وسبحان الذي لا يتغير. وكان للمرأة جانب الطريق فغير ذلك وجعل لها وسط الطريق - وصح عن ﷺ أنه قال "ليس المرأة وسط الطريق" ولا أغالى إن قلت: أن الرجل الآن يمشي على حافتي الطريق خوفاً من أن يتخبط بالنساء اللوتي يقفن في وسط الطريق!

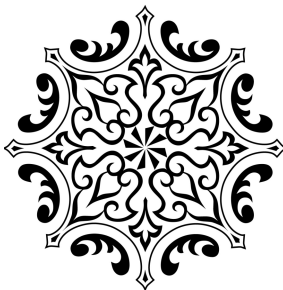
فغير الشيطان جل الحياة.. حتى أنك إذا دخلت بيت مسلم إلا تكاد تجزم أنه ليس فيه مسلم!!

أقول: ماذا بقى في الحياة لم يتغير - ولم يأمر الشيطان بتغيره.

أما تغير خلق الله في الحيوانات والماشية والأنعام فحدث ولا حرج، وراجع سورة الأنعام، وتفسير القرطبي وابن كثير وغيرهما في تفسير هذه الآية.

وأنا ما تحدثت بعد في " خلق الله " كما ينبغي، وإلا فنحدث عن تغير الرجل شكله وهيئته وملابسه، حتى جلده، والمرأة مثل ذلك، وهذا يحتاج إلى مصنف كبير.

أعود فأقول: ما هو الشيء الذي لم يتغير عن فطرته حتى الآن؟!



(11)



عمل الشيطان

أعلم رحماني الله وإياك أن عمل الشيطان متنوع ومختلف، ولا يقف عند وصف معين، ولا حد معين، فكل ما سبق وكل ما هو أت من عمل الشيطان، والآيات الدالة على جنس عمله في القرآن سبع آيات منها قوله تعالى:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ

تَقْلِحُونَ﴾ [المائدة:90]. فذكر الله تعالى أربعة أشياء من الأعمال الرئيسية للشيطان ثم صدر هذه الأشياء بنداء لأهل الإيمان، ثم أمرنا بالاجتناب عنه، ثم علّق الفلاح والنجاح والفوز في الدنيا والآخرة على اجتنابها.

قال القرطبي - رحمه الله:-

قوله ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ خطاب لجميع المؤمنين بترك هذه الأشياء، إذا كانت شهوات وعادات تلبسوا بها في الجاهلية وغلبت على النفوس فكان نفيّ منها - أي بقية منها - من نفوس كثير من المؤمنين.

قال ابن عطية - رحمه الله:-

"ومن هذا القبيل هوى الزجر بالطير، وأخذ الفأل في الكتب ونحوه، مما يصنعه الناس اليوم، وأما الخمر فكانت لم تحرم بعد، وإنما نزل تحريمها في سنة ثلاث بعد وقعة أحد وكانت وقعة أحد في شوال سنة ثلاث من الهجرة"⁽¹⁾

أقول والله أعلم: مع أن (إنها) من أدوات الحصر والقصر، فلا يظن أحد أن عمل الشيطان محصور في هذه الأربع ولكن حصرها ليعلم أن هي من أخطر أعمال الشيطان، مثل قوله ﷺ "الحج عرفة" ولا يشك عاقل أن الحج ليس مقصوراً على الوقوف بعرفة، ولكن علق الكل على الجزء، علم أهمية الجزء، وأعمال الشيطان ليست محصورة، بل إنه تتفنن في غواية البشرية، وكل يوم يأتي بجديد، وحيل جديدة، حيرة البشر وأضلت البشرية.

(1) المحرر الوجيز (5/26) وتفسير القرطبي (3/623).

فهذه الأربعة تعد من الكبائر العظام، بل أكبر الكبائر.

الأولى: الخمر.

والخمر: ما أسكر من عصير العنب لأنها خامرت العقل.

يقال: خمر وجهه، وخمر إناءك. والمخامرة: المخالطة.

قال ابن الأعرابي: وسميت الخمر خمراً لأنها تركت فاختمت واختتمها تغير

ريحها، وقيل سميت بذلك لمخامرتها بالعقل.

والخمر: ما خمر العقل وهو المسكر من الشراب (1)

وأخرجه البخاري (4619) ومسلم (2322) من حديث عمر بن الخطاب أنه قال

في خطبته: "أيها الناس، إنه نزل تحريم الخمر وهي من خمسة: من العنب، والتمر،

والعسل، والحنطة، والشعير، والخمر ما خامر العقل.

وأخرجه البخاري (4616) عن ابن عمر قال:

"نزل تحريم الخمر وإن بالمدينة يومئذ خمسة أشربة ما فيها شراب العنب"

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ "لعت الخمر على عشرة وجوه، لعنت

الخمر بعينها، وشاربها، وساقها، وبائعها، ومبتاعها، وعاصرها، ومعتصرها، وحاملها،

والمحمولة إليه، وأكل ثمنها" (2)

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: "كل مسكر خمر، وكل مسكر حرام، ومن

شرب الخمر فمات وهو يدمنها ولم يتب منها، لم يشربها في الآخرة" (3)

وعنه "ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة، العاق لوالديه، والمدمن الخمر، والمنان بما

أعطى" (4)

وعن عبد الله بن عمرو مرفوعاً "لا يدخل الجنة منان، ولا عاق والديه، ولا مدمن

خمر" (5)

(1) اللسان مادة (خمر).

(2) أخرجه أحمد (25/2) وأبو داود (3674) وابن ماجه (3380) وسنده صحيح.

(3) أخرجه مسلم (3/ص 578-73) وأبو داود (3679).

(4) أخرجه أحمد (69/2) والنسائي (2561) وهو صحيح.

(5) أخرجه أحمد (164/2) والنسائي (5688) والبيهقي (8/288) وسنده صحيح.

ولقد بلغت الأحاديث الدالة على تحريم الخمر العشرات، ولقد أجمعت الأمة سلفاً وخلفاً على تحريمها.

وهي من أكبر الكبائر كما في "الصحيحين" من أكبر الكبائر... وذكر وشارب الخمر" وصح أنه ﷺ قال: "مدمن الخمر كعابد وثن"⁽¹⁾
العمل الثاني: الميسر، القمار.

وقال على بن أبي طالب - ﷺ - الشطرنج من الميسر" وقال مجاهد وطاوس: كل شيء من القمار فهو من الميسر، حتى لعب الصبيان بالجوز.
وقال راشد بن سعد وحمزة بن حبيب: حتى الكعاب، والجوز، والبيض التي تلعب بها الصبيان.

قال ابن عمر: الميسر هو القمار.
وكذا قال ابن عباس رضي الله عنهما.

وقال الأعمش: الميسر الضرب بالقداح على الأموال والثمار.

وقال القاسم بن محمد: كل ما ألهى عن ذكر الله وعن الصلاة فهو من الميسر.
وجاء مرفوعاً بسند ضعيف عن أبي موسى "أجتنبوا هذه الكعاب الموسومة التي يزر بها زجراً فإنها من الميسر". فعن بريدة بن الحصيب قال: قال رسول الله ﷺ "من لعب بالنرد شير فكأنما سبغ يده في لحم خنزير ودمه" رواه مسلم (4/10 - 1770)
وابن ماجه (3763) وأحمد (357/5).

وعن أبي موسى أن رسول الله ﷺ قال: "من لعب النرد فقد عصى الله ورسوله".
أخرجه مالك (2/ص 958) وأحمد (4/400) وأبو داود (4938) وابن ماجه (2762) وهو صحيح.

وأما الشطرنج فقال عبد الله بن عمر: إنه شر النرد وقال عليّ ﷺ: إنه من الميسر.
ونص مالك وأبو حنيفة وأحمد على تحريمه وكرهه الشافعي ورجح شيخ الإسلام تحريمه.

(1) صحيح - أخرجه البخاري في "تاريخه" والبيهقي وراجع الصحيحة (2177).

العمل الثالث: الأنصاب.

قيل: هي الأصنام. وقيل: النرد والشطرنج.

وقال ابن عباس ومجاهد، وسعيد بن جبير، وعطاء، والحسن، وغير واحد: هي حجارة كانوا يذبحون قربينهم عندهم.

أقول الثلاثة: [الخمر، والميسر، والأنصاب] من أسماء الأجناس فالخمر، ما خامر العقل، وكل ما أذهب العقل فهو من الخمر، فيدخل تحتها كل ما أسكر فهو خمر، وكل ما أذهب العقل فهو من الخمر، فيدخل التدخين، والمعسل، والجراك، وإن كان الأصل فيها خمر العنب .

والميسر، اسم جنس، يطلق على كل قمار، فيدخل في ذلك من لعب الكره على مال، ولعب الكوتشينة على مشروبات، ولعب السيجة على عوض، وحتى مسابقة الخيول على مال، والحمام والكلاب.. وكله من الميسر، فليس الميسر نوع معين. والله أعلم.

والأنصاب. جمع: نصب. ممكن أن يكون صنم، وممن أن يكون قبر، أو حجر، أو شجر، أو بقر يعبد من دون الله، فكل ما نصب للعبادة من دون الله فهو من الأنصاب والله أعلم.

والأزلام: القداح، وإن كان الأصل فيها القداح وضربها، إلا أنها أعم من ذلك، وهناك أمثلة كثيرة حديثة تشبه القداح مثل: من يمسك أو تمسك بوردة، وتقطف منها ورقة ثم تقول (سيأتي) والآخرى (لن يأتي) أو (يفعل) والآخرى (لن يفعل) حتى آخر ورقة، فإذا خرجت أو قطعت أو قطف آخر ورقة وكانت على (لن يفعل) استسلم للأمر أو استسلمت للأمر وأيقنت بعدم الفعل أو بالفعل حسب آخر ورقة... وهكذا..

وانتشر هذا النوع في الأفلام والمسلسلات المصرية وذلك لغرس مثل هذا الشر في نفوس المتفرجين، وصر فهم عن الدين، وعودتهم إلى احكام الجاهلية...

أو يقف على شاطئ بحر أو نهر ويمس بحصى"، ويرمي بالوحدة باداء (أفعل) حتى آخر حصاه، فإن خرجت على (لا تفعل) رجع بأسا حزينا.. على أن حظه عسير!!!

وكله يشبه هذه الأزلام.. وهي أقلام داخل القداح كتب على كل واحد منا (افعل) (لا تفعل)... وهذا من عمل الشيطان وكل هذا أمر الله تعالى باجتنابه، وعلق الفلاح على تركه والبعد عنه.. ولعلك أخي المسلم أدركت الآن لماذا لم يحالفنا الفلاح؟!
أما الآية الثانية:

﴿وَادْرَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانَ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ﴾ [الأنفال: 48] ففي هذه الآية قام لعنه الله - بتحسين الأعمال القبيحة في نظر أولياء وأتباعه، وقام بتقبيح الأعمال الحسنة في نظرهم وإن ، من أشد البلاء والاختبار الذي يقع للعبد، وأشد الفتن أن يرى القبيح حسناً والحسن قبيحاً، ثم يعتقد أن ما عليه من القبيح هو الحسن بعينه، فتراه يفعل ما حرم الله دون حياء من الله، أو خوف منه سبحانه، لأنه قد انتكست فطرته، وتحولت مشاعره، فيفعل القبيح ويتباهى به، ويفتخر بفعله، ولا يرى هذا حسناً إلا هو في الوقت الذي يراه الناس جميعاً على القبيح. ومن ذلك ما وقع لبعض الفرق الكلامية مثل المعتزلة وغيرهم الذين يقولون بالتقبيح والتحسين العقلي، أي أنهم أعطوا للعقل حق التقبيح والتحسين، فما قبحه العقل فهو القبيح وما حسنه العلق فهو الحسن، وهذا أقبح ما وقعوا فيه.
وأهل السنة على خلاف ذلك، فالذي يقبح ويحسن عندهم هو الشرع، فما قبحه الشرع هو القبيح، وما حسنه الشرع فهو الحسن.

ولقد اشتهر عن الشافعي - رحمه الله- أنه قال: "من استحسن فقد شرع" أي من انفرد بعقله بالتحسين أو التقبيح فقد شرع وانصب نفسه مشرع.
فإذا زين الشيطان للعبد عمله واتبعه على هذا فقد هلك العياذ بالله. لأجل ذلك نقول: على العبد أن يعرض عمله وقوله وفعله على الشرع فإن كان موافقاً له فليحمد الله ومن وجد غير ذلك، فعليه بمراجعة أمره قبل أن يقف على عتبة الموت فيجد أن أعماله كلها ردت عليه. كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ (١٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿ [الكهف: 103، 104]

وقال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: 23]

الآية الثالثة:

قوله تعالى: ﴿ تَأْتِيهِمْ لَيْلٌ مِّنَ اللَّيْلِ مَعِ تَوْبَهُ سُرَّاتٍ مِّنَ السُّرَّاتِ وَهُمْ لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْهِمْ قُلْ لِيُذَكِّرَ الَّذِينَ لَمْ يَتَذَكَّرُوا يَوْمَ الْأَوَّلِ وَأُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَانُوا مُرِيدِينَ الْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ لَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النحل: 63]

إن الشيطان لم يزن لهذه الأمة وحدها عملها، بل زين للأمم السابقة جميعها.. بل زين لجميع من لدن آدم حتى قيام الساعة.. ولذلك من نجى منه في السابقة، هو ما أخبرنا النبي ﷺ في حديثه الصحيح حيث قال: " افترت اليهود إلى إحدى وسبعين فرقة، وافترت النصارى إلى اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة إلى ثلاثة وسبعين فرقة" وانتخب من الفرق فرقة واحدة من كل أمة للجنة فانظر هذه النسبة الكبيرة التي زين لهم الشيطان أعمالهم، فقد زين لليهود حتى جعلهم الأمة المغضوب عليهم، وزين للنصارى حتى جعلهم الأمة الضالة، وزين للمعتزلة، والخوارج، والمرجئة، والمعطلة، والمشبهة، والمجسمة، والجبرية، والشيعية.. الخ ربما زين لهم الضلال فأخذوه ديناً، وإذا لم يستطع، فزين لهم في الهدى فيقع فيه الرياء، ويزين لهم الحق حتى يخلطوه بالباطل أو بعض الباطل، وقليل من العباد من ينجو من شره، كما قال ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ [ص: 83] أي الذين استخلصهم الله تعالى لنفسه، فנסأل الله جل في علاه أن يجعلنا وسائر إخواننا منهم.

الآية الرابعة: ﴿ وَجَدْتَهَا وَقَوْمَهَا سَاجِدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ

أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ [النمل: 24].

هذا نوع آخر من تزوين العمل، زين لهم عبادة الشمس من دون الله ثم استخدم مع التزوين الصد.. أي حتى يتم الضلال حجب عنهم الهداية وصدهم عنها، ووقف حائل بينهم وبين الهداية ثم زين لهم الباطل، وهذا هو مسلك الشيطان، وطريقته في الغواية والإضلال، أولاً: يصد عن الحق، ويجعل بين العبد وبين الحق فاصل حتى لا يراه، ثم لا يرى أمامه إلا الضلال، وقبل أن يسلكه يزينه له، حتى يطمئن على أنه الحق، فيعتقد صوابه، حتى إذا ظهر له الحق بعد لا يتبعه، لأن نفسه اطمئنت للباطل وجعلته ديناً لها.

قال تعالى ﴿ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴾

[العنكبوت: 38]

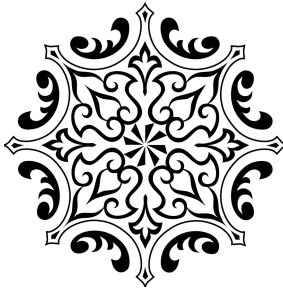
الآية الخامسة:

جاء على لسان نبي الله موسى الكليم عليه السلام قوله : ﴿ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴾ [القصص: 15]

بين أعمال الشيطان القتل وإراقة الدماء بغير حق، وبدون بينة، وأول عمل فعله مع أبناء آدم بعد إخراجه من الجنة هو القتل كما بين ذلك الله تعالى في كتابه ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ ﴾ [المائدة: 27] إلى قوله تعالى : ﴿ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [المائدة: 30]

وقوله ﷺ (لا تقتل نفس ظلماً، إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها، لأنه أول من سن القتل). أخرجه البخاري (3335) ومسلم (1303 / 27 / 3) عن ابن مسعود.

وأخرج ابن جرير (127 / 6) عن إبراهيم النخعي: "ما من مقتول ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول والشيطان كفل منه" وسنده صحيح. فهذا العدو المضل يتربص بالبشرية ليل نهار ليقتل بعضهم بعضاً ويستبح بعضهم دماء بعض، نجح إلى حد بعيد في هذه المهمة، فقتل الأخ أخاه، والابن أمه، ووقعت مفاعع أفلقت مضاجع الناس، ووقع القتل بأدنى الشبه، بل بالظن والتخمين، ساعد على ذلك تلك الأفلام والمسلسلات التي ساعدت على تفشي الجريمة في مجتمع المسلمين. وأصبح القتل يراود الصغير قبل الكبير، وأصبح القتل أول العلاج الذي يعالج القضايا والمشاكل، وتناسي الناس الأدلة القرآنية والأحاديث النبوية في تحريم الدماء بل تفجيع الناس، مجرد التفجيع حرام، ورفع الحديد، وإشهار السيف في الوجوه، حرام، فكيف بالقتل؟! .



(12)



الشيطان يدعو إلى النار

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلَوْا كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ [لقمان: 21].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [فاطر: 6]

وقال تعالى: ﴿ فَأَخَلَقْتُمْ مِمَّا كَان لِي عَلَيْكُمْ مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلَمْوَ أَنفُسَكُمْ مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي ﴾

[إبراهيم: 22]

وقوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَانَّهُ يَصْلُهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ [الحج: 4].

ويلاحظ في هذه الآيات ما عدا سورة إبراهيم، أنه ضمنها بالسعير، وكأن الشيطان يدعو أصحابه وأولياءه وأتباعه إلى هذا الدرك من النار، هذا الدرك على الراجح من أقوال المفسرين أنه الدرك الرابع كما روى ابن جرير (21191) وابن أبي الدنيا في "وصف النار" عن ابن جريج أنه قال في تفسير قوله تعالى ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ﴾ [الحجر: 44] قال: أولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الحطيم ثم الهاوية وفيها أبو جهل " وإسناده صحيح.

نعم.. لم يصح في المرفوع من هذا الترتيب أي أثر، كما أوضحت في كتاب "التخويف من النار" لكن لما صح ذلك عن ابن جريج، فقله يستأنس به وهذا الاسم للنار وهو "سعير" ورد في القرآن ثمانية عشر مرة.

وهي الرابع في عدد المرات، فالنار ذكرت 127 مرة في 55 سورة.

وجهنم - 77 مرة في 39 سورة.

والحطيم 26 مرة في 18 سورة.

والسعير 18 مرة في 14 سورة .

ثم الهاوية مرة واحدة

ولظي مرة واحدة

فهذا مما يعضد قوله ابن جريح والله أعلم .

ومعنى كلمة " سعير "

سَعَرَ النار والحرب يَسْعَرُهُمَا سَعْرًا وَأَسْعَرَهُمَا وَسَعَّرَهُمَا : أوقدهما وهَيَّجَهُمَا .

واستعرت وتسعرت : استوقدت . ونار سعير : مسعورة .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ ﴾ [التكوير:12] والتشديد للمبالغة .

وقوله " وكفي بجهنم سعيراً " تقول سعرت فهي مسعورة " ومنه قوله تعالى :

﴿ فَسُحِقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [الملك:11] أي : بُعْدًا لِأَصْحَابِ النار .

وَالسَّعِيرُ وَالسَّاعُورَةُ : النار . وقيل : لهبها . وَالسُّعَارُوا السُّعْرُ : حَرَّهَا .

ويقال : سَعِرَ الرجلُ فهو مسعورٌ إذا اشتدَّ جُوعه وعطشه .

وَالسُّعْرُ : شهوة مع جوع .

وَالسُّعْرُ وَالسُّعْرُ : الجنون . ومنه قوله تعالى ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ ﴾ [القمر:47]

قال الفارسي : لأنهم إذا كانوا في النار لم يكونوا في ضلال لأنه قد كشف لهم . وإنما

وصف حالهم في الدنيا (1)

أقول : وهذا الأوصف كلها اجتمعت في أهل سعير والعياذ بالله . فهم في النار

يحترقون بلهيبها ، ويستعرون بنيرانها ، لا يذوقون فيها الموت ، ويتجرعون فيها

الغصص ، لا يأكلون إلا الضريع ، يصابون الجنون من شدة التعذيب خاصة عندما

يطلبون أن يخفف عنهم يوماً من العذاب ، ولا يكون ، فالعذاب مستمر والتحريق

متواصل ، والصراخ دائم نعوذ بالله من ذلك .

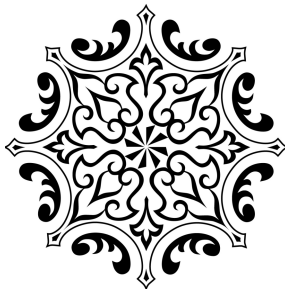
فهذه هي " السعير " التي يدعو إليها الشيطان أصحابه ، ويهدي إليها أوليائه،

ويدفع إليها أحبابه ، ويلقي فيها أتباعه .

في المقابل : ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: 221] فانظر إلى ما يدعو إليه إبليس، وإلى ما يدعو إليه الرءوف الرحيم؟! والشيطان ليس وحده هو الذي يدعو إلى النار، فهناك أتباع من البشر، وأئمة يدعون إلى النار أيضاً كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَكْفُرُونَ إِلَى الْتِكَارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُبْصَرُونَ﴾ [القصص: 41] القصص، فهناك من البشر ومن الناس من يدعو إلى النار أيضاً، كما في الحديث "خط النبي ﷺ خطأ وخط على جانبي الخط خطوطاً".

وقال : أن على كل باب منها داع يدعو إلى النار.... "الحديث".

وهؤلاء الدعاة لا ينقطع منهم زمان، ولا يخلو منهم مكان، فهم في كل زمان ومكان، يلبسون الحقّ بالباطل، ويزينون الباطل للناس، وما أكثر هذه الأيام ممن يلبس الباطل ثوب الحق والحق ثوب الباطل، وما أكثر هذه الأيام من المفتين الذين يفتنون الناس، ويضلون الأمم لأجل إرضاء السادة والحكام!



(13)



خُذْلَانُ الشَّيْطَانِ

قال تعالي : ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: 29]

قال في اللسان " (مادة خذل)

خذل : الخاذلُ : ضد الناصر . خَذَلَهُ وَخَذَلَ عَنْهُ يَخْذِلُهُ خُذْلًا وَخُذْلَانًا : ترك نُصْرَتَهُ وعونه .

والتخذييل : حمل الرجل على خِذْلَانِ صاحبه ، وتثبيطه عن نصرته .

وخِذْلَانُ الله للعبد : أن لا يعصمه من الشبه فيقع فيها ، نعوذ بالله من ذلك .

وخذل عنه أصحابه تخذيلاً : أي حملهم على خذلانه .

وتخاذلوا : خذل بعضهم بعضاً .

وفي الحديث : المؤمن أخو المؤمن لا يخذله " الخذل : ترك الإعانة والنصرة .

فالشيطان أخزاه الله ولعنه ، يوضع العبد ويورده موارد الهلكة ثم يترك نصرته ،

ويورد عليه الشبهات ليقع في الحيرة ، ثم يدعه ويفر .

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - :

﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ أي : يخذله عن الحق ، وبصرفه عنه ،

ويستعمله في الباطل ، ويدعوه إليه " (1)

وقال الإمام القرطبي رحمه الله :

﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ الخذلان الترك من الإعانة ومنه خذلان

إبليس لما ظهر لهم في صورة سراقه بن مالك ، فلما رأى الملائكة برأ منهم ، وكل من صد

عن سبيل الله وأطيع في معصية الله فهو شيطان للإنسان ، خذولاً عند نزول العذاب

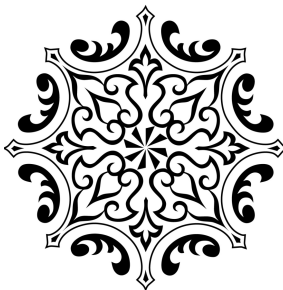
والبلاء " (2) وخلاصة القول : الشيطان يستدرج العبد إلى المعصية إن كان في أرض

(1) تفسير ابن كثير (6 / 119)

(2) تفسير القرطبي (7 / 28)

السلم ثم يوصله إلى الكفر ثم إذا كفر قال له (إني برئ منك إني اخاف الله رب العالمين) وإن كان في دار الحرب استدرجه إلى أرض القتال ووعده بالنصر ، وصغّر له أمر عدوه ، وقلل في عينه عدد عدوه ، وكثير في نظره عدده وقوته ، حتى إذا لقي العدو ، ترك أرض القتال وخذله ، وتركه يصارع الموت .

فهذه حقيقة الشيطان ، يوعد ويخلف ، يشحذ الهم نحو الهدف ثم يتخلف عن النصر ، ويخذل صاحبه أشد الخذلان ، لأن هذا شأنه ، وهذه هي سجيته ، لأنه لا ولن يخلف طبيعته أبداً .



(14)



استفزاز الشيطان

قال تعالى: ﴿ وَأَسْتَفْزِرُ مِنْ أَسْطَعَتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبُ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ ﴾

[الإسراء: 64]

والآية فيها " الإستفزاز " و " الجلب " بالخيل والرجل ، وفيها الذي أشر منها وهو " المشاركة في الأموال والأولاد "

أما حرب الاستفزاز ، فهي حرب بشعة ، إذا دخل فيها العبد مع الشيطان فهو خاسر لا شك .

والأستفزاز: من الفزّ ، وأصل معناه : القطع . ومنه : تفزّز الثوب إذا انقطع ، ويقال للحفيف فزّ . (1)

وقال في اللسان " واستفّزه من الشيء : أخرجه ، واستفّزه : ختله حتى ألقاه في مهلكة ، واستفّزه الخوف أي : استخفّه " .
واستفّزه: استخف به .

قال ابن جرير - رحمه الله - " واستفّز " واستخف .

واستجهل ، من قولهم : استفزّ فلاناً كذا وكذا فهو يستفّزه " وقال الزّجاج : " معناه استدعهم استدعاءً تستخفّهم به إلى إجابتك " (2)

قال ابن العربي المالكي رحمه الله :- " واستفّز " فيه قولان :
أحدهما : استخفهم .

الثاني : استجهلهم .

ولا يخفّ إلا من يجهل ، بالجهل تفسير مجازي ، والحقة تفسير حقيقي " (3)
وقد فسر أكثر أهل التفسير " الاستفزاز " بالاستخفاف .

(1) تفسر الطبري (15 / 118)

(2) معاني القرآن (3 / 250)

(3) أحكام القرآن (3 / 1217) .

قال القرطبي: " واستفزز" أي: استنزل واستخف، وأصله القطع، ومنه تفزز الثوب إذا انقطع، والمعني: استنزهه بقطعك إياه عن الحق، واستفزه الخوف أي استخفه. وقعد مستوفزاً أي: غير مطمئن " واستفزز" أمر تعجيز، أي أنت لا تقدر على إضلال أحد، وليس لك على أحد سلطان فافعل ما شئت" (1).

" والأستفزاز وسيلة من وسائل الشيطان التي يكيد بها بني آدم في صراعه الطويل معهم، فوسيلة الاستفزاز التي يستخدمها عدو الله هي الأقوال والأفعال التي تثير الشهوات وتشعل الغرائز في النفس الإنسانية، ومن ثم الأنقياد إلى ارتكاب الفواحش والمحرمات والوقوع في شباك الشيطان التي تصبها لبني آدم، فهذه الإستفزازات الشيطانية هي المعركة الصاخبة، تستخدم فيها الأصوات والخيل والحيل والرجل على طريقة المعارك والمبارزات، يرسل فيها الصوت فيزعج الخصوم ويخرجهم من مراكزهم الحصينة، أو يستدرجهم للفخ المنصوب والمكيدة المدبرة، فإذا استدرجوا إلى العراء أخذتهم الخيل وأحاطت بهم الرجال" (2).

والأستفزاز يكون بالصوت، والصوت فسر بأشياء منها: الغناء - قال مجاهد: باللهو والغناء، أي: استخفهم بذلك.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: كل داع دعا إلى معصية الله عز وجل، وقاله قتادة واختاره ابن جرير (3).

قال ابن جرير: معني صوت الشيطان: أولي الأقوال في ذلك بالصحة أن يقال: إن الله - تبارك وتعالى - قال لإبليس: واستفزز من ذرية آدم من استطعت أن تستفزه بصوتك، ولم يخصص من ذلك صوتاً دون صوت، فكل صوت كان دعاً إليه وإلى عمله وطاعته، وخلافاً للدعاء إلى طاعة الله فهو داخل في معني صوته الذي قال الله تعالى: ﴿وَأَسْتَفْزِزْ مَنْ

أَسْطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ [الإسراء: 64] (4)

(1)

(2) ظلال القرآن (4 / 2239) وعبادة الشيطان (ص 292 - 293)

(3) تفسير ابن كثير (5 / 98)

(4) تفسير الطبري (15 / 118)

وقال ابن عطية رحمه الله : " والصواب أن يكون الصوت يعم جميع ذلك " (1) وقال شيخ الإسلام " وهو شامل له ولغيره من الأصوات المستفزة لأصحابها عن سبيل الله " (2) أقول بعد علم الله : الصوت جاء هنا غير مقيداً بنوع ، أو غيره ، فهو يعم ، الغناء ، والوسوسة ، والهواجس ، والأوامر ، والخواطر ، وبالحوف ، وبالثمني ، وبالآمن ، في اليقظة والنام ، وعند الغني والفقر ، وعند الضعف والشدة ، والصحة والمرض .
فمثلاً : عند الفرح بالزغاريد ، وعند الحزن بالصراغ والعويل . ولهذا قال ﷺ :
"صوتان ملعونان في الدنيا والآخرة : مزمار عند نغمة ورنة عند مصيبة " (3)
وفي رواية " نهيت عن صوتين أحمرين فاجرين ، صوت عند نغمة لهو ، ولعب ومزامر الشيطان ، وصوت عند مصيبة ، لطم وجوه ، وشق جيوب ، ورنة شيطان " (4)
ويخوف أوليائه ، إن كانوا في أمن ، ويؤمنهم إن كانوا خائفين ، يعهد إليهم بالأمان ، ويخوفهم بالفقر ، ويأمر بالفحشاء ، ويزعجهم بالموت .. وهكذا حتى يهلكم والعياذ بالله .

ثانياً : الجلب لقوله تعالى : ﴿ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ ﴾ [الإسراء: 64]

والجلب : أصل الإجلاب السوق بجلبة من السائق . يقال : أجلب إجلاباً ، والجلب والجلبة : الأصوات ، تقول منه : جلبوا بالتشديد ، وجلب الشيء يجلبه ويجلبه جلباً وجلباً ، وجلبت الشيء إلى نفسي وإحتلته بمعنى ، وأجلب على العدو إجلاباً أي جمع عليهم . (5) فالمعني : أجمع عليهم كلما تقدر عليه من مكائيدك .

وقال أكثر المفسرين : يريد كل راكب وماش في معصية الله تعالى ، قال ابن عباس ومجاهد وقتادة : إن له خيلاً ورجلاً من الجن والإنس .

فما كان من راكب وماش يقاتل في معصية الله فهو من خيل إبليس ورجاله . (6) .

(1) المحرر الوجيز (9 / 136)

(2) مجموع الفتاوي (11 / 642)

(3) حسن - وانظر ترجمه في " الصحيحة " (428) وفي تحريم الأت الطرب " (ص 51 - 52)

(4) حسن - وانظر ترجمه في " الصحيحة " (428) وفي تحريم الأت الطرب " (ص 51 - 52)

(5) اللسان مادة جلب .

(6) تفسير الطبري (15 / 81) والمحرر الوجيز (10 / 319) وابن كثير (5 / 91)

وروي سعيد بن جبير ومجاهد عن ابن عباس قال : " كل خيل سارت في معصية الله ، وكل رجل مشي في معصية الله ، وكل مال أصيب من حرام ، وكل ولد بغية فهو للشيطان " (1)

والرَّجُل جمع راجل ، مثل صَحْب وصاحب ، وقرأ حفص (وَرَجَلِك) بكسر الجيم وهما لغتان . ويقال : رَجُلٌ وَرَجُلٌ بمعنى راجل ، وقرأ عكرمه وقتادة " ورجالك " على الجمع (2)

والجلب : الصوت الكثير المختلط الهائل ، وأجلت عليهم صحت عليهم بقهر (3) وجلب الشيطان صياحه بهم وَحْتَهُ لهم بالإغواء والدعوة والترغيب والترين لكل باطل يرضي عدو الله الشيطان ويسخط الرحمن (4)

ومنه " نهي رسول الله ﷺ عن الجلب فقال : " لا جلب ولا جنب " (5)

والجلب في السباحة : هو أن يتبع الرجل فرسه فيزجره ، ويجلب عليه ويصبح حثاً على الجري .

والجنب : أن يجنب فرساً إلى فرسه الذي يسابق عليه فإذا فتر الركوب تحول إلى المجنوب .

والخيال : الأفراس جمع فرس ، أو الخيول وهي الخيالة . وأما الرجل :

قال التجاري : الرجل له واحدها راحل : (6)

وهذه الآية تدل على أن للشيطان خيلاً ورجلاً من الجن والإنس . وهما من الأسلحة التي يستخدمها الشيطان في معركته مع الإنسان ، فهو لا يتورع أن يستخدم أي سلاح في سبيل الوصول للغاية وهي الفتك بالإنسان ، ولا يجوز عنده نبل الوسيلة ولا الرحمة بالإنسان ، ولا إعطائه الفرصة التسلح عند المبارزة ، بل يباغته ، ويأخذه على غرة ، لأنه جُبِلَ على ذلك .

(1) معاني القرآن لابن النحاس (4 / 173)

(2) المحرر (10 / 319) وهي قراءة شاذة .

(3) معجم مفردات الفاظ القرآن (مادة جلب)

(4) عداوة الشيطان (ص 295)

(5) حسن - انظر الصحيحة وصحيح الجامع (7483)(7484)(7485).

(6) معجم غريب القرآن (ص 67).

قال قتادة ومجاهد أن لإبليس خيلاً ورجلاً من الجن والإنس "

وقال الرّجّاج : " وجائز أن يكون لإبليس خيل ورجال " (1)

وقال الألويسي : " وظاهر الآية يقتضي أن للعين خيلاً ورجلاً وبه قال جمع ، ف قيل :

هم من الجن ، وقيل : منهم ومن الإنس " (2)



(1) معاني القرآن (3 / 250)

(2) روح المعاني (15 / 111)

(15)



مشاركة الشيطان للناس في الأموال والأولاد

لقوله تعالى: ﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الإسراء: 64]

قال القرطبي رحمه الله :

﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ أي أجعل لنفسك شركة في ذلك فشركته في الأموال : إنفاتها في معصية الله قاله الحسن .

وقيل : هي التي أصابوها من غير حلها قاله مجاهد ، وابن عباس .

وقيل : ما كانوا يجرمونونه من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام قاله قتادة .

وقيل : ما كانوا يذبونه لأهتهم والأولاد . قاله الضحاك .

وقيل : هم أولاد الزني . قاله مجاهد والضحاك وابن عباس .

وقيل : هو ما قتلوا من الأولاد وأتوا فيهم من الجرائم . ابن عباس .

وقيل : هو لتسميهم عبد الحارث ، وعبد العزي ، وعبد الات ، وعبد شمس ونحوه

عن ابن عباس .

وقيل : هو صبعة أولادهم في الكفر حتى هودوهم ونصروهم ، كصنع النصاري

بأولادهم بالغمس في الماء الذي لهم قاله قتادة (1) .

وقيل كما روي مجاهد أن الرجل إذا جامع زوجته ولم يسم انطوي الجان على إحليله

فجامع معه ، فذلك قوله تعالى : ﴿لَمْ يَطْمِئِنَّ نَفْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: 56]

وروي من حديث عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ " إن فيكم مغررين " قلت : يا

رسول الله ، وما المغربون ؟

قال : " الذين يشترك فيهم الجن " رواه الترمذي الحكيم في " نوادر الأصول " .

قال الهروي : " تسموا مغررين لأنه دخل فيهم عرق غريب " .

(1) هذه الأقوال رواها ابن جرير (15 / 82 و 83) وذكرها القرطبي (5 / 620 / 621) .

قال الترمذي الحكيم : " فللجن مسامة (مباراة) بابن آدم في الأمور والاختلاط ، فمنهم من يتزوج فيهم ، وكانت بلقيس ملكة سبأ أحد أبويها من الجن " (1)
 زاد ابن كثير قولاً في " مشاركته في الأموال " عن عطاء : هو الربا . وقال الحسن : هو جمعها من خبيث وإنفاقها في حرام . وكذا قال قتادة . قال ابن جرير : والأولى أن يقال : إن الآية عامة تعم ذلك كله .

أقول والله أعلم : أما مشاركة الشيطان في الأموال .

ذكرنا قول ابن جرير - رحمة الله - قوله : " إن الآية عامة تعم ذلك كله " أي جمع المال من حرام ، وإنفاقه في حرام ، والتعامل بها بالربا ، أو جمعها من خبيث ، أو ما حرموه من أنعامهم يعني : البحائر والسوائب ونحوها ، وقال الفراء : " كل ما خالطه حرام فهو شركه (2) أي إبليس .

قال الفخر الرازي : " نقول : أما المشاركة في الأموال فهي عبارة عن كل تصرف قبيح في المال ، سواء كان ذلك القبيح بسبب أخذه عن غير حقه أو وضعه في غير حقه ، ويدخل فيه الربا والغصب والسرقة والمعاملات الفاسدة ، وهكذا قاله القاضي ، وهو ضبط حسن (3) وأنا أقول هو كذلك .

لهذا قال الطبري شيخ المفسرين - رحمه الله - :

" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : عني بذلك كل مال . عصي الله فيه بإنفاق في حرام ، أو اكتساب من حرام ، أو ذبح للألهة ، أو تسيب أو بُحر للشيطان ، وغير ذلك مما كان معصياً به أو فيه ، وذلك أن الله قال : ﴿ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ ﴾ فكل ما أطيع الشيطان فيه من مال أو عصي الله فيه ، فقد شارك فاعل ذلك فيه إبليس ، فلا وجه لخصوص بعض ذلك دون بعض (4)

أقول : أولاً معني كلمه " وشاركهم "

(1) القرطبي (5 / 621)

(2) معاني القرآن (2 / 127)

(3) التفسير الكبير (21 / 6)

(4) تفسير الطبري : (15 / 120) .

جاء في مادة "شرك" عدة معاني :

الأول : الأقتران : يقول ابن فارس : " يقال : شاركت فلانا في الشيء إذا صرت شريكه ، وأشركت فلانا إذا جعلته شريكاً لك ، قال تعالى في قصة موسى : " وأشركه في أمري " (1)

الثاني : بمعني الاشتراك في الشيء بين اثنين فصاعداً أي أن الشيطان شريك العبد في زوجته وماله وأولاده ، كما قال ﴿لَا تَخْذَنْ مِنْ عِبَادِكْ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ [النساء:118] وربما يكون أحد الشركاء له نصيب أكبر من الآخر ، فربما كان للشيطان نصيب في هولاء أكثر من صاحبها ومالكها الأصلي ، وربما تساوت الأنصبة ، وهكذا كما قال ﷺ " المسلمون شركاء في ثلاث : في الماء ، والكلأ والنار " (2).

الثالث : الحصنة والنصيب : قال ابن منظور : " والأشراك أيضاً جمع الشرك ، وهو النصيب كما يقال : قسم وأقسام ومنه قوله تعالى : ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرِكٍ﴾ [سبأ:22] وقوله ﷺ " من أعتق شركاً له في عبدٍ " (3) أي حصنة ونصيباً ، ثم قال : فإن شئت جعلت " الأشراك " في البيت جمع شرك وهو النصيب " (4)

الرابع : بمعني الخلط والضم ، قال الراغب " الشركة والمشاركة خلط الملكين " (5) والشركة : مخالطة الشريكين ، الشريك مخلص لشريكة ، وحصته منضمة لنصيب الآخر .

ومنها : المشاركة في التجارة ، أو في الأرض ، وتطلق على المصاهرة لمشاركته في النسب .

قل الأزهري : سمعت بعض العرب يقول : " فلان شريك فلان ، إذا كان متزوجاً بابنته أو أخته "

(1) معجم مقاييس اللغة .

(2) أخرجه ابن ماجه وأحمد زابو داود - وصححه الألباني في " الإرواء " (1552) .

(3) أخرجه البخاري (2386) ومسلم (1501)

(4) اللسان مادة (شرك)

(5) المرادات (ص 259)

أما مشاركة إبليس في " المال " فتأتي على صور .

الأولي : أن يجمعه من حرام :

وصورالجمع من حرام كثيرة جداً وبخاصة في زماننا هذا :

فمنها : التعامل بالربا ، وقد حرم الله تعالى الربا بجميع صورته . والربا معناه : لغة : النماء والزيادة والعلو .

تقول العرب : ربا الشيء يربو إذا زاد . وربا الرابية يربوها إذا علاها ، والرَّبوة والرَّبوة : المكان المرتفع ، ويقال أربنا الحنطة : زكت . ويقال : ربيته إذا غذوته ، لأنه إذا ربا وزاد " (1)

وسئل الإمام أحمد رحمه الله - عن الربا الذي لا شك فيه ، فقال : هو أن يكون له

دين ، فيقول له : أتقضي أم تُربي ؟ فإن لم يقضه زاده في المال ، وزاده هذا في الأجل " (2)

قال ابن العربي المالكي : " كان أهل الجاهلية يتبايعون ، ويربون وكان الربا

عندهم معروفاً ، يبايع الرجل الرجل إلى أجل ، فإذا حل الأجل قال : أتقضي أم تُربي ؟

يعني : أم تزيد في على مالي وأصبر أجلاً آخر ، فحرم الله تعالى الربا ، وهو الزيادة " (3)

وقال شيخ الإسلام - رحمه الله :- " كان الرجل من أهل ثقيف . الذي نزل فيهم القرآن

يأتي الغريم عند حلول الأجل ، فيقول : اتقصني أم تُربي ؟ فإن لم يقضه ، وإلا زاده المدين في

المال ، وزاد الطالب في الأجل ، فيضاعف المال في المدة لأجل التأخير " (4)

حكم التعامل بالربا :

جاء تحريم الربا صريحاً في كتاب الله قال تعالى : ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾

[البقرة:275] ثم أمرهم بالترك الدال على التحريم الشديد فقال تعالى ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة:278] وهدد المخالفين ،

وتوعدهم الذين لم يستجيبوا بالمحاربة فقال : ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾

(1) معجم مقاييس اللغة (2 / 483)

(2) إعلام الموقعين (2 / 129 .

(3) أحكام القرآن (1 / 241)

(4) مجموع الفتاوي (20 / 349)

[البقرة:279] ونهى المؤمنين عن أكل الربا ، وأمرهم بالتقوي وعلق على ذلك خلاصهم وفوزهم فقال تعالى : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران:130] . وقال تعالى : ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ ﴾ [البقرة:276].

وذم اليهود الذين تعاملوا بالربا وأكلوه واستحلوه فقال تعالى ﴿ فِظْمَرٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيْبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ﴾ [النساء:160، 161]

والربا أحد السبع الموبقات - المهلكات

فأخرج البخاري ومسلم من حيث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : " اجتنبوا السبع الموبقات - فذكر منها أكل الربا " الحديث (1)

وعن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : " ما ظهر في قوم الزنا والربا إلا أذن الله بهلاكها " (2)

وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : " إذا ضن الناس بالدينار والدرهم ، وتبايعوا بالعينه ، وتبوعوا أذنان البقر وتركوا الجهاد في سبيل الله أنزل الله بلاء فلا يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم " (3)

وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : " ما ظهر في قوم الربا إلا ظهر فيهم الجنون " الحديث (4)

وعن ابن مسعود مرفوعاً " الربا ثلاثة وسبعون باباً أهونها أن ينكح أمة ، الحديث " (5)

(1) أخرجه البخاري (2766) ومسلم (5764) (89) والنسائي (6 / 257)

(2) أخرجه أحمد (1 / 393 و 394) وأبو داود (3333) والترمذي (1206) وابن ماجه (2277) وهو صحيح .

(3) أخرجه أحمد (2 / 42) وأبو داود (3462) وأبو يعلي (5633) وصححه الألباني .

(4) راجع تحقيقنا للكتاب (الكبائر) (ص 67) .

(5) أخرجه ابن ماجه (2275) والحاكم (37 / 2) وصحه الألباني في صحيح ابن ماجه (3539) .

وعن عبد الله بن حنظلة مرفوعاً " درهم بن ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد عند الله من ستة وثلاثين زنية " (1)

عن ابن مسعود قال : لعن رسول الله ﷺ " أكل الربا وموكله " (2)

وعن جابر قال : " لعن رسول الله ﷺ - أكل الربا وموكله و كاتبه ، وشاهديه " وقال : " هم سواء " (3) .

وجاء عن جماعة من الصحابة منهم ابن عباس وأبي بن كعب وابن مسعود - ﷺ - أنهم قالوا : " كل قرص جر نفعاً فهو ربا " (4)

عن أبي أمامة مرفوعاً " من شفع لرجل شفاعته فأهدي له عليها فقبلها فقد أتى باباً عظيماً من أبواب الربا " (5)

عن ابن مسعود قال " من شفع لرجل شفاعته فأهدي إليه هدية فهي سحت " (6)

وعن ابن عمر قال " إذا كان لك على رجل ديني فأهدي لك شيئاً فلا تأخذه فإنه ربا " (7) .

وعن أبي بكر ﷺ قال : " الزائد والمستزيد في النار " يعني الأخذ والمعطي فيه سواء " نسأل الله العافية .

قال النووي - رحمه الله :- " يستوي في تحريم الربا الرجل والمرأة والعبد والمكاتب بالإجماع ، ولا فرق في تحريمه بين دار الإسلام ، ودار الحرب ، فما كان حراماً في دار الإسلام كان حراماً في دار الحرب ، سواء جري بين مسلمين أو مسلم وحربي ، وسواء دخلها المسلم بأمان أم بغيره ، هذا مذهبنا - الشافعية - وبه قال : مالك وأحمد ، وأبو يوسف والجمهور " .

(1) أخرجه أحمد (5 / 225) والطبراني (2703) والدارقطني (3 / 16) وانظر الصحيحة (1033) .

(2) أخرجه مسلم (3 / 1218)

(3) صحيح مسلم (1598) .

(4) أخرجه البيهقي (5 / 350) وراجع الإرواء (1397) .

(5) أخرجه أبو داود (3524) وأحمد (5 / 261) والطبراني (7853) (7928) وهو في " صحيح الجامع " (6316) .

(6) أخرجه عبد الرزاق " مصنفة (14664) وسنده صحيح .

(7) أخرجه عبد الرزاق في " مصنفة (14654) (14655) وسنده صحيح

وقال أيضاً " أجمع المسلمون على تحريم الربا ، وأنه من الكبائر، وقيل إنه كان محرماً في جميع الشرائع ، ومن حكاها الماوردي " (1)
 وقال القرطبي : " أكل الربا والعمل به من الكبائر " (2) . وقال شيخ الإسلام " المراباه حرام بالكتاب والسنة والإجماع. (3)
 وذكر الإمام الذهبي في " الكبائر " في الكبيرة " الثانية عشر (4)
 ومنها : أكل مال اليتيم :

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ [النساء:10] وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾ [الإسراء:34] .

قال السدي : " يُحْسِرُ أَكْلَ مَالِ الْيَتِيمِ ظُلْمًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَهَبِ النَّارِ يُخْرَجُ مِنْ فِيهِ وَمِنْ مَسَامِعِهِ وَأَنْفِهِ وَعَيْنِهِ ، كُلٌّ مِنْ رَأَاهُ يَعْرِفُهُ أَنَّهُ أَكَلَ مَالَ الْيَتِيمِ " رواه ابن جرير (8722) شاكر.

وقد ذكر الذهبي - رحمه الله - أن أكل مال اليتيم من الكبائر.

وأخرج مسلم (3 / 1457) من حديث أبي ذر - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " يا أباذر أراك ضعيفاً ، وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تأمران على اثنين ولا تلين مال يتيم "

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة السابق " اجتنبوا السبع الموبقات - ومنها : " وأكل مال اليتيم " (5)

وذكره ابن حجر الهيتمي في " الزواجر " (1 / 483) من الكبائر

(1) المجموع النووي (9 / 391)

(2) تفسير القرطبي (3 / 360)

(3) مجموع الفتاوي (29 / 418)

(4) راجع كتاب " الربا " لأبي الأعلي المودودي ، والربا وأثره على المجتمع الإنساني للذكتور عمر الأشقر ، وغيرها من الرسائل القيمة التي وضعت خصيصاً لهذا الأمر الخطير ، ولست بصرد الحديث عنه ، وإلا كنت جملت فيه كل شاردة وواردة حتى يعلم المفتي وشيخ الأزهر أن فوائد (ربا) البنوك حرام ، حرام ، حرام !

(5) سبق تخريجه .

3- مال السرقة :

قال تعالى: ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [المائدة:38]

قال ابن شهاب: نكّل الله بالقطع في سرقة أموال الناس ، والله عزيز في إنتقامه من السارق ، حكيم فيما أوجبه من قطع يده " وقال ﷺ " لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق ، وهو مؤمن " (1)
وعن أبي هريرة مرفوعاً " لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ، ويسرق الحبل فتقطع يده " . (2)

والسرقة من الكبائر كما في " الكبائر للذهبي (ص 106) والزواج (2 / 265)
4- أموال القمار:

كما في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْحَنُورُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ ﴾ - إلى قوله -
﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ [المائدة:90،91]
قال الذهبي في " الكبائر " ص (97)
" والميسر هو القمار بأي نوع كان : نرد أو شطرنج ، أو فصوص أو كعاب ، أو جوز ، أو بيض ، أو حصي ، أو غيره ، وهو من أكل أموال الناس بالباطل الذي نهى عنه الله بقوله ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ ﴾ [البقرة:188] ودخل في قول النبي ﷺ " إن رجلاً يتخوضون في مال الله بغير حقّ فلهم النار يوم القيامة " (3)
وفي صحيح البخاري " أن رسول الله ﷺ قال : " من قال لصاحبه: تعالى أقامرك فيتصدق " (4)

فإذا كان مجرد القول يوجب الكفارة أو الصدقة فما ظنك بالفعل؟! "

(1) أخرجه أحمد (2 / 276) والبخاري (2475) (6772) ومسلم (57)

(2) أخرجه البخاري (6783) (6799) ومسلم (1687) عن أبي هريرة

(3) أخرجه البخاري (3118) عن خوله الأنصارية

(4) أخرجه البخاري (4860) ومسلم (1647) والترمذي (1545) عن أبي هريرة

يدخل في القمار اللعب بالشطرنج، والطاولة، والكرة، بجميع أنواعها، والكويتشينة (الورق)، وغيرها من الألعاب المحرمة
(5) الغلول من الغنيمتة :-

وهي من بيت المال ومن الزكاة، وهذا مال حرام قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [الأنفال: 58] وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُغْلَ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [آل عمران: 161]

وعن أبي هريرة قال: قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره، ثم قال: "لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء يقول: يا رسول الله أغثنى، فأقول لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حممة فيقول: يا رسول الله أغثنى، فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتك..." الحديث أخرجه أحمد (2 / 426) والبخاري (3073) ومسلم (3 / 1461).

وأخرج أحمد (5 / 318 و 319) والترمذي (1561) والنسائي (7 / 131) وابن ماجة (2852) والطبراني (15655) وابن حبان (4855) عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: "أدوا الخيط والمخيطة وإياكم والغلول فإنه عار على صاحبه يوم القيامة" وهو حديث حسن.

وأخرج مالك (2 / 459) والبخاري (4234) ومسلم (115) من حديث أبي هريرة أن رجلاً في غزوة خيبر أسمه رفاعة بن يزيد رومي بسهم فكان فيه حتفه فقال الناس: هنيئاً له بالشهادة، فقال رسول الله ﷺ "كلا والذي نفسي بيده أن الشملة لتنتهب عليه ناراً، أخذها من الغنائم لم تصبها المقاسم" قال: ففرغ الناس فجاء رجل بشارك أو شراكين فقال رسول الله ﷺ: "شارك أو شراكان من نار"

وأخرج أبو داود (273) والنسائي (4 / 64) وابن ماجة (2848) وأحمد (5 / 192) وغيرهم من حديث خالد بن يزيد أن رجلاً غلّ في غزوة خيبر فامتنع النبي ﷺ من الصلاة عليه وقال: "إن صاحبكم غلّ في سبيل الله" قال "فتشنا متاعه فوجدنا فيه خرزاً من خرز اليهود ما يساوي درهمين"

وأخرجه مسلم (224) والترمذي (1) وابن ماجه (273) وأحمد (20/2) عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: "لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول"
قلت: سبحان الله إذا كان (ما يساوي درهمين) غلول، سرقة من المال العام، وسرقة من بيت مال المسلمين، فكيف بمن يسرق الملايين من بيت مال المسلمين وهو ليس منهم، بل من النصارى عبّاد الصليب وقد هزّب مال المسلمين للخارج، ووضعها في البنوك بأسماء أسياده حتى رضوا عنه، وإذا كان هذا حال فرد، فكيف بحال جماعات استولوا على أموال الناس من البنوك باسم "القروض" ثم فروا خارج البلاد؟!، فهذا سرق ملايين وقد أخبرنا النبي ﷺ بما فعل به، فكيف بمن سرق الملايين؟!
 ولقد نادى النبي ﷺ وصرخ في القوم، وهم في البلد الحرام والشهر الحرام "إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذه في شهركم هذا"

6- **تجارة الخمر وصناعتها** والمال الذي يجلب منها بكل صورها حرام وأخرج أحمد (1/316) والطبراني (12976) وابن حبان (5356) والحاكم (4/145) من حديث ابن عباس - رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ قال: "أتاني جبريل ﷺ فقال: يا محمد إن الله لعن الخمر وعاصرها ومعصرها وبائعها ومبتاعها وشاربها وآكل ثمنها، وحاملها والمحمولة إليه، وساقها ومستقيها" وإسناده جيد.

وأخرج أحمد (2/25-71) والطيالسي (1957) وأبو داود (3674) وابن ماجه (3380) والطحاوي "مشكل" (4/305) من حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: "لعنت الخمر بعينها وشاربها وساقها، وبائعها، ومبتاعها، وعاصرها، ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها" وهو حديث صحيح وله شاهد بنحوه من حديث أنس.

والله تعالي: إذا حرم شيئاً حرم الاتجار فيه، وحرّم ثمنها. ويدخل في ذلك تجارة "السجائر" بجميع أنواعها، وحرّم الكسب منها، وصناعتها، وحرّم العمل في مصانعها، حتى سائق السيارة التي تحمل هذه المحرمات كسبه حرام، والله أعلم.

7- المال المجلوب من قطع الطريق وفرض الأتاوات ، والضرائب ، والغصب كل ذلك حرام .

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا جَزَاؤُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ حِزْبٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة:33]

8- المال المجلوب عن طريق الغش حرام :-

أخرج مسلم (101) وأبو داود (3455) والترمذي (1315) وابن ماجه (2224) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال " من غشنا فليس منا " .
وعن ابن مسعود بلفظ " من غشنا فلس منا ، والمكر والخداع في النار " انظر الصحيحة : (1058) والإرواء (1319)

9- المال المجلوب عن طريق الرشوة حرام ، وكذلك المال الذي عن طريق التسول :
لقوله ﷺ " لعن الله الراشي والمرثي " .
أخرجه أحمد (2 / 387) والترمذي (1336) وابن الجارود (585) وابن حبان (5076) والحاكم (4 / 103) عن أبي هريرة : وهو صحيح .
وأخرجه أحمد (2 / 164) وأبو داود (3580) والترمذي (1337) وابن ماجه (2313) والطياللة (2276) وابن الجارود (586) وابن جان (5077) عن ابن عمرو ، وهو حسن .

قال العلماء : " فالراشي هو الذي يعطي الرشوة ، والمرثي هو الذي يأخذ الرشوة ، وإنما تلحق اللعنة الراشي إذا تصدر بها أذية مسلم ، أو ينال بها ما لا يستحق ، أما إذا أعطي ليتوصل إلى حق له ويدفع عن نفسه ظلماً فإنه غير داخل في اللعنة " (1)
وأسوء رشوة هي التي تعطي للحكام ، أو للقضاة ، وأصحاب المناصب الخطيرة . والله أعلم .

10- المال المنهوب والذي أخذ خلسه :

لأنه ﷺ " نهي عن النهبة والخلسة " .

(1) الكباشر (ص 142) بتحقيقي

أخرجه أحمد عن زيد بن خالد ، وانظر " الصحيحة " (1673) والجلسة ما يؤخذ سلباً ومكابرة .

11- المال المجلوب من تجارة الكلاب والبغاء ، والدم :-

رواه البخاري وأحمد وغيرهما عن أبي جحيفة أن رسول الله ﷺ " نهى عن ثمن الكلب ، و ثمن الدم ، وكسب البغي "

ولما أخرجه أحمد والأربعة عن جابر بن عبد الله - ﷺ - أن رسول الله ﷺ " نهى عن ثمن الكلب ، وعن ثمن السنور " وهو صحيح - انظر " صحيح الجامع (6949) (6950)

12- والمال المجلوب من الكهانة :

لما رواه البخاري ومسلم والأربعة عن أبي مسعود البدري - أن رسول الله ﷺ " نهى عن ثمن الكلب ، ومهر البغي ، وحلوان الكاهن "

13- والمال المجلوب من عسب الفحل :-

لما رواه البخاري وأحمد وأبو داود عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ " نهى عن عسب الفحل "

ولحديث أبي سعيد : " نهى عن عسب الفحل ، وقفيز الطحان " (1)

14- والمال المجلوب عن كسب الإمام :-

لما رواه البخاري وأبو داود عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ " نهى عن كسب الإمام " وفي رواية : " نهى عن كسب الأمة حتى يعلم من أين هو " رواه أبو داود والحاكم عن أبي رافع - صحيح الجامع (6975) .

15- المال المجلوب من كسب الحجاج :

لما رواه ابن ماجة عن أبي مسعود أن رسول الله ﷺ : " نهى عن كسب الحجاج " (2) ويدخل فيه المال المجلوب من حلق اللحى ، وتنف الحاجب والتنمص ، والوشم وغيره .

(1) انظر الإرواء (1476) وصحيح الجامع (6967)

(2) صحيح الجامع (9676)

16- المال المجلوب عن طريق اللقطة وبخاصة لقطة الحاج :-

لما رواه أحمد ومسلم وأبو داود عن عبد الرحمن بن عثمان التيمي أن رسول الله ﷺ :
 " نهي عن لقطة الحاج " .
 وأحكام اللقطة تطلب من مظانها.

17- المال المجلوب من بناء الكنائس والأديرة، والشليحات، وبيوت الدعارة،
 وبناء القبور، وكتابة اللوحات عليها وغير ذلك .

18- المال المجلوب من التصوير المحرور .

لما رواه الترمذي من حيث جابر أن رسول الله ﷺ " نهي عن الصورة " الصحيحة
 (425) .
 والأدلة كثيرة جداً .

19- المال المجلوب من ثمن الخنزير، وثمر الخمر، وعسب الفحل.

لما رواه الطيالس عن ابن عمرو أن رسول الله ﷺ " نهي عن ثمن الكلب، وثمر
 الخنزير، وثمر الخمر، وعن مهر البغي، وعن عسب الفحل " صحيح الجامع (6948)
 20- المال المجلوب من البيوع المحرمة :

مثل : المحاقلة، والمخاصرة، والملامسة، والمنابذة، والمزابنة، والمخابرة، والمزارعة،
 والنجش، وعن بيع ماليس عندك، وبيع ما لا تملك، وبيعتين في بيعة، والعينة، وبيع
 النهار قبل بدو صلاحه، وبيع الثمر بالتمر، وبيع الحصاة، وبيع الغرر، وبيع الحيوان
 بالحيوان نسئة، وبيع الذهب بالورق دينا، وعن بيع السنين، وبيع الشاة باللحم، وبيع
 المضامين، والملاقح، وحبل الحبله، وعن بيع الولاء وعن هبته، وبيع ضراب الجمل،
 وبيع الماء، والأرض لتحرث، وعن تلقي الجلب، وتلقي البيوع، إلخ البيوع المحرمة
 المال المجلوب من هذه البيوع والمكتسب منها حرام .

وكل هذا الحرام يدخل في عموم قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَطْلِ ﴾

[البقرة:188].

وهذا الباب واسع جداً صعب حصره .

أحاديث جامعه :-

أخرج الترمذي من حديث ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : " لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه ، حتي يسأل من خمس : عن عمره فيم أفناه ، وعن شبابه فيم أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ؟ وماذا عمل فيما علم ؟ " (1) وله شاهد من حيث أبي بزرة الأسلمي بنحوه .

(2) وأخرجه أحمد (7/3) ومسلم (72/2) والنسائي (60/5) من حديث أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال " من يأخذ مالا بحقه يبارك له فيه ، ومن يأخذ مالا بغير حقه ، فمثله مثل الذي يأكل ولا يشبع " .

(3) وعن خولة بنت قيس : رحمها الله أن رسول الله ﷺ قال : " إن هذا المال خضرة حلوة ، فمن أصحابه بقره بورك فيه ، ورب متخوض فيما شاءت نفسه من مال الله ورسوله ، ليس له يوم القيامة إلا النار " .

صحيح أخرجه أحمد الترمذي - الصحيحة (1592) وصحيح الجامع (2251).

(4) أخرج مسلم (703/2) عن أبي هريرة " إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً ، وإن الله تعالي ... أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ [المؤمنون:51] وقال تعالي : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ [البقرة:172] قال : ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر ، رافعاً يديه : يارب ! يارب ! ومطعمه حرام ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغذي بالحرام ، فأني يستجاب له "

(5) أخرج أحمد والبخاري والنسائي من حيث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال " يأتي على الناس زمان ما يبالي الرجل من أين أصاب المال ؟ من حلال أو حرام "

(6) وأخرج أحمد ومسلم عنه مرفوعاً " إن الله تعالي : يرضي لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً ، يرضي لكم أن يعبدوه ولا تشرکوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا

(1) انظر جمع صحيح الجامع (7299) والصحيحة (946)

تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم ، ويكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال "

(7) عن أبي هريرة مرفوعاً " أيما مال لم يطع الله فيه ، ولم يعط حقه جعله الله - عز وجل - شجاعاً له زبيبتان ينهسه من قبل القفا فيقول : مالي ذلك ؟! فيقول : أنا مالك الذي جمعته لهذا اليوم ، أنا الذي جمعته لهذا اليوم ، حتى يضع يده في فيه فيقضمها " أخرجه البخاري (3 / 268) فتح ، ومسلم (2 / 685) بنحوه .

(8) عن المغيرة بن شعبه أن رسول الله ﷺ : " نهى عن وأد البنات ، وعن عقوق الأمهات ، وعن منع وهات ، وعن قيل وقال ، وعن كثرة السؤال ، وعن إضاعة المال " أخرجه البخاري (3 / 340) فتح ، بخوه ، ومسلم (3 / 1341) بلفظ " إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ، وأد البنات ومنعاً وهات ، وكره لكم ثلاثاً : قيل وقال ... " الحديث .

عن محمد بن سوقة قال : سأل رجل سعيد بن جبير عن نهي النبي ﷺ عن إضاعة المال ، قال : هو أن يرزقك الله رزقاً حلالاً فتنفقه فيها حرم الله عليك " وعن محمد بن سيرين وقد سئل عن السرف قال : الإنفاق في غير حق .

قال أحمد بن أبي الحواري : يؤتي يوم القيامة برجل اكتسب مالاً من حلال ، فأنفقه في حرام ، فيؤمر به إلى النار ، ويؤتي برجل اكتسبه من حلال ، فأنفقه في حلال ، قال : أو فقوا هذا للحساب .

أخرجه بن أبي الدنيا في " إصلاح المال " (32) .

قال الحسن البصري : إيا عبد أمسك مالاً حراماً ، إن أمسكه لم يُبارك له فيه ، وإن أنفقه لم يقبله الله - عز وجل - منه فإن مات وهو عنده كان زاده إلى جهنم " .

أقول : لا شك أن الكسب الحرام والمال الحرام سببه هذه المشاركة الملعونة من الملعون إبليس للإنسان في ماله وكسبه ، وكل ذلك حتى يأكل الحرام ويتغدي على الحرام وينبت جسد أولاده من الحرام ، فيدعون فلا يستجاب لهم ، وهذا هو هم إبليس وكل أمانية أن لا يستجاب للعبد فيه !

(2)



مشاركة الشيطان في الأولاد

لقوله تعالى: ﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ [الإسراء:64]
وسبق أن ذكرنا أقوال أهل العلم في معني مشاركة الشيطان في الأولاد وقال الطبري
رحمه الله - أن مشاركته على العموم، وليس في أمر واحد فقط ، بل هي مشاركة عامة "
أقول والله أعلم : أن المشاركة في الأولاد على أنحاء منها :
1) اختيار الزوجه :

لأن الزوجة الصالحة مثل الأرض الطيبة التي تمسك الماء وتنبت الكلاً ، والزوجة
السيئة مثل الأرض السيئة التي لا تمسك الماء ولا تنبت الكلاً ، والزوجة هي موضع
الحرث كما قال تعالى ﴿فَسَاوُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾ [البقرة:223] أي موضع الزرع ، لأنها إن
كانت صالحة انتفعت بالنطفة وأنبتت الزرية الصالحة ، وإن كانت غير ذلك كانت
الزرية غير صالحة ، أو أنها لا تنتفع بالنطفة .

فهو - أي الشيطان الرجيم - يزين للرجل حب المرأة ، ويجملها في عينيه لدرجة أنه
لا يري أجمل منها ، في حين أن جميع الخلق يرونها غير صالحة ، ثم يوقع في قلبه حبها ،
ثم يحارب أهله وعشيرته من أجل الزواج منها ، ثم يقاطع العشيرة لأجلها وربما أخذها
وهرب ، ثم ما يلبس أن يتخلي الشيطان عنه ، وينكشف الغطاء ، وتتجلي له الحقيقة
فيرها كما رآها الناس من قبل ، وربما لا يتخلي عنه فيتمادي في إمساكها ، وربما خانتها ،
وربما لا تلد له ما كان يتمني ، إلى آخر القصص المحزنة والمؤلمة التي نسمع عنها
ونشاهدها ويأتينا من هذه المفجعات الكثيرة .

فالشيطان يشارك الإنسان في اختيار الزوجة لأنها الزوجة والأم والمربية ، فإن كانت
سيئة الخلق ، سيئة السمعة ، سوف تساهم إبليس في إفساد المجتمع ، وتقدم له أعظم
خدمة وفي إضلال البشر ، وسوف تقدم أولادها جنود لإبليس اللعين يستخدمهم في
غواية البشرية .

لذلك وضع الإسلام أسس قوية قويمة في اختيار الزوجة فتجد أن الله تعالى يعرض بذلك في كتابه فمزة يذكر الحياء كما في قصة موسى عليه السلام وزوجه من ابنه الرجل الصالح حيث قال : ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ ﴾ [القصص: 25]

وعرض بالإيمان فقال تعالى : ﴿ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [الأحزاب: 49] وصرح النبي صلى الله عليه وسلم بالدين ، الذي يشمل الحياء ، والإيمان ، وجميل الأخلاق فقال : " تنكح المرأة لأربع لمالها وحسبها وجمالها ودينها فاظفر بذات الدين تربت يداك " رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة .

وراجع مزيد من التفاصيل في كتابنا " أحكام العشرة الزوجية " عند جماع الزوجة

لقوله صلى الله عليه وسلم " لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهل " وفي رواية : " أما إن أحدكم لو يقول حين يجامع أهله بسم الله اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان مارزقتني ، فإن قضي إليه بينهما ولدا لم يضره الشيطان أبداً .

أخرجه البخاري (90 / 187) ، ومسلم (30 / 5) نوري ، وغيرهما عن ابن عباس . وفي رواية عند الطبراني من حيث أبي أمامة " جنبني وجنب ما أرزقتني من الشيطان الرجيم " راجع الفتح (9 / 187 - 1888)

وأخرج عبد الرزاق عن الحسن مرسلاً " إذا أتى الرجل أهله فليقل بسم الله اللهم بارك لنا فيما رزقتنا ، ولا تجعل للشيطان فيما رزقتنا نصيباً فكان يرجي أن حملت أن يكون ولداً صالحاً " ومعني " لم يضره الشيطان " إما بعدم مشاركته جماع زوجته .

كما جاء عن مجاهد أنه قال " أن الذي يجامع ولا يسمي يلتف الشيطان على إحليه فيجامع معه " واختار هذا الحافظ في " الفتح . (9 / 188)

وأنا معه في هذا الرأي وذلك لحديث " إن الشيطان يحضر أحدكم عند كل شيء من شأنه " رواه مسلم عن جابر .

فهذا للعموم ، فإذا كان الشيطان يدرك الطعام والمبيت لعدم الذكر حيث يقول " أدركنا المبيت وأدركنا الطعام " فلاشك أنه إذا جامع فلم يسم يقول الشيطان " وأدركنا الجماع "

قال الحافظ في "الفتح" (9/ 189)

" وفي الحديث إشارة إلى أن الشيطان ملازم لابن آدم لا ينطرد عنه إلا إذا ذكر الله " عن استقبال المولود :

واستقبال المولود ، وللشيطان عند استقبال المولود عجب فمثلاً : عند اليهود : يهودنه ، أي يجعلونه يهودياً ويغضونه في الإسلام والفرق الأخرى ، ويزرعون في نفسه أنه من شعب الله المختار وأن جميع الشعوب خدم له مسخرون بأمره !!
وعند النصارى : يُنصرونه يجعلونه نصرانياً وذلك بتعميده وتصليبه كما قال النبي ﷺ " ما من مولد إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كما تنبح البهيمة بهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء " أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة .

والشيطان يستقبل المولود قبل أبويه .

لما رواه مسلم وأحمد عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال " ما من مولود يولد ، إلا نخسه الشيطان فيستهل صارخاً من نخسه الشيطان ، إلا ابن مريم وأُمّه " ويستقبل المولود عند كثير من الناس سواء أكانوا أصحاب ديانة أم لا ، بالهون ، والملح ، والعدس ، والأغاني ، حتى أصبح ذلك من كثرة الأعتياد أنه مقدس عند إستقبال المولود حتى عند كثير من المسلمين ، ويوقدون الشموع ، إلى غير ذلك مما لا يثبته شرع ولا عقل .

والأدهى من ذلك أنهم يربون الأطفال على التردد والعقوق ، حتى تسقط شخصية الأب والأم في نظره وذلك عندما يقولون له: " اسمع كلام أبوك ولا تسمع كلام أمك " وآخرون يقولون عكس ذلك ولا يدرون أن مثل هذا يؤثر سلباً على المولود.

أما عند المتمسكين من المسلمين بهدي نبيهم ﷺ فيستقبلون المولود بكلمة التوحيد وكلمات الحق - الأذان - ثم التحنيك ، ثم عمل عقيقة ، وحلق رأسه والتصدق بوزنها ذهباً أو فضة ، فينشأ الطفل على أحسن الهيئات وأطيب الأخلاق ويهتدي إلى وظيفته التي خلقه الله تعالى لأجلها .

(3)



مشاركة الشيطان في تسمية المولد

وذهب إلى ذلك ابن عباس رضي الله عنهما وغير واحد من السلف أقول : إن الشيطان اليوم تلاعب بعقول جل المسلمين ، وتلاعب بأسماءهم ، فجعلهم يشركون في الأسماء ، وشاركهم مشاركة قد تصل إلى حد كبير جداً في تسمية الأبناء حتى يحول عبوديتهم إلى غير الله ، فأمرهم بتسمية عبد النبي ، وعبد الرسول ، وعبد المسح ، وعبد الكعبة ، وإن انقضت هذه الأسماء هذه الأيام بين الشباب ، لكن حولهم إلى أسماء غريبة وفارسية ، وأسماء ظن أصحابها أنها إسلامية وهي مكروهة مثل - إيمان ، مؤمن ، إسلام وهذه أمثالها قد يصل الأمر إلى التحريم ، فعندنا في حيننا غلام من أشقي الخلق ويسمي إسلام ، فهذا يسب إسلام وهذا يدعو عليه ! وهذا يلعنه ، وهذا يضربه ، ثم إذا ذهب أحدكم إلى بيته ليسأل عنه ، هل عندكم إسلام ؟ فيقولون : لا !! وهناك قطع يسمى بأسماء مغنيين ، ولا يجبي كرة ، وفنانين ، وأسماء كثيرة مخالفة للشرع .

ولقد عني الإسلام بأسماء الأبناء ، ولقد حول النبي صلى الله عليه وسلم أسماء كثيرة شركية مثل : عبد شمس ، وعبد الكعبة ، وعبد العزي ، إلى أسماء طيبة ، ولقد بوب البخاري رحمة الله - في صحيحة ، وكذلك في كتاب " الأدب المفرد " أبواب في تغيير الأسماء وما هي أحب الأسماء ، وكذلك الإمام مسلم ، وكذلك أصحاب السنن وغيرهم ، وهذا باب ثابت في كل كتب الحديث .

ولقد تحدث شيخ الإسلام ابن القيم في قضية الأسماء وقال " أن كل عبد له حظ من اسمه " .

ولذلك فإننا نناشد جميع المسلمين في كل مكان ألا يتلاعبوا بأسماء الأبناء ، وليتخيروا الأسماء الطيبة المعبدة لله تعالى ، حتى تقع العبودية في نفوس الأبناء في صغرهم والله المستعان .

قال صلى الله عليه وسلم " خير أسمائكم عبد الله ، وعبد الرحمن والحارث . صحيح - أخرجه الطبراني عن أبي سبرة ، الصحيحة (904) (1040)

(4)



مشاركة الشيطان في تربية الأبناء

وهذا باب واسع جداً ، لكن يمكن حصره في جملة من المسائل :

الأولي : عدم التسمية الصحيحة للأبناء ، وقد سبق الكلام عليها .

ثانياً : إطعامهم من حرام ، وقد تكلمنا على هذه المسألة في الأموال .

ثالثاً : عدم الإنفاق عليهم ، وهو يدخل في باب إضاعة الأبناء ، وقد قال ﷺ " كفي

بالمرء إنما أن يضيع من يقوت " صحيح - أخرجه أحمد وأبو داود والحاكم عن ابن عمرو ،

انظر الإرواء (894) ورواه مسلم عنه بلفظ " كفي إنما أن تحبس عمن تملك قوته " .

وقال أيضاً لزوجة أبي سفيان لما اشتكت بخله وعدم إنفاقه عليها " خذي من ماله

بالمعروف ما يكفيك ويكفي بنيك "

أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه عن عائشة وأخرجه

الطبراني عن أبي كبشة أن رسول الله ﷺ قال : " خباركم خيركم لأهله " صحيح -

انظر " صحيح الجامع . (3266) أخرج البخاري ومسلم وغيرهما من حديث حكيم

بن حزام لما سأل رسول الله ﷺ أي الصدقة أفضل ؟ قال : " ابدأ بمن تعول ، والصدقة

عن ظهر غني " .

وأخرج أحمد وأبو داود و النسائي بسند صحيح من حديث أبي هريرة أن الرسول

الله ﷺ قال : " تصدقوا " فقال رجل : عندي دينار ؟ قال : أنفقه على نفسك " قال :

عندي دينار آخر . قال : تصدق به على امرأتك " قال : عندي آخر ؟ قال : تصدق به

على ولدك " قال عندي آخر ؟ قال : " تصدق به على خادمك " قال : عندي آخر ؟ قال :

أنت أبصر "

والأحاديث في هذا باب كثيرة جداً .

قال سفيان الثوري - رحمة الله - : " عليك بعمل الأبطال ، والكسب من الحلال ،

والإنفاق على العيال " أخرجه ابن أبي الدنيا في العيال " (23) وأبو نعيم في " الحلية "

رابعاً : الأنفاق عليهم لحد السرف .

وإن كان هذا لا يقع إلا قليلاً، وفي طائفة من البشر معينه وهم طبقة الأثرياء، لكنه مشاهد ، ومعروف .

فالأب ينفق عليهم ببزخ ، ويوقعهم في ترف شديد يؤدي إلى الوقوع في المحرمات ، مثل: الإدمان ، التدخين ، شرب الخمر ، السهر في صالات الديسكو حتى الصباح ، اتخذوا سبيل الشيطان سبيلاً وأعرضوا عن سبيل الله تعالى .

فالشيطان إما أن يوقع الإنسان في البخل والإمساك الشديد، وإما أن يوقع الإنسان في الترف والبزخ الشديد ، أي بين الإفراط والتفريط .

فالعبد المسلم التقي يخاف الله تعالى ولا يقع في الإفراط ولا في التفريط بل عليه بالتوسط في أموره كلها ، وبخاصة في النفقة على أولاده لأن المال سلاح ذو حدين .

وليعلم العبد المسلم أن المال هو الشيء الوحيد الذي يُسال عنه العبد مرتين : من أين اكتسبته ؟ وأين انفقته ؟ فإذا نجا من الله الأول، فماذا تقول في الثاني ، وما هي الإجابة التي أعدتها بها لهذا اليوم ؟

خامساً : عدم العدل بين الأبناء .

وعدل الأباء مع الأبناء يكون في كل شيء ، في الحب ، والعطية ، لإحترام التوفير ، لا يقدم واحداً على الآخر ، إلا بإذن الأبناء ، ولا يعطي أحدهم ويمنع عن غيره إلا بإذنه .

فأخرج التجاري ومسلم وغيرهما من حديث النعمان بين بشير قال : جاء أبي إلى رسول الله ﷺ وقال : إني نحلتُ ولدي هذا نحلاً فأنتيتك أشهدك على هذا فقال له : " أكل ولدك نحلت " فقال : لا فقال : " أشهد على هذا غيري فإني لا أشهد على جور " .

وفي رواية " تشهدني على جور " وفي رواية " لا أشهد إلا على حق " وفي رواية " اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم " وفي لفظ : " أيسرك أن يكون إليك في البر سواء؟ " قال : بلي .

وفي رواية بسند حسن عن ابن أبي الدنيا في كتاب " العيال " " اعدلوا بين أولادكم في النحل ، كما ترجون أن يعدلوا بينكم في البر واللفظ " .

وأخرج أيضاً عن الحسن مرسلًا بسند صحيح " بيما رسول الله ﷺ يحدث أصحابه إذ

جاء صبي حتى انتهى إلى أبيه في ناحية القوم ، فمسح رأسه وأفعدته على فخذه اليمين . قال " فلبث قليلاً فجاءت ابنة له حتى انتهت إليه ، فمسح رأسها وأفعدتها في الأرض فقال رسول الله ﷺ " فهلاً على ، فخذك الأخرى " ؟! فحملها على فخذه الأخرى فقال ﷺ " الآن عدلت "

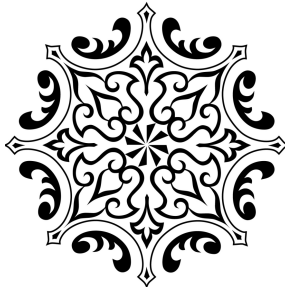
وأخرج أيضاً عن إبراهيم النخعي يسند صحيح أنه قال :

" كانوا يستحبون أن يسووا بين أولادهم حتى في القبل "

وأخرج أيضاً عن عمر بن عبد العزيز رحمة الله أنه ضم أبنائه له ، وكان يحبه ، فقال : يا فلان ، والله إني لأحبك ، وما أستطيع أن أوثرك علي أخيك بالقمة .

سادساً : في عمل العقيقة .

والعقيقة وأحكامها وما يتعلق بها تكلمنا عنها في غير هذا الموضوع ، والمقصود هنا ، أن الرجل إذا صنع لأحد أولاده عقيقة ، يصنع للأخر ، ولا يفرق بين الأبناء في صنع الحقيقة ، أو يفرق بين الصبيان والبنات لميله لطرف دون الأخر ، وحتى يحصد منهم جميعاً البر ، فلا يعقّه ابن ديبّره ابن آخر .



(5)



مشاركة الشيطان الأبناء في عقوق الأباء

فللشيطان اليد الطولي في هذا الميدان ، فإنه يساعد الأبناء بطريقة مباشرة في عقوق الأباء ، حتى امتلات الدنيا بالعقوق ، فما من بيت من بيوت المسلمين الآن إلا وهو يشتكي ويأن من العقوق ، والعقوق بجميع صورة وأشكاله وألوانه .
ولم يقف الأمر عند عقوق الأبناء ، بل أصبح العقوق من الأباء للأبناء ، ويقع العقوق بينهما إما بسبب دين على الأباء نحو آباءهم ، فيقع القصاص في الدنيا كما صرح الحديث الصحيح ، وإماء بسوء التربية ، وربما كان شقاء الأبناء جبلي كما قال ﷺ "الغلام الذي قتله الخضر طبع يوم طبع كافراً" رواه البخاري .
وقد ضرب الله تعالى لنا مثلاً بمن فسدت فطرته فلا تجدي معه نصيحه أو هداية مثل ابن نوح عليه السلام ، ومثل امرأة نوح ولوط عليهما السلام ، فمثل هذا لا مدخل للعبد فيه .

وربما كان العقوق بسبب عدم مجارات الأباء الأبناء في تقدم الحياة ، فالأب يعيش في زمن ، والأبن يعيش في زمن آخر ، الأب يريد إرجاع الابن للزمن الجميل ، وزمن الفضل ، وحب الخير ، والتعاون على البر ، ولكن الابن يريد حياة عصرية ، يريد أن يعتزل عن الأب بفكره ، ويستقل بعقله ويتحرر من أصر والده ، فيقع الصدام ومعه العقوق ، فيتهم الابن أبيه بالتخلف والرجعية ، فلا يكون من الأباء إلا سبه ولعنه ، وطرده من البيت ... فيقع العقوق والشقاق وربما تدخل الشيطان بينهما فأمر الأبن بالتخلص من الأب الرجعي ، فيقتله ، فربما قتله وهو يصلي ، وكذا وهو نائم وقد تناقلت وسائل الإعلام في الأعوام الماضية فجائع وأهوال مثل هذه الحوادث والكوارث ...

(6)



يخوف الشيطان الأباء من الأبناء

والتخويف في هذا الموطن يكون واحد من هذه الأمور:

أولاً: كثرة الأولاد، فيقول له الشيطان، أن كثرة الأولاد تؤدي إلى كثر الأعباء وزيادة في المصروفات، ومواصلة العمل بالعمل حتى يشغله عن طاعة ربه، فلا وقت يصلي ولا وقت يقرأ القرآن ولا وقت لصلة الرحم، ولا وقت لزيارة المرضى ولا لتشجيع الجنائز ليقطعه عن الناس، وعن أرحامه بسبب الأولاد.

يأمره بقله النسل، وليس الشيطان وحده الذي يأمره بذلك فهناك جهات كثيرة تريد منه ذلك حفاظاً على الاقتصاد!!

ثانياً: يخوفه بالفقر والجوع :

كما قال تعالى ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ ﴾ [البقرة: 268] فيجعل الأب في هم بالليل والنهار بسبب إطعام الأولاد وكأنه هو الرزاق، فيصبح في هم ويُمسي في غم، بسبب رغبة العيش، فيحمله هذا على البخل، فإذا جاءه ضيف قال: أولادي أولى فيدخل، ويحمله على الجهل، إذا ذهب إلى مجلس علم، قال: أولادي أولى بالوقت الذي أقضيه في العلم، ويحمله على الجبن، فإذا نادى منادى الجهاد منعه الأبناء بحجة: من للأولاد بعد؟!!!

وصدق النبي ﷺ حيث قال:

"الولد ثمرة القلب، وإنه مجبنة، مبخله، محزنة"⁽¹⁾

وفي رواية "مجهلة" فهذه الأربع التي تصيب الأباء بسبب الأبناء. ويحمله على هذا كله الشيطان، ويدعو إليه، ويزين ذلك، فلعنة الله عليه في الصباح والمساء وفي الليل والنهار، وفي كل حين.

ثالثاً: أن يسلط الزوجة والأولاد على الأب لينفق ماله في غير حله. وهذا كثير جداً وملاحظ في هذه الأيام، أن الرجل قد تبخل في التصدق ثم تجد ينفق ماله في شراء

(1) أنظر صحيح الجامع (7160)

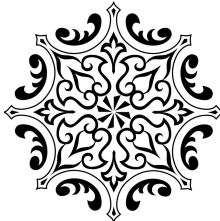
أجهزة تفسد العقل والقلب معاً. وربما صنع "طهوراً" وليمة ختان لكن بطريقة شيطانية، وليس للشرع فيها نصيب.

وربما تظاهر بالفقر، ثم عند زواج أحد أولاده أتي بمزامير الشيطان، وطبول إبليس، وأنفق ماله في محرم بحجة أنه زواج وفرح؟! ثم يدّعي أنه وقع تحت ضغوط من أهل البيت!

رابعاً: أفقد الشيطان قوامه الرجل، ومحا شخصيته أمام زوجته وأولاده فترك لهم الحبل على الغارب يصلون ويجولون في معصية الله تعالى، وأصبح الأب مجرد جابي للمال فقط! ثم يدعوه الشيطان إلى ذلك بحجة مسaire الأمور حتى يهدم بيته، وتضيع أولاده!

خامساً: أفقد الشيطان أمانة الرجل، مع أن أهم ما يتصف به الزوج الأمانة وَعَرَضَ اللهُ تعالى بذلك حيث قال في قصة موسى ﴿إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْوَالِدِينَ وَالْحَقَارَ أَفْضَلُ لَكُمْ إِن كُنْتُمْ رَاغِبِينَ فِي الْوَالِدِينَ وَالْحَقَارِ﴾ [القصص: 26] فلم يعد الأب أميناً ولا قوياً، بل أصبح ضعيفاً لا وجود له البتة، لا حول له ولا قوة، لا يعرف الداخل ولا الخارج، وربما كان ديوثاً، وهذا الصنف من الرجال أنتشر في مجتمع المسلمين وللأسف الشديد.

وبعد ... فقد دخل الشيطان بيوت المسلمين، وعشش فيها، بل باض وفرخ في بيوت المسلمين، واستطاع بما أتي من حيل لإفساد بيوت المسلمين، فدخل بين الرجل وزوجته، وبين الزوجة وأبناءها، وبين الأبناء بعضهم مع بعض، حتى قتل الأخ أخاه، والابن أمه، واستطاع أن لا يخرج من البيت إلا والدماء تجري فيه أنهاراً... وكله بسبب البعد عن الله وهجر كتاب الله تعالى وعدم تحكيم شرع الله بين الأبناء وأهل البيت.



(16)



استهواء الشيطان

قال تعالى: ﴿قُلْ أَدْعُوْا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرُدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُوْنَهُ إِلَى الْهُدَىٰ أَيْنَمَا قُلُّوا هُدًى اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَأَمْرَنَا لِلسَّلَامِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: 71]

الهواء: ممدود ما بين السماء والأرض، والجمع الأهوية، وكل خالٍ هواء. (1)

قال زهير بن أبي سلمى:

كأن الرحلَ منها فوق صعلٍ من الظلمان جُوجُ هواءٍ

والصعل: الصغير الرأي من الرجال والنعام.

وجُوجُوه: أي صدره. وقيل: عظام الصدر. هواء أي خال لا قلب فيه.

والهوى مقصور: هوى النفس، والجمع أهواء، وهوى بالكسر يهوي هوىً أي أحب.

وبالفتح: سقط إلى أسفل. (2)

قال الراغب: الهوى ميل النفس إلى الشهوة، وقد يقال ذلك للنفس المائلة إلى

الشهوة، وقيل سُمي بذلك لأنه يهوى بصاحبه في الدنيا إلى كل داهية وفي الآخرة إلى

الهاوية، والهوى سقوط من علو إلى سفلى (3)

وقال الجوهري: واستهواه الشيطان: أي استهَامَهُ (4)

وفي اللسان: "واستهوته الشياطين: ذهب بهواه وعقله" (5)

وترجع هذا الأقوال على قولين:

الأول: أن الاستهواء استفعال من هوى في الأرض يهوي إذا ذهب، فهو مُشتَقٌّ من

اتباع الهوى والميل (6)

(1) الصحاح للجوهري (2537/6)

(2) الصحاح (2537/6)

(3) معجم مفردات القرآن (ص 545)

(4) الصحاح (2537/6)

(5) اللسان مادة (هوا)

(6) زاد المسير (66/3)

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: استهوته، أضلته (1)

وقال الرّجّاج: "أي كالذي زينت له الشيطان هواه" (2)

وقال أبو عبيدة: "تشبه له الشياطين، فيتبعها حتى تهوى به في الأرض فتُضله" (3)

قال ابن قتيبة: "أي هوت به وذهبت" (4)

قال أبو السعود: "والاستهواء: استفعال من هوى في الأرض إذا ذهب فيها كأنها

طلبت هويّة وحرصت عليه" (5)

قال القرطبي: "أي استغوته وزينت له هواه ودعته إليه يقال هوى يهوي إلى الشيء

أسرع إليه" (6)

قال القاسمي: استمالته عن الطريق الواضح مرادة الجن (7)

وروى ابن جرير (13429) عن ابن عباس أنه قال:

"هو الذي لا يستجيب لهدي الله، وهو رجل أطاع الشيطان، وعمل في الأرض

بالمعصية، وجار عن الحق وضل عنه، وله أصحاب يدعونه إلى الهدى، ويزعمون أن

الذي يأمرونه هدى، يقول الله ذلك لأوليائهم من الأنس، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ هُدَى

اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ﴾ والضلّال ما يدعو إليه الجن (8)

القول الثاني: أنه من هوى إذا سقط من علو إلى أسفل، ومنه قوله تعالى: ﴿فَكَاَنَّا

خَرَّ مِنْ السَّمَاءِ﴾ [الحج: 31] واستبعده ابن عطية حيث قال: "وهذا المعنى لا مدخل له

في هذه الآية إلا أن تتأول اللفظة بمعنى ألقته الشياطين في هُوّة" (9)

(1) معجم غريب القرآن (ص 218)

(2) معاني القرآن (2/ 262)

(3) زاد المسير (3/ 66)

(4) تفسير غريب القرن (ص 155)

(5) تفسير أبي السعود (2/ 166)

(6) تفسير القرطبي (4/ 20)

(7) محاسن التأويل (4/ 403)

(8) إسناد ضعيف

(9) تفسير ابن عطية (5/ 242) وانظر عداوة الشيطان (ص 300)

مع أن الفخر الرازي قد رجَّح هذا المعنى فقال: "والاستهواء من الهوى وهو السقوط من علو إلى أسفل، سمى ضلالاً بذلك لأن من سقط من علو إلى أسفل ولم يجد محلاً يستند عليه هلك" (1)

"والذي يتفق وحال الشيطان مع الإنسان هو المعنى الأول، فالشيطان يهوي بالإنسان في الأرض ويذهب به إلى مواطن الفحشاء والمنكر ويزين له الرذائل والمعاصي، ويستميله إلى كل ما حرم الله تعالى عليه وهذا مثل ضربة الله تعالى - لمن كفر بالله بعد إيمانه، فاتبع الشياطين من أهل الشرك بالله وأصحابه في حال إسلامه والمقيمون على الدين الحق، يدعونه إلى الهدى الذي هم عليه مقيمون، والصواب الذي هم به متمسكون، وهو له مفارق، وعنه زائل، يقولون له: أئتنا، فكن معنا على استقامة وهدى، وهو يأبى ذلك ويتبع دواعي الشيطان ويعبد الآلهة والأوثان" (2)

أقول والله أعلم: أستهواه الشيطان أوقعه الشيطان في هواه، سلط عليه هوى نفسه فاتخذه الإله الذي يأمره وينهاه كما قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [الفرقان: 43] وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ [الأعراف: 176] وقال تعالى: ﴿فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾ [طه: 16] وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ [القصص: 50] وقال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية: 23] فهذه ست آيات في كتاب الله تعالى توضح أن هناك من اتبع هواه فأضله، ولم نرى فيه أن من اتبع هواه لم يضل، بل كان من اتبع هواه ضل حتى ولو كان على علم. واتباع الهوى يُردى، أي يقتل، والردى: الرمي بالحجارة حتى الموت. والتردي الوقوع في هوة سحيقة حتى يهلك، كمن تردى من فوق جبل، أي وقع حتى هلك. أي أن إتباع الهوى يُصرع العبد ويقتله، ويكون القتل بهذه الطريقة أفضح من القتل بالسيف! واتباع الهوى يؤدي إلى غلظة القلب، وهذه الغلظة تحجبه عن قبول الهداية وحتى استماع النصيح.

(1) التفسير الكبير (13/30)

(2) حاشية الصاوي على الجلالين (2/24) والعدواة (301)

وفي اتباع الهوى عبودية لغير الله تعالى، لأن إلهه الهوى هو الذي يأمره وينها، ويسمع لهواه ويطيع، فسار يعبده من دون الله.

واتباع الهوى يضل العبد حتى لو كان على علم، فالعلم لا يعصمه من الضلال عند اتباع الهوى، ولم كان علمه نافعاً ما وقع فريسة لهواه.

واتباع الهوى يصد العبد عن الحق، ويجعله يصد الآخرين عن قبول الحق، واستماع الخير، والعمل به.

واتباع الهوى يصد عن سماع الحق واتباع السنة، ثم يحرم نفسه من شفاعة النبي ﷺ في الآخرة.

واتباع الهوى يؤدي العبد إلى الكفر، والإعراض عن الله تعالى. هذا على مستوى الأفراد، ثم ما يليس حتى يكون على مستوى الجماعات، فتجد لكل داع أتباع، حتى يصبح الفرد جماعة يدعون إلى أهواءهم، ويتبعون أهواءهم.

ولقد ذكر الله تعالى "الأهواء" في ستة عشر موضعاً من كتابه

فقال الله تعالى: ﴿اللَّهُ قُلٌّ لَّا تُتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُمْ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾

[الأنعام: 56]

وقال الله تعالى: ﴿وَلَيْنِ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا

نَصِيرٍ﴾ [البقرة: 120]

وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا﴾

[المائدة: 77]

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [الأنعام: 150]

وقال تعالى: ﴿فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: 18]

وقال تعالى: ﴿وَلَيْنِ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ

الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 145]

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: 48]

وقال تعالى: ﴿وَلَيْنِ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا

وَاقٍ﴾ [الرعد:37]

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾

[المؤمنون:71]

وقال تعالى: ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الروم:29]

وقال تعالى: ﴿فَلِذَلِكَ فَادَعُ وَاَسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [الشورى:15]

وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ [محمد:16]

وقال تعالى: ﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ﴾ [القمر:3]

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام:119]

فكل الأهواء جاءت كلها مقرونة بالذم، وفي معرض الذم. وكل من اتبع هواه إما ضل، وإما سيضل، إما معرض، وأما مكذب وإما ظالم، وإما فاسد أو مفسد، ثم إذا أصّر على أتباع الهوى أو وصله ذلك أن يطبع على قلبه، فلا تؤثر فيه موعظه، ولا يجدي معه نفع. ثم إن متبع الهوى لا بدله أن يستحسن ما لم يشرعه الله، ويقبح ما شرعه الله، فيجعل من نفسه نداً، يشرع، ويقبح ويحسن من عند نفسه، مما يقدر ذلك في عبوديته لله تعالى.

وهذا غاية مراد الشيطان من اتباع الهوى.

وكا النبي ﷺ يستعبد من الهوى فقال:

"اللهم إن أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء والأدواء" (1)

وقال ﷺ "ثلاث منجيات: خشية الله تعالى في السر والعلانية، والعدل في الرضا والغضب، والقصد في الفقر والغنى وثلاث مهلكات: هوى متبع، وشح قطاع، وإعجاب المرء بنفسه" (2)

(1) أخرجه الترمذي والطبراني والحاكم وحسن الألباني في "صحيح الجامع" .. (1298)

(2) أخرجه الطبراني في "الأوسط" وأبو الشيخ في "التبويخ" وحسنه الألباني في "الصحيححة" (1802) وصحيح الجامع (3039) عن أنس.

وفي رواية: ثلاث مهلكات، منجيات، وثلاث، وثلاث كفارات، وثلاث درجات، فأما المهلكان فشح مطاح، وهو مقبع، وإعجاب المرء بنفسه⁽¹⁾

قال ابن القيم - رحمه الله - في "الضوائد" (ص 98-99) :-

"علمت كلبك فهو يترك شهوته في تناول ما صاده احتراماً لنعتك وخوفاً من سطوتك، وكم علمك معلم الشرع وأنت لا تقبل. حُرِّم صيد الجاهل والممسك لنفسه فما ظن الجاهل الذي أعماله هوى نفسه. جمع فيك عقل الملك، وشهوة البهيمة، وهوى الشيطان، وأنت للغالب عليك من الثلاثة، إن غلبت شهوتك وهواك زدت على مرتبة ملك، وإن غلبك هواك شهوتك فقصت عن مرتبة كلب.

لما صاد ما في العبد من الخير والشر والصفات الممدوحة والمذمومة من صفة المعطي المانع، فهو سبحانه يصف عباده بين مقتضى هذين الاسمين، فحظ العبد الصادق من عبوديته بهما الشكر عند العطاء والافتقار عند المنع فهو سبحانه يعطيه ليشكره ويمنعه ليفتقر إليه فلا يزال مشكوراً فقيراً".



(1) أخرجه الطبراني في الأوسط عن ابن عمر وغيره، وحسنه الشيخ رحمه الله في "الصحيححة" (1802) وصحيح الجامع (3045)

(17)



استحواذ الشيطان

قال الله تعالى: ﴿أَسْتَحْوِذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَهُمْ ذَكَرَ اللَّهُ﴾ [المجادلة:19].

قال الزمخشري: "أي ملكهم الشيطان لطاعتهم له في كل ما يريد منهن حتى جعلهم رعيته وحزبه، فأنساهم أن يذكروا الله أصلاً، ولا بقلوبهم ولا بألسنتهم" (1)

قال القرطبي: قوله ﴿أَسْتَحْوِذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ﴾ [المجادلة:19] أي غلب واستعلى أي: بوسوسته في الدنيا.

وقيل: قوي عليه.

وقال المفضل: أحاط بهم ويحتمل رابعاً: أي جمعهم وضمهم، يقال: أحوذ الشيء أي جمعه وضم بعضه إلى بعض، وإذا جمعهم فقد غلبهم وقوي عليهم وأحاط بهم (2)

قال في اللسان: استحوذ غلب. وقوله ﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء:141].

أي: ألم نغلب على أموركم ونستول على مودتكم. في الحديث "ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا وقد استحوذ عليهم الشيطان" أي استولى عليهم وحواهم إليه (3)

وفسر ثعلب ﴿أَسْتَحْوِذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ﴾ [المجادلة:19] غلب على قلوبهم (4) وقال جماعة: حاذ، خالط، وقيل: تلبث، وتمكث، وتلوى وتغلب، وضم إليه، ونال منه وملكه.

وقيل: أسرع وهرول أيضاً.

وكأنى بالشيطان سريع جداً في الاستحواذ على قلب العبد فهو يخالط القلب ثم ما يلبث أن ينضم أو يضمه إليه ثم يتلبث به ويتمكن منه، ثم يتلوى به ويغلب عليه ثم

(1) الكشاف (78 / 4)

(2) تفسير القرطبي (251 / 9)

(3) حسن - أخرجه أبو داود (547) والنسائي (156 / 2) وأحمد (196 / 5) وهو حسن.

(4) اللسان مادة (حوذ)

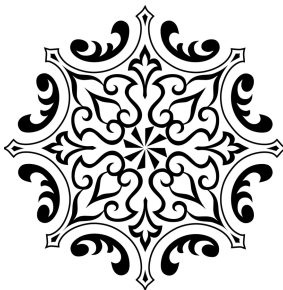
يملكه، فإذا ملكه فقد استحوذ عليه، وناله وأصبح ملكه، وله الحق بعد ذلك في التحكم فيه والتصرف في أمره - نعوذ بالله من ذلك.

أقول: لقد ثبت بالكتاب والسنة أن الشيطان يستحوذ على قلوب الغافلين من عباد الله، والباعدين عن منهج رسول الله ﷺ، فلما تمكن منه وكان الاستحواذ قوياً كان العبد بعيداً عن الله، وكانت نسبة الإماتة فيه شديدة، وكلما كان الامتلاك ضعيفاً والاستحواذ ضعيفاً، يكون العبد قريباً من الله، حتى يتملكه جميعاً والعياذ بالله.

والاستحواذ يكون بسبب الغفلة، والامتلاك يكون بقوة الرغبة في الدنيا.

قال العلامة أبي الطيب في "عون المعبود" (522/1) :

إلا قد استحوذ عليهم "أي: غلبهم وحوّهم إليه، فهذه كلمة مما جاء على أصله بلا إعلال خارجية عن أخواتها كاستقام واستقال" ثم ذكر أن من علاج الاستحواذ التمسك بالجماعة، فإن التخلف عن الجماعة يجعل من العبد فريسة للشيطان كما في الحديث "فعليك بالجماعة فإنما يأكل الذئب القاصية" وهو حسن كما سبق.



(18)



تسول الشيطان

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ ۗ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: 25].

قال القرطبي؛ سول: زين لهم خطاياهم. قاله الحسن.

﴿وَأَمَلَىٰ لَهُمْ﴾ أي: أمد لهم الشيطان في الأمل ووعدهم طول العمر عن الحسن. وقال: إن الذي ﴿وَأَمَلَىٰ لَهُمْ﴾ في الأمل ومد في أجلهم هو الله عز وجل. قاله الفراء، والمفضل.

قال الكلبي ومقاتل: إن معنى " ﴿وَأَمَلَىٰ لَهُمْ﴾ أمهلهم، فعلى هذا يكون الله تعالى أملى لهم بالإمهال في عذابهم" (1)

وقال ابن كثير: إن الذين فارقوا الإيوان ورجعوا إلى الكفر زين لهم ذلك - أي الشيطان - وحسنه وأملى لهم: غرهم وخدعهم (2).

قال القاسمي:

﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ﴾ أي زين لهم ارتدادهم وحملهم عليه ﴿وَأَمَلَىٰ لَهُمْ﴾ أي: مد لهم في الأموال والأمان، أو أمهلهم الله تعالى، فمد في آجالهم، ولم يُعاجلهم بالعقوبة.

والمعنى: الشيطان سول لهم، والله ﴿وَأَمَلَىٰ لَهُمْ﴾ (3)

وقال البقاعي:

"ولما كانوا قد أحرقوا بذلك أنفسهم وأبعدوها به غاية البعد عن كل خير - أي الذين ارتدوا - عبر عن المعنى بما يدل على ذلك فقال الله تعالى ﴿الشَّيْطَانُ﴾ أي المحترق باللعنة، البعيد عن الرحمة ﴿سَوَّلَ﴾ أي: حسن لهم بتزيينه وإغوائه الذي حصل

(1) تفسير القرطبي (531/8)

(2) تفسير ابن كثير (323/9)

(3) تفسير القاسمي محاسن التأويل (375/8)

لهم منه استرخاء في عزائمهم وفتور في همهم فجروا معه في مراده في طول الأمل، والإكثار من مواقعه الزلل والأمانى من جميع الشهوات والعلل، بعد أن زين لهم سوء العمل، فمكّن الله له منهم. وهذا لما علم سبحانه منهم حالة الفطرة الأولى وأملى لهم أي أطال في ذلك ووسع بتكرار ذلك عليهم على تعاقب الملوين ومر الجديدين حتى نسوا المواعظ وأعرضوا عن الذكر - هذا على قراءة الجماعة.

بفتح الهمزة واللام - وأما على قراءة البصريين بضم الهمزة، وكسر اللام، فالمراد أن الله تعالى هو المملي - أي الممهل - لهم بإطالة العمر، وإسباغ النعم، وتسهيل الأمانى والحلم، عن المعالجة بالنقم، حتى اغتروا، وهي أيضاً موافقه لقوله تعالى: ﴿سَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٤٤) وَأَمْلِي لَهُمْ إِن كَيْدِي مَتِينٌ ﴿[القلم: 44، 45] وأما في قراءة أبي عمرو، بفتح الياء فهو فعل ماض مبنى للمفعول، ودل على أن المملي هو الله سبحانه وتعالى قراءة يعقوب بإسكان الياء على أنه مضارع همزته للمتكلم" (1)

أقول: أما عن كلمة ﴿سَوَّلَ﴾

فقال الخليل بن أحمد: ﴿سَوَّلَ﴾ : سَوَّلَتَ لِفُلَانٍ نَفْسَهُ أَمْرًا، وَسَوَّلَ لَهُ الشَّيْطَانُ: أَي زَيْنَ وَأَرَاهُ إِيَّاهُ (2)

وقال في "اللسان" ﴿سَوَّلَ﴾ : سَوَّلَتَ لَهُ نَفْسُهُ كَذَا. زَيَّنَتْهُ لَهُ. وَسَوَّلَ لَهُ الشَّيْطَانُ أَعْوَاهُ.

التسويل: تحسين الشيء وتزيينه وتحيبته إلى الإنسان أو يقوله. وفي التنزيل العزيز ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: 18] هذا قول يعقوب عليه السلام - لولده حين أخبروه بأكل الذئب يوسف فقال لهم: ما أكله الذئب، بل سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ فِي شَأْنِهِ أَمْرًا، أَي زَيَّنَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا غَيْرَ مَا تَصِفُونَ وَكَأَنَّ التَّسْوِيلَ: تَفْعِيلٌ مِنْ سَوَّلَ الْإِنْسَانُ، وَهُوَ أَمْنِيَّتُهُ أَنْ يَتِمَّنَاهَا فَتَزِينُ لِطَالِبِهَا الْبَاطِلَ وَغَيْرِهِ مِنْ غُرُورِ الدُّنْيَا.

(1) نظم الدرر (7/ 171)

(2) كتاب العين (2/ 265) مادة (سول)

وأصل السؤل مهموز عند العرب، واستتقلوا ضغطة الهمزة فيه فتكلموا به علي تخفيف الهمز، قال الراعي فيه فلم يهمزه :

أخترتك الناس إذا رثت خلائقهم
واعتل من كان يرُجى عند السؤل

والدليل على أن أصل السؤل همز قراءة القراء قوله عز وجل: ﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ

يُمُوسَى ﴾ [طه:36] أي: أعطيت أميتك التي سألتها.

والتسؤل: استرخاء البطن، والتسؤل مثله.

فرجع معنى كلمته ﴿سؤل﴾ على معنيين:

الأول: التزين والتحبب والتحسين من قول أو فعل واعتقاد.

فهو - أي اللعين - يجب بعد أن يزين القول للعبد ليقول به.

ويحسن القول فيلقبه على لسانه ليتكلم به.

ويجبه في الاعتقاد الفاسد ليعتقد به، كما زين للمعتزلة، والخوارج المرجئة والمعطلة، والجبرية، والقدرية، وغيرها من الفرق، فحبب إليهم ما اعتقدوه، حتى يجعلهم من الفرق النارية الضالة، لأنه هو زعيم هذه الفرق النارية ورئيسهم وسائقهم إلى غضب الله، والهاوية.

الثاني:سؤل: أي مناهم ويؤمنهم، ويلقى الأماني في نفوس أتباعه الضعفاء وأولياءه الأزلأء.

ولهذا استخدم - الملعون في السماء وفي الأرض وفي كل زمان ومكان، وفي كل وقت وحين - الأماني الكاذبة والأحلام الخادعة، كسلاح يعيش الإنسان فيه، ويجعله يتوهم أشياء ويحلم بأشياء ربما كانت مستحيلة حتى يقتل عنده الأمل، عندما يتوهم أشياء ثم يوقظه ليصطدم بالواقع المر، فيقع في اليأس.

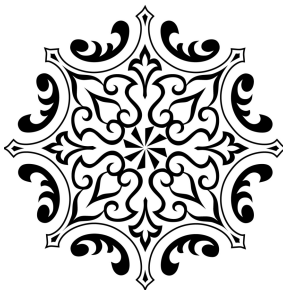
وربما مناه بأشياء مخالفة للشرع، كالذي يتمنى أن يكون مغنياً، وفناناً، ولاعب كرة مشهور، فيغرو بالشهرة والمال حتى يهلك. ولهذا أقسم إبليس أنه سيهلك البشرية ياغراقهم في الأماني الكاذبة فقال كما أخبر الله تعالى عنه ﴿ وَلَا ضَلَّيْتَهُمْ وَلَا مَتَّيْنَهُمْ ﴾ [النساء:119] واللام هنا للقسم كما سبق الكلام في تفسير هذه الآية، ثم قال الله تعالى

﴿يَعِدُّهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء:120] وسيأتي الكلام على أماني الشيطان بالبدس والتوضيح. أقول: وكما أن الشيطان يسول، فإن النفس الخبيثة تسول أيضاً، فيقع منها التسول كما يقع من الشيطان ولهذا أخبر الله تعالى عن ذلك فقال ﴿وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ [طه:96].

وقال تعالى على لسان يعقوب ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف:18].

وقال في نفس السورة ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف:83].

وهذا التسول في هذا الآيات بمعنى واحد وهو الغواية والتزيين وإذا كان تسول الإنسان مصدره الشيطان، فيكون جميع التسول منه، لعنه الله تعالى، سواء أكان من الأناسن أو من الشيطان، فمصدره الشيطان، فيرجع التسول كله إليه، لعنه الله.



(19)



تحزين الشيطان

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [المجادلة: 10].

قال القرطبي:

فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ ﴾ أي من تزوين الشيطان لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إذا توهموا أن المسلمين أصيبوا في السرايا، أو إذا أجروا اجتماعهم على مكايده المسلمين، وربما كانوا يناجون النبي ﷺ فيظن المسلمون أنهم ينتقصونهم عند النبي ﷺ ﴿ وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ ﴾ أي: التناجي ﴿ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ أي: بمشيئته وقيل: بعلمه، وعن ابن عباس بأمره: ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ أي: يكلون أمرهم إليه، ويفوضون جميع شئونهم إلى عونه، ويستعيذون به من الشيطان ومن كل شر، فهو الذي سلط الشيطان بالوساوس ابتلاء للعبد وامتنحناً ولو شاء لصرفه عنه.

الثانية: في الصحيحين عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: "إذا كان ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الواحد" ⁽¹⁾ وعند عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا كنتم ثلاث فال يتناجى اثنان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس، من أجل أن يحزنه" ⁽²⁾ فبين في هذا الحديث غاية المنع وهي أن يجد الثالث من يتحدث معه كما فعل ابن عمر، وذلك أنه كان يتحدث مع رجل فجاء آخر يريد أن يناجيه فلم يناجيه حتى دعا رابعاً، فقال له وللأول: تأخرا وناجى الرجل الطالب للمناجاة، خرج الموطأ، وفيه أيضاً التنبيه على التعليل بقوله: "من أجل أن يحزنه" أي يقع في نفسه ما يحزن لأجله، وذلك بأن يقدر في نفسه أن الحديث عنه بما يكره، أو أنهم لم يروه أهلاً ليشركوه في حديثهم، إلى غير ذلك من ألقيات

(1) أخرجه مسلم في كتاب "السلام" (4/1717).

(2) أخرجه البخاري (6290) ومسلم (4/38/1718).

الشيطان وأحاديث النفس، وحصل ذلك كله من بقائه وحده، فإذا كان معه غير أمن ذلك، وعلى هذا يستوي في ذلك كل الأعداد، فلا يتناجى أربعة دون واحد ولا عشرة ولا ألف مثلاً، لوجود ذلك المعنى في حقه، بل وجوده في العدد الكثير أمكن وأوقع، فيكون بالمنع أولى، وإنما خص الثلاثة بالذكر، لأنه أول عدد يتأتى ذلك المعنى فيه، وظاهر الحديث يعم جميع الأزمان والأحوال، وإليه ذهب ابن عمر ومالك والجمهور، وسواء أكان التناجي في مندوب أو مباح أو واجب فإن الحزن يقع به، وقد ذهب بعض الناس إلى أن ذلك كان في أول الإسلام، لأن ذلك كان في حال المنافقين فيتناجى المنافقون دون المؤمنين، فلما فشا الإسلام سقط ذلك، وقال بعضهم ذلك خاص بالسفر في المواضع التي لا يأمن الرجل فيها صاحبها، فأما في الحضر وبين العمارة فلا، فإنه يجد من يعينه، بخلاف السفر فإنه مظنة الاغتتيال وعدم المغيث، والله أعلم.

قال ابن القيم:

منزلة الحزن

ومن منازل ﴿إِنَّا كَفَبْنَا وَإِنَّا كَفَبْنَا نَسْتَعِيرُ﴾ [الفاتحة:5] منزلة "الحزن".

وليست من المنازل المطلوبة، لا المأمور بنزولها، وإن كان لا بد للسالك من نزولها. ولم يأت "الحزن" في القرآن إلا منهيًا عنه. أو منفيًا.

فالمنهي عنه: كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ [آل عمران:139] وقوله ﴿وَلَا

تَحْزَنَ عَلَيْهِمْ﴾ [النحل:127] في غير موضع، وقوله: ﴿لَا تَحْزَنَ إِنَّا اللَّهُ مَعَنَا﴾

[التوبة:40] والمنفي كقوله ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:38].

وسر ذلك: أن "الحزن" موقف غير مسير، ولا مصلحة فيه للقلب، وأحب شيء إلى

الشيطان: أن يحزن العبد ليقطعه عن سيره، ويوقفه عن سلوكه. قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا

التَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [المجادلة:10] ونهى النبي ﷺ الثلاثة "أن

يتناجى اثنان منهم دون الثالث، لأن ذلك يحزنه" فالحزن ليس بمطلوب، ولا مقصود،

ولا فيه فائدة، وقد استعاذ منه النبي ﷺ، فقال "اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن" (1)

(1) أخرجه البخاري (2893) وغيره.

فهو قرين الهم، والفرق بينهما: أن المكروه الذي يرد على القلب، إن كان لما يستقبل: أورثه الهم، وإن كان لما مضى: أورثن الحزن وكلاهما مضعف للقلب عن السير، مفتر للجزم.

ولكن نزول منزلته ضروري بحسب الواقع. ولهذا يقول أهل الجنة إذا دخلوها ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ [فاطر: 34] فهذا يدل على أنهم كان يصيبهم في الدنيا الحزن، كما يصيبهم سائر المصائب التي تجري عليهم بغير اختيارهم.

وأما قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَحِدٌ مَّا أَحْمَلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ [التوبة: 92] فلم يمدحوا على نفس الحزن. وإنما مدحوا على ما دل عليه الحزن من قوة إيمانهم، حيث تخلفوا عن رسول الله ﷺ لعجزهم عن النفقة، ففيه تعريض بالمنافقين الذين لم يجزوا على تخلفهم، بل غبطوا نفوسهم به.

وأما قوله ﷺ في الحديث الصحيح: "ما يصيب المؤمن من هم ولا نصب، ولا حزن إلا كفر الله به خطاياه" (1) فهذا يدل على أن مصيبة من الله يصيب به العبد، يكفر بها من سيئاته. لا يدل على أنه مقام ينبغي طلبه واستيطانه.

وأما حديث هند بن أبي هانئ (2)، في صفة النبي ﷺ: "إنه كان متواصل الأحزان" فحديث لا يثبت. وفي إسناده من لا يعرف.

وكيف يكون متواصل الأحزان، وقد صانه الله عن الحزن على الدنيا وأسبابها، ونها عن الحزن على الكفار وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ فمن أين يأتيه الحزن؟ بل كان دائم البشر، ضحك السن، كما في صفته الضحك القتال - صلوات الله وسلامه عليه.

وأما الخبر المروي: "إن الله يحب كل قلب حزين" فلا يعرف إسناده، ولا من رواه، ولا تعلم صحته.

(1) أخرجه البخاري (5641) (5642) ومسلم (52/4) عن أبي سعيد وأبي هريرة.

(2) أخرجه أبو الشيخ في "أخلاق النبي ﷺ"، (18) وسنده ضعيف.

وعلى تقدير صحته؛ فالحزن مصيبة من المصائب، التي يبتلى الله بها عبده، فإذا ابتلى به العبد فصبر عليه، أحب صبره على بلائه.

وأما الأثر الآخر: "إذا أحب الله عبداً، نصب في قلبه نائحة، وإذا أبغض عبداً جعل في قلبه زمماراً" فأثر إسرائيلي. قيل: إنه في التوراه، وله معنى صحيح، فإن المؤمن حزين على ذنوبه، والفاجر لا ه لآعب، مترنم فرح.

وأما قوله تعالى عن نبيه إسرائيل: ﴿وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف: 84]، فهو أخبار عن حالة بمصابه بفقدته ولده، وحببيه، وأنه ابتلاه بالتفريق بينه وبينه.

وأجمع أرباب السلوك: على أن حزن الدنيا غير محمود إلا أبا عثمان الحيري، فإنه قال الحزن بكل وجه فضيلة، وزيادة للمؤمن. مالم يكن بسبب معصية قال: لأنه إن لم وجب تخصيصاً، فإنه يوجب تمحصياً.

فيقال: لا ريب أنه محنة وبلاء من الله، بمنزلة المرض والهـم والغـم، وأما إنه من منازل الطريق: فلا. والله سبحانه أعلم.

قال صاحب المنازل: "الحزن: توجع لفئات، وتأسف على ممتنع" يريد أن ما يفوت الإنسان قد يكون مقدوراً له، وقد لا يكون فإن كان مقدراً توجع لفوته وإن كان غير مقدور تأسف لا متناعه ...

قال : وله ثلاث درجات:

الأولى حزن العامة، وهو حزن على التفريط في الخدمة، وعلى التورط في الجفاء، وعلى ضياع الأيام".

التفريط في الخدمة عندهم: فوق التفريط في العمل وتضييعه، بل هذا الحزن يكون مع القيام والعمل، فإن الخدمة - عندهم - من باب الأخلاق والآداب، لا من باب الأفعال. في حق العبودية، وأدها وواجبها، وصاحب هذا الحزن بالأولى: أن يحزن لتضييع العمل. و"أما التورط في الجفاء" فهو أيضاً أخص من المعصية بارتكاب المحذور، لأنه قد يكون لفقد أنس سابق مع الله، فإذا توارى عنه تورط في الجفوة، فإن الشيخ ذكر "الحزن" في قسم الأبواب، وهو عنده من قسم البدايات.

وأما تضييع الأيام: فنوعان أيضاً تضييعها بخلوها على الطاعات، وتضييعها بخلوها على مواجيد الإيمان، وذوق حلاوته، والأنس بالله، وحسن الصحبه معه. قال الدرجة الثانية: "حزن أهل الإرادة. وهو حزن عل تعلق القلب بالفرقة، وعلى اشتغال النفس عن الشهود وعلى التسلي عن الحزن".

"تعلق القلب بالفرقة": وهو عدم الجمعية في الحضور مع الله، وتشتيت الخواطر في أودية المرادات.

وأما "اشتغال النفس عن الشهود": فهو نوعان. اشتغالها عن الذكر الذي يوجب الشهود ويشمر بغيره.

والثاني اشتغالها عن الشهود. لضعف الذكر، أو لضعف القلب عن الشهود، أو لمناخ آخر. ولكن إذا قهر الشهود النفس لم تتمكن من التشاغل عنه إلا بقاهر يقهرها عنه.

وأما "التسلي عن الحزن": فيعني أو وجود الحزن في القل دليل على الإرادة والطلب، ففقدته والتسلي عنه نقص، فيحزن على فقد الحزن، كما يبكي على فقد البكاء ويخاف من عدم الخوف، وهذا فيه نظر. وإنما يحمد الحزن على فقد الحزن، أما إذا اشتغل عن الحزن بفرح محمود - وهو الفرح بفضل الله ورحمته - فلا معنى للحزن على فوات الحزن.

قال صاحب المنازل: "وليست الخاصة من مقام الحزن في شيء لأن الحزن فقد، والخاصة أهل وجدان".

وهذا إن أراد به: أنه لا ينبغي لهم تعمد الحزن: فصحيح. وإن أراد به: لا يعرض لهم حزن: فليس كذلك. والحزن من لوازم الطبيعة، ولكن ليس هو بمقام.

قال: الدرجة الثالثة من الحزن: "التحزن للمعارضات دون الخواطر، ومعارضات القصود، واعتراضات الأحكام".

هذه ثلاثة أمور، بحسب الشهود والإدارة.

الأول: حزن المعارضات. فإن القرب يعترضه وارد الرجاء مثلاً، فلم ينشب أن يعارضه وارد الخوف، وبالعكس، ويعترضه وارد البسط، فلم ينشب أن يعترضه وارد القبض، ويرد عليه وارد الأنس، فيعترضه وارد الهيبة، فيوجب له اختلاف هذه المعارضات عليه حزناً لا محالة.

وليست هذه المعارضات من قبيل الخواطر، بل هي من قبيل الواردات الإلهية،
فلذلك قال: "دون الخواطر" فإن معارضات الخواطر غير هذا.
وعند القوم: هذا من آثار الأسماء ولاصفات، واتصال أشعة أنوارها بالقلب، هو
المسمى عندهم بالتجلي.

وأما "معارضات القصود": فهي أصعب ما على القوم، وفيه يظهر اضطرارهم إلى
العلم فوق كل ضرورة، فإن الصادق يتحرى في سلوكه كل أحب الطرق إلى الله، فإنه
سالك به وإليه فيعترضه طريقان لا يدري أيهما أَرْضَى اللهُ وأحب إليه. فمنهم: من يحكم
العلم بجهد استدللاً، فإن عجز فتقليداً، فإن عجز عنها سكن ينتظر ما يحكم له به
القدر، ويخلي باطنه من القاصد جملة.

ومنهم: من يلقي الكل على شيخه، إن كان له شيخ.

ومنهم: منهم يلجأ إلى الاستخارة والدعاء، ثم ينتظر ما يجري به القدر.
وأصحاب العزائم يبذلون وسعهم في طلب الأرضي علماً ومعرفة، فإن أعجزهم
قنعوا بالظن الغالب، فإن تساوى عندهم الأمران، قدموا أرجحها مصلحة.
ولترجيح المصالح رتب متفاوتة. فتارة تترجح بعموم النفع، وتارة تترجح بزيادة
الإيمان، وتارة تترجح بمخالفة النفس، وتارة تترجح باستجلاب مصلحة أخرى لا
تحصل من غيرها، وتارة تترجح بأمنها من الخوف من مفسدة لا تؤمن في غيرها.
فهذه خمس جهات من الترجيح، قل أن يعدم واحدة منها.

فإن أعوزه ذلك كله تخلى عن الخواطر جملة، وانتظر ما يحركه به محرك القدر، وافتقر
إلى ربه مستنزل ما يرضيه ويحبه، فإذا جاءت الحركة استخار الله، وافتقر إليه افتقاراً.
ثانياً خشية أن تكون تلك الحركة نفسية أو شيطانية، لعدم العصمة في حقه،
واستمرار المحنة بعده، ما دام في عالم الابتلاء والامتحان، ثم أقدم على الفعل.

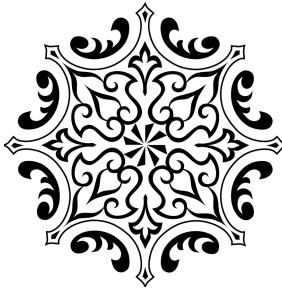
فهذا نهاية ما في مقدور الصادقين.

ولأهل الجهاد في هذا من الهداية والكشف ما ليس لأهل المجاهدة. ولهذا قال
الأوزاعي وابن المبارك: "إذا اختلف الناس في شيء فانظروا ما عليه أهل الثغر".

يعني أهل الجهاد: فإن الله تعالى يقول: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: 69].

وأما اعتراضات الأحكام: فيجوز أن يريد بالأحكام: الأحكام الكونية، وهو أظهر، وأن يريد بها الأحكام الدينية، فإن أرباب الأحوال يقع منهم اعتراضات على الأحكام الجارية عليهم بخلاف ما يريدونه، فيحزنون عند إدراكهم لتلك الاعتراضات على ما صدر منهم من سوء الأدب، وتلك الاعتراضات هي إرادتهم خلاف ما جرى لهم به القدر فيحزنون على عدم الموافقة، وإرادة خلاف ما أريد بهم.

وان كان المراد به: الأحكام الدينية؛ فإنهم تعرض لهم أحوال لا يمكنهم الجمع بينها وبين أحكام الأمر - كما تقدم - فلا يجدون بداً من القيام بأحكام الأمر، ولا بد أن يعرض لهم اعتراض خفي أو جلي، بحسب انقطاعهم عن الحال بالأمر، فيحزنون لوجود هذه المعارضة، فإذا قاموا بأحكام الأمر، ورأوا أن المصلحة في حقهم ذلك، وحمدوا عاقبته حزنوا على تسرعهم على المعارضة، فالتسليم لداعي العلم واجب، ومعارضة الحال من قبيل الإيرادات والعلل، فيحزن على نفيها فيه⁽¹⁾. والله أعلم.



(20)



النسيان من الشيطان

قال تعالى: ﴿الْحَوْتَ وَمَا أَسْنِيَهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ [الكهف: 63]

وقال تعالى: ﴿فَأَنسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾

[يوسف: 42]

وقال تعالى: ﴿أَسْتَحْوِذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾ [المجادلة: 19]

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِىَ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾

[الأنعام: 68]

قال في الصحاح، النسيان: " هو خلاف الذكر والحفظ، بأن يكون ذاكرة الشيء،

فينساه عند الفعل " (1)

وقال الجرجاني: "هو الغفلة من معلوم في غير حالة السنة، فلا ينافي الوجوب أي

نفس الوجوب، ولا وجوب الأداء " (2)

قال الخليل بن أحمد: نسي: نسي فلان شيئاً كان يذكره، وإنه لنسي، أي كثير

النسيان من قوله جل وعز: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: 64]

والتنسي: الشيء المنسي الذي لا يذكر. يقال منه قوله تعالى ﴿وَكُنْتُ نَسِيًّا

مَنَسِيًّا﴾ [مريم: 23] ويقال: هو خرقة الحائض إذا رمت به، ونسيت الحديث نسياناً.

ويقال: أنسيت إنساءً ونسيت أجوداً، قال الله تعالى ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ﴾ [الكهف: 63] ولم

يقل: أنسيت، ومعنى أنسيت: أخرت وسمي الإنسان من النسيان. (3)

وفي "اللسان. نسيه نسياناً ونسوةً ونساوةً ونساوةً والأخيران على المعاقبة "

تناساه وأنساه إياه وقوله ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: 67]

(1) الصحاح (6/ 2508)

(2) التعريفات (ص 241)

(3) كتاب العين (4/ 216) عادة نسي

قال ثعلب: لا ينسى الله عز وجل إنما معناه: تركوه فتركهم فلما كان النسيان ضرباً من الترك وضعه موضعه وفي " التهذيب " أي: تركوا أمر الله فتركهم من رحمته.

وقوله تعالى ﴿فَنَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِي﴾ [طه:126]

معناه: ترك.

لأن الناسي لا يؤاخذ بنسيانه.

وهو معنى الترك، كقوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ [البقرة:106] أي: نأمركم بتركها يقال: أنسيته: أي أمرت بتركه، ونيسته: تركته.

قال الضراء: عامة الفراء يجعلون قوله ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ من النسيان والنسيان هنا على وجهين:

أحدهما على الترك، نتركها فلا ننسخها كما قال تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة:67] يريد تركوه فتركهم.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة:237] الوجه الآخر من النسيان الذي ينسي كما قال تعالى ﴿وَأذْكَرَّ بَكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف:24] والنسوة: الترك للعمل.

وقوله ﴿نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ [الحشر:19] معناه أنساهم أن يعملوا لأنفسهم.

وقوله تعالى: ﴿وَتَنْسُونَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام:41] قال الزجاج: تنسون ههنا على ضربين:

جائز أن يكون تنسون: تتركون.

وجائز أن يكون المعنى في تركهم دعاهم بمنزلة من قد نسيهم وكذلك قوله: ﴿فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾ [الأعراف:51] أي: نتركهم من الرحمة في عذابهم بما تركوا العمل لليوم ههنا وكذلك قوله: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [الأنعام:44] يجوز أن يكون معناه: " تتركوا ويجوز أن يكونوا في تركهم القبول بمنزلة من نسي " (1)

(1) اللسان مادة نسي (6/ 4416 - 4417).

قال العلامة الشنقيطي - رحمه الله -:

دليل على أن النسيان من الشيطان كما دلت عليه الآيات، واستخدام النسيان ورد في القرآن في خمسة وأربعين موضعاً، وأكثر استخدام النسيان في مواطن "الترك" أي أن معناه: "الترك" (1).

قلت: وأكثر السور وردة فيها النسيان سورة الكهف ورده فيها النسيان خمس مرات وكذلك سورة طه.

ثم الأعراف: أربع مرات، ثم البقرة والأنعام ومريم: ثلاث مرات.

قال القرطبي:

﴿وَمَا أُنْسِنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ﴾ [الكهف: 63] أن مع الفعل بتأويل المصدر، وهو منصوب بدل اشتغال من الضمير في ﴿أُنْسِنِيهِ﴾ وهو بدل الظاهر من المضمرة، أي: "وما أنساني ذكره إلا الشيطان".

وفي مصحف عبد الله "وما أنسانيه أن أذكره إلا الشيطان" (2).

والنسيان عند الأصوليين من العواض السماوية التي تمنع جريان الأفعال والأقوال على الناس.

فعرفه بعضهم بقوله "عارض يعرض للإنسان فلا يجعله يتذكر ما كُلف به، وهو لا ينافي أهلية الوجوب، ولا أهلية الأداء لبقاء القدرة بكمال العقل"

وهو لا يكون عذراً في حقوق العباد لأنها محترمة لحاجاتهم، لا للابتلاء، وبالنسيان لا يفوت هذا الاحترام، وعليه لو أتلف مال غيره ناسياً لوجب عليه الضمان، أما حقوق الله تعالى فالنسيان يُعدُّ عذراً بالنسبة لاستحقاق الإثم فالناس لا إهم عليه لقوله صلى الله عليه وسلم "إن الله تعالى وضع عن أمتي الخطأ والنسيان، وما استكروها وهو عليه" (3)

أما في أحكام الدين فقد يكون النسيان عذراً مقبولاً فلا تفسد عبادته كما في أكل الصائم ناسياً (4)

(1) الأضواء (4 / 170).

(2) تفسير القرطبي (5 / 16) وإعراب القرآن للنحاس (2 / 464)

(3) تفسير الطبري (15 / 178) والمحرم الوجيز لابن عطية (10 / 424)

(4) الوجيز في أصول الفقه (ص 105) والحديث صحيح مخرج في موضع آخر.

وقال صاحب كتاب عداوة الشيطان (ص 347):

"ويعتبر النسيان أسلوباً من أساليب الشيطان في كيدته للإنسان، فينسيه ما فيه خيره وصلاحه من خلال استعداد الإنسان للنسيان، فيلهيه عن طاعة ربه تعالى وذكره، حتى ربما ترك جميع الواجبات، ثم يدعوه إلى المحرمات وارتكاب ما يشينه من المعاصي والمنكرات، فإذا زين الشيطان لغرائز الإنسان أمراً من الأمور، أو زين لها غاية من الغايات - وهو لا يزين لها إلا ما تحبه - لانت لسماعه، ومالت إلى أتباعه، وكان لها من اللذة الحاملة، والسريان العذب، والإغراء المطمع، ما يجعل القلب يستحب الركون إليه، ويأنس لمطاوعته والمزيد منه، وينصرف بالتدرج عما لديه من أمر الله حتى يغدو مشغولاً بخواطر جديدة، وأمال غير التي كان يتعلق بها، وغايات غير التي كان يرسمها له إيمانه بالله، وذلك هو النسيان القلبي" (1).

قال الزمخشري: "فإن قلت: كيف يقدر الشيطان على الإنسان؟ قلت: يوسوس إلى العبد بما يشغله عن الشيء من أسباب النسيان حتى يذهب عنه ويذل عن قلبه ذكره" (2)
أقول: إن الشيطان يستدرج العبد بالنسيان، فيبدأ معه بالسهو، ثم الغفلة، حتى يصل به إلى الترك، لأن الشيطان لن يبدأ معه بالترك مباشرة، وإلا استفاق العبد، وهي الخطوات التي نهى الله عباده أن يتبعوها وراء الشيطان، فإن إتباع خطوات الشيطان في القليل يؤدي إلى الكثير، وإتباع الشيطان في المكروه يؤدي إلى إرتكاب المحرمات، وإتباع خطوات الشيطان في ترك السنن يؤدي إلى ترك الفرائض، وهكذا.. ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: 168].

وكما أن هناك نسيان منسوب إلى الشيطان، هناك نسيان منسوب إلى الإنسان، لهذا قال عباد الله ﴿رَبَّنَا لَا تَوَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: 286] وهناك نسيان منسوب إلى الأنبياء عليهم السلام، وهناك نسيان ابتلى به الله عباده، وللنسيان أحكام وآداب، ليس هذا موضع البيان.

(1) العداوة (ص 347) وانظر آدم عليه السلام لهي الخولي (ص 187)

(2) الكشاف (2/ 322)

(21)

وسوسة الشيطان

قال تعالى: ﴿ فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَ تَيْهَمَا ﴾

[الأعراف: 20].

وقال تعالى: ﴿ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّادِمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْجَنَّةِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى ﴾ [طه: 120].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١ مَلِكِ النَّاسِ ۝٢ إِلَهِ النَّاسِ ۝٣ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝٤ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝٥ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ [الناس: 1، 6].

قال ابن القيم:

"فالوسواس الخناس، وصفان لموصوف محذوف، وهو الشيطان، وحسن حذف الموصوف هاهنا، غلبة الوصف حتى صار كالعلم ... قال: فتعيّن أن الوسواس هو الشيطان نفسه، وأنه ذات لا مصدر والله أعلم" (1)

قال ابن جرير من شر الوسواس يعني: من شر الشيطان وقال: "الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فإذا سها وغفل وسوس، وإذ ذكر خنس" (2)

قال في "اللسان الوسوسة والوسواس: الصوت الخفي من ریح. والوسواس: صوت الحلي، وقد وسوس وسوسة ووسواساً، بالكسر. والوسوسة والوسواس: حديث النفس. يقال: وسوست إليه نفسه وسوسة ووسواساً بكسر الواو، والوسواس، بالفتح، الاسم. والوسواس، بالكسر المصدر. والوسواس بالفتح هو الشيطان. وكل ما حدثك ووسوس إليه فهذا أسم. وقوله تعالى ﴿ فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ ﴾ [الأعراف: 20] يريد إليها وقال أبر تراب: سمعت خليفة يقول:

(1) التفسير القيم (ص 605)

(2) تفسير الطبري (30/355)

الوسوسة الكلام الخفي في اختلاط.
وفي الحديث " والحمد لله الذي ردّ كيده إلى الوسوسة " (1) هي حديث النفس والأفكار.

ورجل مَسْوَس؛ أي غلبت عليه الوسوسة

والسواس: الشيطان، وقد وَسَّوسَ في صدره، وَوَسَّوسَ إليه. وقوله عز وجل ﴿ مِنْ شَرِّ أَلْوَسَايسِ الْخَنَّاسِ ﴾ [الناس: 4] أراد ذي الوسواس هو الشيطان الذي يوسوس في صدور الناس وفي التفسير إن له رأساً كراس الحية يجثم على القلب. فإذا ذكر العبد ربه خنس وإذا ترك ذكر الله رجع إلى القلب يوسوس.
وفلان المَسْوَس بالكسر: الذي تعتره الوسواس.

وقال أبو منصور: وإنما قيل: مَسْوَسٍ لتحديثه نفسه بالوسوسة، قال الله تعالى: ﴿ وَنَعَلَهُ مَا تَوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ ﴾ [ق: 16] وَوَسَّوسَ الرجل: كَلَّمَهُ كلاماً خفياً. وَوَسَّوسَ إذا تكلم بكلام لم يُبينه. (2)

والوسوسة مرض يحدث بسبب الأخلاط.

وقال الفيومي: "الوسواس بالفتح: مرض يحدث من غلبة السوداء يختلط معه الذهن، ويقال: لما يخطر بالقلب من شَرٍّ وُلْمًا لا خير فيه: وسواس" (3)
وفي "المعجم الوسيط: "الوسواس الشيطان، ومرض يحدث من غلبة السوداء، يختلط معه الذهن" (4)

فالوسواس: تطلق على حديث النفس.

وتطلق على مرض يحدث من غلبة السوداء والسوداء واحد من الأخلاط الأربعة: وهي الصفراء والدمم والبلغم والسوداء.

(1) أخرجه أحمد وأبو داود وحسنه الأباي وسيأتي تحريجه

(2) اللسان مادة (وسس) وتفسير القرطبي (4 / 155)

(3) المصباح المنير ص (252)

(4) المعجم الوسيط (2 / 1075)

والوسواس؛ هو الشيطان كما سبق. والشيطان يتعاون مع قرين العبد ليهلك العبد بالوسوسة.

قال ابن عباس رضي الله عنه "إن الشيطان يكون من الجن. فيوسوس في النفس، ويكون من الإنس فيقول كلاماً تسمعه الآذان وكلاهما يتعاونان قال تعالى: **يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا** [الأنعام: 112] وكلاهما يوسوس.

قال المعتمر بن سليمان عن أبيه. ذكر لي أن الشيطان الوسواس ينفث في قلب ابن آدم عند الحزن وعند الفرح، فإذا ذكر الله خنس (1)

أخرج ابن عبد البر بسند قوي إلى ميمون بن مهران عن عمر بن عبد العزيز أن رجلاً سأل ربه أن يريه موضع الشيطان من آدم، فأرى جسده مهمى - أي مصفي - يرى داخله من خارجه، وأرى الشيطان في صورة ضفدع عند كتفه، حذاء قلبه له خرطوم كخرطوم البعوضة، وقد أدخله في منكبه الأيسر إلى قلبه يوسوس إليه، فإذا ذكر الله خنس (2)

أقول: الوسواس على ضربين:

الأول: ما يسمى بالوسواس القهري، وهذا يتعلق بالسلوك العام للعبد، فتجد من يصاب به، مصاب بالتردد في أخذ القرار، ويتردد في فعل الأشياء، فإذا دخل للوضوء فيقع في الوسوسة هل غسل يده أم لا؟ فنجده يغسل يده عدة مرات، ومع هذا يظن أنه لم يغسلها... وهذا مجاله علم النفس.

الثاني: الوسوسة التي سببها تلبس إبليس وتكون في العقيدة، وفي الطهارة، وغيرهما.

مثال الوسوسة ودليلها قوله صلى الله عليه وسلم "إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول: من خلق كذا - في رواية (الله) من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله وليتته" (3)

وهذا الشيطان الذي يوسوس في العقيدة يأتي بطرق وحالات ولقد اعترى بعض

(1) مكاشد الشيطان لابن أبي الدنيا

(2) فتح الباري (7/374)

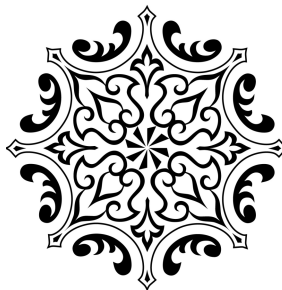
(3) فتفق عليه وسيأتي بالفاظه وتخريجاته.

الصحابة مثل هذه الحلات فروى مسلم. في صحيحه أن بعضهم كانوا يأتون النبي ﷺ فيقولن: يا رسول الله إنا نجد في أنفسنا ما يتعظم أحدنا أن يتكلم به، قال: "أو قد وجدتموه؟! قالوا: نعم قال: "ذلك صريح الإيمان" وقد بلغ من وسوسته أن صحابياً جاء إلى النبي ﷺ وقال له: يا رسول الله، إني أحدث نفسي بالشيء، لأن أكون حممة أحب من أن أتكلم به، وفي رواية: لأن آخر من السماء أحب إلى من أن أتكلم به فقال له النبي ﷺ "الحمد لله الذي ردّ كيده إلى الوسوسة" أخرجه أحمد وأبو داود وهو حسن كما سبق.

وهناك وسوسة تجاوز الله عنها، وهي حديث النفس كما في الحديث الذي رواه البخاري (2528) ومسلم (127) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "إن الله تجاوز عن أمتي ما وسوست به صدرها ما لم تعمل به أو تكلم" قال بعض أهل العلم: "هذه الوسوسة مظهر من مظاهر عجز الشيطان لأنه عندما يعجز عن ثني العبد عن الطاعة وجره إلى المعصية يلجأ إلى التشويش عليه بالخواطر والأفكار التشكيكية" (1)

أما الوسوسة في الصلاة، والطهارة فلها موضع آخر في "الشيطان في السنة" سيأتي إن شاء الله تعالى.

وللإمام الغزالي في الأحياء فصل جميل في الوسوسة نقله هنا بنصه للفائدة.



(1) الإنسان بين السحر والعين (ص 214) للأستاذ زهير حموي.



بيان تسلط الشيطان علي القلب بالوسوسة

وسبب غلبتها :

أعلم أن القلب كما ذكرناه مثل قبة مضروبة لها أبواب تُنصب إليه الأحوال من كل باب، ومثاله أيضاً: مثال هدف تُنصب إليه السهام من الجوانب، أو هو مثال مرآة منصوبة تجتاز عليها أصناف الصور المختلفة فتترأى فيها صورة بعد صورة، ولا تخلو عنها. أو مثال حوص تنصب فيه مياه مختلفة من أنهار مفتوحة إليه.

وإنما مداخل هذه الآثار المتجددة في القلب في كل حال؛ أما من الظاهر فالحواس الخمس، وأما من الباطن فالخيال، والشهوة والغضب، والأخلاق المركبة من مزج الإنسان؛ فإنه إذا أدرك بالحواس شيئاً حصل منه أثر في القلب، وكذلك إذا هاجت الشهوة مثلاً بسبب كثرة الأكل، وبسبب قوة المزاج، حصل منها في القلب أثر، وإن كَفَّ عن الإحساس فالخيالات الحاصلة في النفس تبقى وينتقل الخيال من شيء إلى شيء، وبحسب انتقال الخيال ينتقل القلب من حال إلى حال آخر، والمقصود أن القلب في التغير والتأثير دائماً من هذه الأسباب، وأخص الآثار الحاصلة في القلب هو الخواطر، وأعني بالخواطر ما يحصل فيه من الأفكار، والأذكار، وأعني به إدراكاته علوماً إما على سبيل التجدد، وإما على سبيل التذكر، فإنها تُسمى خواطر من حيث أنها تخطر بعد أن كان القلب غافلاً عنها.

والخواطر هي المحركات للإرادات، فإن النية والعزم والإرادة إنما تكون بعد خطور المنوي بالبال لا محالة، فمبدأ الأفعال الخواطر، ثم الخاطر يحرك الرغبة، والرغبة تحرك العزم، والعزم يحرك النية، والنية تحرك الأعضاء.

والخواطر المحركة للرغبة تنقسم إلى ما يدعوا إلى الشر أعني إلى ما يضر في العاقبة، وإلى ما يدعوا إلى الخير أعني ما ينفع في الدار الآخرة.

فهما خاطران مختلفان فافتقرا إلى اسمين مختلفين، فالخاطر المحمود يسمى إلهاماً، والخاطر المذموم أعني الداعي إلى الشر يسمى وسواساً.

ثم إنك تعلم أن هذه الخواطر حادثة، ثم إن كل حادث فلا بد له من مُحدث. ومهما اختلفت الحوادث دل ذلك على اختلاف الأسباب، وهذا ما عُرف من سنة الله تعالى في ترتيب المسببات على الأسباب. فمهما استنارت حيطان البيت بنور النار وأظلم سقفه واسود بالدخان علمت أن سبب السواد غير سبب الاستنارة.

وكذلك لأنوار القلب وظلمته سببان مختلفان؛ فسبب الخاطر الدّاعي إلى الخير يُسمى ملكاً، وسبب الخاطر الدّاعي إلى الشر يُسمى شيطاناً، واللفظ الذي يتهيأ به القلب لقبول إلهام الخير يسمى توفيقاً، والذي به يتهيأ لقبول وسواس الشيطان يسمى إغواءً وخذلاناً، فإن المعاني المختلفة تفتقر إلى أسامي مختلفة، والملك عبارة عن خلق من خلقة الله تعالى، شأنه إفاضة الخير، وإفادة العلم، وكشف الحق، والوعد بالخير، والأمر بالمعروف، وقد خلقه وسخره لذلك.

والشيطان عبارة عن خلق شأنه ضد ذلك، وهو الوعد بالشر، والأمر بالفحشاء، والتخويف عند الهمم بالخير بالفقر، فالوسوسة في مقابلة الألهام، والشيطان في مقابل الملك، والتوفيق في مقابل الخذلان. وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: 49] فإن الموجودات كلها متقابلة مزدوجة إلا الله تعالى فإنه فرد لا مقابل له، بل هو الواحد الحق الخالق للأزواج كلها. فالقلب متجاذب بين الشيطان والملك. وقد قال ﷺ: " في القلب لمتان له من الملك إيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله سبحانه وليحمد الله، ولمة من العدو إيعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهى عن الخير، فمن وجد ذلك فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم" ثم تلا قوله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾ [البقرة: 268] (1) الآية. وقال الحسن إنها هما همان يجولان في القلب، هم من الله تعالى، وهم من العدو، فرحم الله عبداً وقف عند همه، فما كان من الله تعالى أمضاه. وما كان من عدوه جاهده.

والقلب بأصل الفطرة صالح لقبول آثار الشيطان صلاحاً متساوياً، وليس يترجح أحدهما على الآخر، وإنما يترجح أحد الجانبين باتباع الهوى والإكباب على الشهوات أو

(1) سيأتي تخرجه إن شاء الله

الإعراض عنها ومخالفتها، فإن اتبع الإنسان مقتضى الغضب والشهوة ظهر تسلط الشيطان بواسطة الهوى، وصار القلب عش الشيطان ومعدته، لأن الهوى هو مرعى الشيطان ومرتعته، وإن جاهد الشهوات ولم يسلطها على نفسه وتشبه بأخلاق الملائكة عليهم السلام صار قبله مستقر الملائكة ومهبطهم، ولما كان لا يخلوا عن شهوة وغضب وحرص وطمع أمل إلى غير ذلك من صفات البشرية المتشعبة عن الهوى، لا جرم لم يخل قلب عن أن يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسة. ولذلك قال ﷺ "ما منكم من أحد إلا وله شيطان" قالوا: وأنت يارسول الله؟ قال: "وأنا، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمر إلا بخير" (1)

وإنما كان هذا الشيطان لا يتصرف إلا بواسطة الشهوة، فمن أعانه الله على شهواته حتى صارت لا تنسط إلا حيث ينبغي، وإلى الحد الذي ينبغي فشهوته لا تدعو إلى الشر، فالشيطان المتدرع بها لا يأمر إلا بالخير، ومهما غلب على القلب ذكر الدنيا بمقتضيات الهوى وجد الشيطان مجالاً فسوس. ومهما انصرف القلب إلى ذكر الله تعالى ارتحل الشيطان وضاق مجاله وأقبل الملك وألهم.

والتطارد بين جندي الملائكة والشياطين في معركة القلب دائم إلى أن يفتح القلب لأحدهما فيستوطن ويستمكن، ويكون إجتياز الثاني اختلاصاً. وأكثر القلوب قد فتحتها جنود الشيطان وتملكتها، فاملأت بالوساوس الداعية إلى إثارة العاجلة وإطرح الأخرى، ومبدأ أسيلائها اتباع الشهوات، وعمارته بذكر الله تعالى الذي هو مطرح أثر الملائكة.

وقال جابر بن عبيدة العدوي: شكوت إلى العلاء بن زياد ما أجد في صدري من الوسوسة فقال: إنما مثل ذلك البيت الذي يمر به اللصوص فإن كان فيه شيء عاجلوه وإلا مضوا وتركوه. يعني أن القلب الخالي عن الهوى لا يدخله الشيطان. ولذلك قال الله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: 42] فكل من اتبع الهوى فهو عبد الهوى لا عبد الله، ولذلك سلط الله عليه الشيطان. وقال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ

(1) متفق عليه وسيأتي تخريجه

إِلَهُهُ هَوْنُهُ ﴿ [الجاثية:23] وهو إشارة إلى أن الهوى إلهه ومعبوده فهو عبد الهوى لا عبد الله. ولذلك قال عمرو بن العاص للنبي ﷺ: يارسول الله حال الشيطان بيني وبين صلاتي وقراءتي فقال: "ذلك شيطان يقال له خنزب فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل منه واتفل على يسارك ثلاثاً" قال ففعلت ذلك فأذهبه الله عني (1) ولا يمحو وسوسة الشيطان من القلب إلا ذكر ما سوى ما يوسوس به، لأنه إذا خطر في القلب ذكر شيء انعدم منه ما كان فيه من قبل، ولكن كل شيء سوى الله تعالى وسوى ما يتعلق به فيجوز أيضاً أن يكون مجالاً للشيطان، وذكر الله هو الذي يؤمن جانبه ويعلم أنه ليس للشيطان في مجال، ولا يعالج الشيء إلا بضده، وضد جميع وساوس الشيطان ذكر الله بالاستعاذة والتبري عن الحول والقوة، وهو معنى قولك: أعود بالله من الشيطان الرجيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وذلك لا يقدر عليه إلا المتقون الغالب عليهم ذكر الله تعالى، وإنما الشيطان يطوف على سبيل الخلسة. قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَلِيفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف:201]. وقال مجاهد في معنى قوله تعالى: ﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ [الناس:4] قال: هو منبسط على القلب، فإذا ذكر الله تعالى خنس وانقبض، وإذا غفل انبسط على قلبه.

فالتطارد بين بين ذكر الله تعالى ووسوسة الشيطان كتطارد بين النور والظلام وبين الليل والنهار ولتضادهما قال الله تعالى: ﴿أَسْتَحْذِرُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانَ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾ [المجادلة:19]

وكما أن الشهوات ممتزجة بلحم ابن آدم ودمه فسلطنة الشيطان أيضاً سارية في لحمه ومحيطة بالقلب من جوانبه، ولذلك قال ﷺ: "إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجارية بالجوع" (2) وذلك لأن الجوع يكسر الشهوة ومجرى الشيطان الشهوات. ولأجل اكتناف الشهوات للقلب من جوانبه، قال الله تعالى إخباراً عن إبليس: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمِ﴾ (16) ثم لَا تَنْهَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ﴿ [الأعراف:16، 17] وقال

(1) أخرجه مسلم وسيأتي

(2) صحيح دون قوله "فضيقوا عليه..." وسيأتي

عَلَيْهِ السَّلَامُ: "إن الشيطان قعد لابن آدم بطرق فقعد له بطريق الإسلام فقال: أتسلم وتترك دينك ودين آباءك فعصاه وأسلم، ثم قعد له بطريق الهجرة فقال أتهاجر أتدع أرضك وسماءك؟ فعصاه وهاجر، ثم قعد له بطريق الجهاد فقال: أتجاهد وهو تلف النفس والمال فتقاتل فتقتل فتتكح نساؤك ويقسم مالك؟ فعصاه وجاهد (1) وقال رسول الله ﷺ "فمن فعل ذلك فمات كان حقاً على الله أن يدخله الجنة". فذكر رسول الله ﷺ معنى الوسوسة وهي هذه الخواطر التي تخطر للمجاهد أنه يُقتل وتُنكح نساؤه وغير ذلك مما يصرفه عن الجهاد وهذه الخواطر معلومة. فإذا الوسواس معلوم بالمشاهدة وكل خاطر فله سبب ويفتقر إلى اسم يعرفه فاسم سببه الشيطان ولا يتصور أن ينفك عنه آدمي وإنما يختلفون بعصيانهم ومتابعتهم، ولذلك قال ﷺ: "وما من أحد إلا وله شيطان".

فقد اتضح بهذا النوع من الاستبصار معنى الوسوسة والإلهام والملوك والشيطان والتوفيق والخذلان فبعد هذا نظر من ينظر في ذات الشيطان أنه جسم لطيف أو ليس بجسم، وإن كان جسماً فكيف يدخل بدن الإنسان ما هو جسم؟ فهذا الآن غير محتاج إليه في علم لمعاملة. بل مثال الباحث عن هذا مثال من دخلت في ثيابه حية وهو محتاج إلى إزالتها.

ودفع ضررها فاشتغل بالبحث عن لونها وشكلها وطولها وعرضها وذلك عين الجهل، فمصادمة الخواطر الباعثة على الشر قد علمت ودل ذلك على أنه عن سبب لا محالة، وعلم أن الداعي إلى الشر المحذور في المستقبل عدو فقد عرف العدو لا محالة فينبغي أن يشتغل بمجاهدته، وقد عرّف الله سبحانه عداوته في مواضع كثيرة من كتابه ليؤمن به ويحترز عنه فقال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر:6] وقال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [يس:60] فينبغي للعبد أن يشتغل بدفع العدو عن نفسه لا بالسؤال عن أصله ونسبه ومسكنه.

نعم ينبغي أن يسأل عن سلاحه ليدفعه عن نفسه، وسلاح الشيطان الهوى والشهوات

(1) صحيح وسيأتي تخرجه.

وذلك كاف للعالمين. فأما معرفة ذاته وصفاته وحقيقته - نعوذ بالله منه - وحقيقة الملائكة فذلك ميدان العارفين المتغلغلين في علوم المكاشفات فلا يحتاج في علم المعاملة إلى معرفته.

نعم ينبغي أن يعلم أن الخواطر تنقسم إلى ما يعلم قطعاً أنه داع إلى الشر فلا يخفى كون وسوسة، وإلى ما يعلم أنه داع إلى الخير فلا يشك في كونه إلهاماً، وإلى ما يتردد فيه فلا يدري أنه من له الملك أو من له الشيطان؟

فإن من مكاييد الشيطان أن يعرض الشر في معرض الخير، والتميز في ذلك غامض، وأكثر العباد به يهلكون، فإن الشيطان لا يقدر على دعائهم إلى الشر الصريح فيصور الشر بصورة الخير، كما يقول للعالم بطريق الوعظ: أما تنظر إلى الخلق وهم موتى من الجهل، هلكي من الغفلة قد أشرفوا على النار؟ أما لك رحمة على عباد الله تنقذهم من المعاطب بنصحك ووعظك وقد أنعم الله عليك بقلب بصير ولسان ذلق ولهجة مقبولة؟ فكيف تكفر نعمة الله تعالى وتعرض لسخطه وتسكن عن إشاعة العلم ودعوة الخلق إلى الصراط المستقيم؟ وهو لا يزال يقرر ذلك في نفسه ويتجره بلطيف الحيل إلى أن يشتغل بوعظ الناس، ثم يدعو بعد ذلك إلى أن يتزين لهم ويتصنع بتحسين اللفظ وإظهار الخير ويقول له: إن لم تفعل ذلك سقط وقع كلامك في قلوبهم ولم يهتدوا إلى الحق. ولا يزال يقرر ذلك عنده وهو في أثناءه يؤكد فيه شوائب الرياء وقبول الخلق ولذة التعزز بكثرة الأتباع والعلم والنظر إلى الخلق بعين الاحتقار فيستدرج المسكين بالنصح إلى الهلاك فيتكلم وهو يظن أن قصده الخير وإنما قصده الجاه والقبول، فيهلك بسببه وهو يظن أنه عند الله بمكان وهو من الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: "إن الله يؤيد هذا الدين بقول لا خلاق لهم" (1). "وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر" (2) ولذلك روى أن إبليس لعنه الله تمثل لعيسى بن مريم ﷺ فقال له: "قل لا إله إلا الله فقال: كلمة حق ولا أقولها بقولك. لأن له أيضاً تحت الخير تلبيسات، وتلبيسات الشيطان من هذا الجنس لا تتناهى، وبها يهلك العلماء والعباد والزهاد والفقراء

(1) أرجه النسائي عن أنس بسند جيد

(2) متفق عليه من حديث أبي هريرة

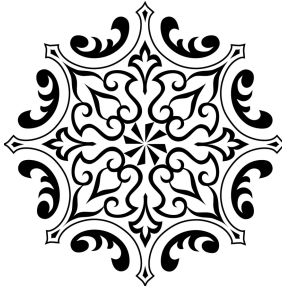
والأغنياء وأصناف الخلف ، ممكن يكرهون ظاهر الشر ولا يرضون لأنفسهم الخوض في المعاصي المكشوفة.

فحق على العبد أن يقف عند كل هم يخطر له ليعلم أنه من لمة الملك أو لمة الشيطان وأن يمعن النظر فيه بعين البصيرة لا بهوى من الطبع، ولا يطلع عليه إلا بنور التقوى والبصيرة وغزارة العلم كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا﴾ [الأعراف: 201] أي رجعوا إلى نور العلم: ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: 201] أي ينكشف لهم الإشكال، فأما من لم يرض نفسه بالتقوى فيميل طبعه إلى الإذعان بتلبيسه بمتابعة الهوى فيكثر فيه غلظه ويتعجل فيه هلاكه وهو لا يشعر. وفي مثلهم قال سبحانه وتعالى: ﴿وَبَدَأَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَهُم يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: 47] قيل: هي أعمال ظنوها حسنات فإذا هي سيئات، وأغمض أنواع علوم المعاملة والوقوف على خدع النفس ومكايد الشيطان وذلك فرض عين على كل عبد وقد أهمله الخلق واشتغلوا بعلوم تستجر إليهم الوسواس وتسلط عليه الشيطان وتنسيهم عداوته وطريق الاحتراز عنه. ولا ينجي من كثرة الوسواس إلا سد أبواب الخواطر. وأبوابها الحواس الخمس، وأبوابها من داخل الشهوات وعلائق الدنيا، والخلوة في بيت مظلم تسد باب الحواس، والتجرد عن الأهل والمال يقلل مدخل الوسوس من الباطن ويبقى مع ذلك مداخل باطنة في التخيلات الجارية في القلب وذلك لا يدفع إلا بشغل القلب بذكر الله تعالى، ثم أنه لا يزال يجاذب القلب وينازعه ويلهيه عن ذكر الله تعالى فلا بد من مجاهدته، وهذه مجاهدة لا آخر لها إلا بالموت إذ لا يتخلص حد من الشيطان ما دام حياً. نعم قد يقوى بحيث لا ينقاد له ويدفع عن نفسه شره بالجهاد، ولكن لا يستغني قط عن الجهاد والمدافعة ما دام حياً. فأبواب الشيطان مفتوحة إلى قلبه لا تنغلق وهي الشهوة والغضب والحسد والطمع وغيرها - كما سيأتي شرحها - ومهما كان الباب مفتوحاً والدجو غير غافل لم يدفع إلا بالحراسة والمجاهدة.

قال رجل للحسن: يا أبا سعيد أينا من الشيطان؟ فتبسم وقال: لو نام لاستراحنا. فإذا لا خلاص للمؤمن منه. نعم له سبيل إلى دفعه وتضعيف قوته (1).

(1) أخرجه ابن أبي الدنيا في "مكائد الشيطان"

وقال ابن مسعود: شيطان المؤمن مهزول⁽¹⁾ وقال قيس بن الحجاج. قال لي شيطاني: دخلت يك وأنا مثل الجزور وأن الآن مثل العصفور، قلت: ولم ذاك؟ قال تذييني بذكر الله تعالى⁽²⁾ فأهل التقوى لا يتعذر عليه سد أبواب الشيطان وحفظها بالحراسة، أعنى الأبواب الظاهرة والطرق الجلية التي تفضي إلى المعاصي الظاهرة، وإنما يتعشرون في طرقه الغامضة فإنهم لا يبتدون إليها فيحرسونها كما أشرنا إليه في غرور العلماء والوعاظ، والمشكل أن الأبواب المفتوحة إلى القلب للشيطان كثيرة وباب الملائكة باب واحد، وقد التبس ذلك الباب الواحد بهذه الأبواب الكثيرة، فالعبد فيها كالمسافر الذي يبقى في بادية كثيرة الطرق غامضة المسالك في ليلة مظلمة فلا يكاد يعلم الطريق إلا بعين بصيرة وطلوع شمس مشرقة. والعين البصيرة ههنا هي القلب المصفى بالتقوى، والشمس المشرقة هو العلم الغزير المستفاد من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ مما يهدي إلى غوامض طرقه، وإلا فطرقه كثيرة وغامضة. قال عبد الله بن مسعود ﷺ: خط لنا رسول الله ﷺ خطأ وقال: "هذا سبيل الله" ثم خط لنا خطوطاً عن يمين الخط وعن شماله ثم قال: "هذه سبل علي كل سبيل منها شيطان يدعو إليه" ثم تلا: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ [الأنعام: 153] لتلك الخطوات⁽³⁾ فبين ﷺ كثرة طرقه.



(1) أخرجه ابن أبي الدنيا في "مكائد الشيطان" (19) بسند حسن

(2) أخرجه ابن أبي الدنيا في "مكائد الشيطان" (19)

(3) صحيح وقد سبق.

بيان ما يؤخذ به العبد من وساوس

القلوب وهمها وخواطرها

وقصودها وما يعفى عنه ولا يؤخذ به



أعلم أن هذا أمر غامض، وقد وردت فيه آيات وأخبار متعارضة يلتبس طريق الجمع بينها إلا على سيطرة العلماء بالشرع. فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: "عفى عن أمتى ما حدثت به نفوسها ما لم تتكلم به أو تعمل به" (1).

وقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ "إن الله تعالى يقول للحفظة: إذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبها، فإن عملها فكتبوها سيئة، وإذا هم بحسنة لم يعملها فكتبوها حسنة، فإن عملها فكتبوها عسرا" (2) وقد خرجه البخاري ومسلم في "الصحيحين" وهو دليل على العفو عن عمل القلب وهمه بالسيئة.

وفي لفظ آخر: "من همَّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، ومن همَّ بحسنة فعملها كتبت له إلى سبعمائة ضعف، ومن همَّ بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه، وإن عملها كتبت".

وفي لفظ آخر: "وإذا تحث بأن يعمل سيئة فأنا إغفرها له ما لم يعملها" وكل ذلك يدل على العفو، فأما ما يدل على المؤاخذة فقوله سبحانه: ﴿وَأِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَخَافُ يَحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَعْفُ عَنْكُمْ إِنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: 284] وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: 36] فدل على أن عمل الفؤاد كعمل السمع والبصر فلا يعفى عنه وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آتَاهُمْ قَلْبُهُ﴾ [البقرة: 283] وقوله تعالى: ﴿لَا يُؤْخَذُكُمْ اللَّهُ بِاللَّعْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤْخَذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة: 225] والحق عندنا في هذه

(1) متفق عليه بلفظ "إن الله تجاوز لأمتي.." عن أبي هريرة.

(2) متفق عليه من حديث أبي هريرة

المسألة لا يوقف عليه ما لم تقع الإحاطة بتفصيل أعمال القلوب من مبدأ ظهورها إلى أن يظهر العمل على الجوارح.

فنقول: أول ما يرد على القلب الخاطر، كما لو خطر له مثلاً صورة امرأة وأنها وراء ظهره في الطريق لو التفت إليها لرآها.

والثاني: هيجان الرغبة إلى النظر وهو حركة الشهوة في الطبع، وهذا يتولد من الخاطر الأول ونسميه ميل الطبع، ويسمى الأول حديث النفس.

والثالث: حكم القلب بأن هذا ينبغي أن يفعل، أي ينبغي أن ينظر إليها، فإن الطبع إذا مل لم تنبث الهمة والنية ما لم تندفع الصوارف فإنه قد يمنعه حياء أو خوف من الألتفات وعدم هذه الصوارف ربما يكون بتأمل، وهو على كل حال حكم من جهة العقل، ويسمى هذا اعتقاداً وهو يتبع الخاطر والميل.

الرابع: تصميم العزم على الالتفات وجزم النية، وهذا نسميه هما بالفعل ونية وقصداً وهذا هم قد يكون له مبدأ ضعيف ولكن إذا أصغى القلب إلى الخاطر الأول حتى طالت مجاذبته للنفس أكد هذا لهم وصار إرادة مجزومة فإذا انجذمت الإرادة فربما يندم بعد الجزم فيترك العمل، وربما بغفل بعارض فلا يعمل به ولا يتلفت إليه، وربما يعوقه عائق فيتعذر عليه العمل.

فهنا أربع أحوال للقلب قبل العمل بالجارحة: الخاطر وهو حديث النفس، ثم الميل، ثم الاعتقاد، ثم المهم فنقول: أما الخاطر فلا يؤاخذ به لأنه لا يدخل تحت الاختيار، وكذلك الميل وهيجان الشهوة أنهما لا يدخلان أيضاً تحت الاختيار.

وأما الثالث وهو الاعتقاد وحكم القلب أنه ينبغي أن يفعل فهذا تردد بين أن يكون اضطراراً واختياراً، والأحوال تختلف فيه فالاختياري منه يؤاخذ به والإضطراري لا يؤاخذ به.

وأما الرابع وهو المهم بالفعل؛ فإنه مؤاخذ به إلا أنه إن لم يفعل نظر فإن كان قد تركه خوفاً من الله تعالى وندماً على همه كتبت له حسنة، لأن همه سيئة وامتناعه ومجاهدته نفسه حسنة، والمهم على وفق الطبع مما يدل على تمام الغفلة عن الله تعالى، والامتناع بالمجاهدة على خلاف الطبع يحتاج إلى قوة عظيمة، فجدة في مخالفة الطبع هو العمل لله

تعالى والعمل لله تعالى أشد من جدّه في موافقة الشيطان بموافقة الطبع فكتب له حسنه لأنه رجح جدّه في الامتناع وهمه به على همه بالفعل، وإن تعوق بالفعل بعائقا أو تركه بعذر لا خوفاً من الله تعالى كتبت عليه سيئة، فإن همه فعل من القلب اختياري.

والدليل على هذا التفصيل ما روي في الصحيح مفصلاً في لفظ الحديث قال رسول الله ﷺ قالت الملائكة عليهم السلام: رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر به فقال ارقبوه. فإن هو عملها فاكتبوها له مثلها، وإن تركها فاكتبوها له حسنه إنها تركها من جرائي⁽¹⁾ وحيث قال: فإن لم يعملها: أراد به تركها لله، فأما إذا عزم على فاحشة فعذرت عليه بسبب أو غفلة فكيف تكتب له حسنه؟ وقد قال ﷺ: "إنها يحشر الناس على نياتهم"⁽²⁾ ونحن نعلم أن من عزم ليلاً على أن يصبح ليقتل مسلماً أو يزني بامرأة فمات تلك الليلة مات مصراً على نيته وقد هم بسيئة ولم يعملها.

والدليل القاطع فيه ما روي عن النبي ﷺ أنه قال "إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار" فقيل: يارسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: "لأنه أراد قتل صاحبه"⁽³⁾ وهذا نص في أنه صار بمجرد الإرادة من أهل النار مع أنه قتل مظلوماً فكيف يظن أن الله لا يؤاخذ بالنية والههم؟ بل كل هم دخل تحت اختيار العبد فهو مؤاخذ به إلا أن يكفره بحسنة، ونقض العزم بالندم حسنة فلذلك كتبت له حسنه، فأما فوات المراد بعائق فليس حسنة، وأما الخواطر وحديث النفس وهيجان الرغبة فكل ذلك لا يدخل تحت اختيار، فالمؤاخذ به تكليف ما لا يطاق، ولذلك ما نزل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُبَدُّوْا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة: 284] جاء ناس من الصحابة إلى رسول الله ﷺ وقالوا: كلفنا مال لا نطيق إن أحدنا ليحدث نفسه بما لا يجب أن يثبت في قلبه ثم يحاسب بذلك فقال ﷺ "لعلكم تقولن كما قالت اليهود سمعنا وعصينا وقولوا سمعنا وأطعنا"⁽⁴⁾ فأنزل الله تعالى الفرج بعد سنة بقوله ﴿لَا

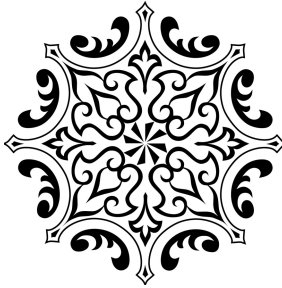
(1) في صحيح مسلم عن أبي هريرة.

(2) أخرجه ابن ماجة عن جابر "يحشر الناس" بسند جيد وأصله في صحيح مسلم عن عائشة

(3) متفق عليه عن أبي بكر.

(4) أخرجه مسلم عن أبي هريرة

يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴿ [البقرة:286] فظهر به أن كل ما لا يدخل تحت الوسع من أعمال القلب هو الذي لا يؤاخذ به. فهذا وكشف الغطاء عن هذا الالتباس. وكل من يظن أن كل ما يجري على القلب يسمى حديث النفس لم يفرق بين هذه الأقسام الثلاثة فلا بد وأن يغلط، وكيف لا يؤاخذ بأعمال القلب من الكبر والعجب والرياء والنفاق والحسد وجملة الخبائث من أعمال القلب؟ بل السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عن مسئولا؟ أي ما يدخل تحت الاختبار. فلو وقع البصر بغير اختيار على غير ذي محرم لم يؤاخذ به فإن أتبعها نظرة ثانية كان مؤاخذاً بها لأنه مختار، فكيف خواطر القلب تجري هذا المجرى، بل القلب أولى بمؤاخذته لأنه الأصل: قال رسول الله ﷺ "التقوى ههنا وأشار إلى القلب" (1) وقال الله: ﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَائُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ النَّقْوَى مِنْكُمْ ﴾ [الحج:37]، وقال ﷺ: "الإثم حواز القلوب" (2) وقال: "البر ما اطمأن إليه القلب وإن أفتوك وأفتوك" (3) حتى إنا نقول إذا حكم القلب اطمأن إليه بإيجاب شيء وكان مخطئاً فيه صار مثاباً عليه، بل من قد ظن أن تطهر فعليه أن يصلي، فإن صلى ثم تذكر أنه لم يتوضأ كان له ثواب بفعله، فإن تذكر ثم تركه كان معاقباً عليه. ومن وجد على فراشة امرأة فظن أن زوجته لم يعص بوطئها وإن كانت أجنبية. فإن ظن أنها أجنبية ثم وطئها عصي بوطئها وإن كانت زوجته. وكل ذلك نظر إلى القلب دون الجوارح.



(1) أخرجه مسلم عن أبي هريرة

(2) سيأتي تحريجه، وفيه ضعف لكن له شاهد من الحديث الآتي

(3) حسن - أخرجه أحمد وغيره وله شواهد يتقوى بها.

بيان أن الوسواس هل يتصور



أن ينقطع بالكلية عند الذكر أم لا؟

أعلم أن العلماء المراقبين للقلوب الناظرين في صفاتها وعجائبها اختلفوا في هذه المسألة على خمس فرق

وقالت فرقة الوسوسة تنقطع بذكر الله عزوجل أنه الكليلة قال: "فإذا ذكر الله خنس" والخنس هو السكوت، فكأنه يسكت.

وقالت فرقة: لا ينعدم أصله لكن يجري في القلب لا يكون له أثر، لأن القلب إذا صار مستوعباً بالذكر كان محجوباً عن التأثير بالوسوسة كالمشغول بهمه، فإنه قد يتكلم ولا يفهم وإن كان الصوت يمر على سمعه.

وقالت فرقة: لا تسقط الوسوسة ولا أثرها أيضاً، ولكن تسقط غلبتها للقلب فكأنه يوسوس من بُعد وعلى ضعف.

وقالت فرقة: ينعدم عند الذكر في لحظة وينعدم الذكر في لحظة، ويتعاقبان في أزمة متقاربة يظن لتقاربها أنا متساوية وهو كالكرة التي عليه نقط متفرقة، فإنك إذا أدرتها بسرعة توصلها بالحركة، واستدل هؤلاء بأن الخنس قد ورد ونحن نشاهد الوسوسة مع الذكر ولا وجه له إلا هذا.

وقالت فرقة: الوسوسة والذكر يتساوقان في الدوام على القلب تساوقاً لا ينقطع، وكما أن الإنسان قد يرى بعينه شيئين في حالة واحدة فكذلك القلب قد يكون مجرى لشيئين، والصحيح عندنا أن كل هذه المذاهب صحيحة، ولكن كلها قاصرة عن الإحاطة باصناف الوسواس، وإنما نظر كل واحد منهم إلى صنف واحد من الوسواس فأخبر عنه.

والوسواس أصناف، الأول أن يكون من جهة التلبيس بالحق، فإن الشيطان قد يلبس بحق فيقول للإنسان: تترك التمتع باللذات فإن العمر طويل والصبر على الشهوات طول العمر لله عظيم، فعند هذا إذا ذكر العبد عظيم حق الله تعالى وعظيم ثوابه وعقابه.

وقال لنفسه: الصبر على الشهوات شديد، ولكن الصبر على النار أشد منه، ولا بد من أحدهما، فإذا ذكر العبد وعد الله تعالى ووعدته وجدد إيمانه وبقينه خنس الشيطان وهرب، إذ لا يستطيع أن يقول له النار أيسر من الصبر على المعاصي ولا يمكنه أن يقول المعصية لا تفضي إلى النار، فإن إيمانه بكتاب الله عز وجل يدفعه عن ذلك فينقطع وسواسه، وكذلك يوسوس إليه بالعجب فيقول: أي عبد يعرف الله كما تعرفه ويعبده كما تعبده؟ فما أعظم مكانك عند الله تعالى! فيذكر العبد حينئذ أن معرفته وقلبه وأعضائه التي بها عمله وعلمه كل ذلك من خلق الله تعالى فمن أين يعجب به؟ فيخنس الشيطان إذ لا يمكنه أن يقول ليس هذا من الله، فإن المعرفة والإيمان يدفعه. فهذا نوع من الوسواس ينقطع بالكلية عن العرافين المستبصرين بنور الإيمان والمعرفة.

الصنف الثاني: أن يكون وسواسه بتحريك الشهوة وهيجانها، وهذا ينقسم إلى ما يعلم لعبد يقيناً أنه معصية وإلى ما يظنه بغالب الظن، فإن علمه يقيناً خنس الشيطان عن تهيج يؤثر في تحريك الشهوة ولم يخنس عن التهيج وإن كان مظنوناً، فربما يبقى مؤثراً بحيث يحتاج إلى مجاهدة في دفعه فتكون الوسوسة موجودة ولكنها مدفوعة غير غالبية.

الصنف الثالث: أن تكون وسوسة بمجرد الخواطر وتذكر الأحوال الغالبة والتفكير في غير الصلاة مثلاً "فإذا أقبل على الذكر تصور أن يندفع ساعة ويعود، ويندفع ويعود، فيتعاقب الذكر والوسوسة ويتصور أن يتساوقا جميعاً حتى يكون الفهم مشتملاً على فهم معنى القراءة وعلى تلك الخواطر فكأنهما في موضعين من القلب وبعيد جداً أن يندفع هذا الخنس بالكلية بحيث لا يخطر، ولكنه ليس محالاً إذ قال عليه السلام: "من صلي ركعتين لم يحدث فيها نفسه بشيء من أمر الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه" (1) فولا أنه متصور لما ذكره، إلا أنه لا يتصور ذلك إلا في قلب استولى عليه الحب حتى صار كالمستهتر فإنا قد نرى المستوعب القلب بعدو تاذى به قد يتفكر بمقدار ركعتين وركعات في مجادلة عدوه بحيث لا يخطر بباله غير حديث عدوه، وكذلك المستغرق في

(1) أخرجه البخاري وسيأتي

الحب قد يتفكر في محادثة محبوبه بقلبه ويغوص في فكره بحيث لا يخطر بباله غير حديث محبوبه لو كَلَّمه غيره لم يسمع ولو أجتاز بين يد أحد لكان كأن لا يراه. وإذا تصور هذا في خوف من عدو وعند الحرص على مال وجاه فكيف لا يتصور من خوف النار والحرص على الجنة ولكن ذلك عزيز لضعف الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر، وإذا تأملت جملة هذه الأقسام وأصناف الوسواس علمت أن لكل مذهب من الذاهب وجهاً في محل مخصوص.

وبالجملة فالخلاص من الشيطان في لحظة أو ساعة غير بعيد، ولكن الخلاص منع عمراً طويلاً بعيداً جداً، ومحال في الوجود ولو تخلص أحد من وساوس الشيطان بالخواطر وتهيج الرغبة لتخلص رسول الله ﷺ.

فقد روي: "أنه نظر إلى علم ثوبه في الصلاة فلما سلم رمى بذلك الثوب" وقال "شغلني عن الصلاة" وقال: "أذهبوا به إلى أبي جهنم واثبتوني بانبجانيته"⁽¹⁾ وكان في يده خاتم من ذهب فنظر إليه وهو على المنبر ثم رمى به قال: "نظرة إليه ونظرة إليكم" وكان ذلك لوسوسة الشيطان بتحريك لذة النظر إلى خاتم الذهب وعلم الثوب - وكان ذلك قبل تحريم الذهب فلذلك لبسه ثم رمى به - فال تنقطع وسوسة عروض الدنيا ونقدها إلا بالرمي والمفارقة، فما دام يملك شيئاً وراء حاجته ولو ديناراً واحداً لا يدعه الشيطان في صلواته من الوسوسة في الفكر في ديناره، وأنه كيف يحفظه؟

وفي ماذا ينفعه؟

وكيف يخفيه حتى لا يعلم به أحد؟

وكيف يظهره حتى يتباهى به؟

إلى غير ذلك من الوسواس. فمن أنشب مخالفة في الدنيا وطمع في أن يتخلص من الشيطان كان كمن انعمس في العسل وظن أن الذباب لا يقع عليه فهو محال. فالدنيا باب عظيم لوسوسة الشيطان، وليس له باب واحد بل أبواب كثيرة قال حكيم من الحكماء: الشيطان يأتي ابن آدم من قبل المعاصي، فلو امتنع أتاه من وجه النصيحة حتى

(1) أخرجه النسائي عن ابن عباس وسيأتي.

يلقيه في بدعه، فإن أبى أمره بالتحرج والشدة حتى يحرم ما ليس بحرام، فإن أبى شككه في وضوئه وصلاته حتى يخرجته عن العلم، فإن أبى خفف عليه أعمال البر حتى يراه الناس صابراً عفيفاً فتميل قلوبها إليه فيعجب بنفسه وبه يهلكه، وعند ذلك يشتد إلحاحه، فإنها آخر درجة، ويعلم أنه لو جاوزها أفلت منه إلى الجنة. (1)

ونختم هذا العنوان بكلام طيب للعلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه الماتع لا يستغني عنه مسلم فضلاً عن طالب علم، وهو كتاب حرى أن يُدرس في المدارس والكليات والمعاهد، والمساجد وهو "إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان" ولقد اختصرت كلامه في ذم الموسوسين، وبعض الأدوية لعلاج الوسوسة،".

فقال- رحمه الله - : ومن كيده ألذي بلغ الجهال ما بلغ: الوسواس الذي كادهم به في أمر الطهارة والصلاة عند عقد النية، حتى ألقاهم في الأصار والأغلال، وأخرجهم عن اتباع سنة رسول الله ﷺ، وحُيِّل إلى أحدهم أن ما جاءت به السنة لا يكفي حتى يضم إليه غيره، فجمع لهم بين هذا الظن الفاسد، والتعب الحاضر، وبطلان الأجر أو تنقيصه".

ولا ريب أن الشيطان هو الداعي إلى الوسواس: فأهله قد أطاعوا الشيطان، ولبوا دعوته، واتبعوا أمره، ورغبوا عن اتباع سنة رسول الله ﷺ وطريقته، حتى إن أحدهم ليرى أنه إذا توضأ وضوء رسول الله ﷺ، أو اغتسل كاغتساله ولم يطهر ولم يرتفع حدثه، ولو لا العذر بالجهل كان هذا مشاققة للرسول، فقد كان رسول الله ﷺ يتوضأ بالمد، وهو قريب من ثلث رطل بالدمشقي، ويغتسل بالصاع وهو نحو رطل وثلث، والموسوس يرى أن ذلك القدر لا يكفي لغسل يديه، وصح عنه ﷺ أنه توضأ مرة مرة، ولم يزد على ثلاث، بل أخبر أن: "من زاد عليها فقد أساء وتعدى وظلم" (2) فالموسوس مسيء متعد ظالم بشهادة رسول الله ﷺ، " فكيف يتقرب إلى الله بما هو مسيء به متعد فيه لحدوده".

(1) أحياء علوم الدين (3/ 433 - 456) .

(2) حسن - أخرجه أبو داود (135) وابن خزيمة (174) وخرجه في غير هذا الموضع .

وصح عنه أنه كان يغتسل هو وعائشة رضي الله عنهما من قصعة بينهما فيها أثر العجين⁽¹⁾، ولو رأى الموسوس من يفعل هذا لأنكر عليه غاية الإنكار، وقال: ما يكفي هذا القدر لغسل اثنين؟ كيف والعجين يجلله الماء فيغيره؟ هذا والرشاش ينزل في الماء فينجسه عند بعضهم، ويفسده عند آخرين، فلا تصح به الطهارة، وكان رضي الله عنه يفعل ذلك مع غير عائشة، مثل ميمونة وأم سلمة، وهذا كله في الصحيح.

وثبت أيضاً في الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: "كان الرجال والنساء على عهد رسول الله ﷺ يتوضئون من إناء واحد"⁽²⁾ والآنية التي كان ﷺ وأزواجه وأصحابه ونساءؤهم يغتسلون منها لم تكن من كبار الآنية ولا كانت لها مادة تمدها، كأنبوب الحمام ونحوه، ولم يكونوا يراعون فيضائها حتى يجري الماء من حافتها، كما يراعيه جهال الناس ممن بلى بالسوساس في جرن الحمام.

فهدى رسول الله ﷺ الذي من رغب عنه فقد رغب عن سنته، جواز الاغتسال من الحياض والآنية، وإن كانت ناقصة غير فائضة، ومن انتظر الحوض حتى يفيض ثم استعمله وحده ولم يكن أحداً أن يشاركه في استعماله هو مبتدع مخالف للشريعة.

قال شيخنا ويستحق التعزير البليغ الذي يزجره وأمثاله عن أن يشرعوا في الدين ما لم يأذن به الله، ويعبدوا الله بالبدع بالأتباع.

ودلت هذه السنن الصحيحة على أن النبي ﷺ وأصحابه لم يكونوا يكثرون صب الماء، ومضى على هذا التابعون لهم بإحسان.

قال سعيد بن المسيب: "إني لأستنجي من كوز الحب⁽³⁾ وأتوضأ وأفضل منه لأهلي"

وقال الإمام أحمد: "من فقه الرجل قلة ولوعه بالماء".

وقال المروزي: "وضأت أبا عبد الله بالعسكر، فسترته من الناس لئلا يقولوا إنه لا يحسن الوضوء لقللة صبه الماء:

(1) حديث صحيح، أخرجه البخاري (250) (261) (273) (299) (2956) (7339) وغيره.

(2) صحيح البخاري (193).

(3) الحب: الجرة: أو ما يقال له الزبر، وهو ذو العروتين.

وكان أحمد يتوضأ فلا يكاد يبيل الثرى.

وثبت عنه عليه السلام في الصحيح "أنه توضأ من إناء فأدخل يده فيه ثم تمضمض استنشق" (1) وكذلك كان في غسله يدخل يده في الإناء، ويتناول الماء منه، والموسوس لا يجوز ذلك ولعله أن يحكم بنجاسة الماء ويسلبه طهوريته بذلك.

وبالجملة فلا تطاوعه نفسه لاتباع رسول الله عليه السلام، وأن يأتي بمثل ما أتى بل أبداً، وكيف يطاوع الموسوس نفسه أن يغتسل هو وامرأته من إناء واحد قدر الفرق قريباً من خمسة أرتال بالدمشقي، يغمسان أيديهما فيه، ويفرغان عليهما؟ فالموسوس يشمئز من ذلك كما يشمئز المشرك إذا ذكر الله وحده.

قال أصحاب الوسواس: إنما حملنا على ذلك الاحتياط لديننا، والعمل بقوله عليه السلام: دع ما يريبك إلى ما لا يريبك" (2) وقوله: "من أتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه" (3) وقوله: "الإثم ما حاك في الصدر" (4).

وقال بعض السلف: الإثم حوز القلوب (5)، وقد وجد النبي عليه السلام تمره فقال: "لولا أني أخشي أن تكون من الصدقة لأكلتها" (6) أفلا يرى أنه ترك أكلها احتياطاً؟

وقد أفتى مالك رحمه الله فيمن طلق امرأته وشك: هل هي واحدة أم ثلاث بأنها ثلاث احتياطاً للخروج. وأفتى من حلف بالطلاق إن في هذه اللوزة حبتين، وهو لا يعلم ذلك، فبان الأمر كما حلف عليه، أنه حانث لأنه حلف علي ما لا يعلم وقال فيمن طلق واحدة من نسائه ثم أنسيها: يطلق عليه جميع نسائه احتياطاً، وقطعا للشك.

وقال أصحاب مالك فيمن حلف بيمين ثم نسيها: أنه يلزمه جميع ما يحلف به عادة، فيلزمه الطلاق، والعتاق، والصدقة بثلث المال، وكفارة الظهار، وكفارة اليمين بالله

(1) حديث صحيح: أخرجه البخاري (140) وغيره.

(2) حديث صحيح، أخرجه الترمذي (2518) وأحمد (1/ 200) والنسائي (8/ 328) وعبد الرزاق (4984).

(3) حديث صحيح، أخرجه أحمد (4/ 267) والبخاري (52) ومسلم (1599) وأبو داود (3329)، والترمذي (1205).

(4) حديث صحيح، أخرجه أحمد (182) ومسلم (2553) وغيرهما.

(5) أي حيرها وأقلقها.

(6) حديث صحيح، أخرجه البخاري (3/ 164) وأحمد (3/ 184) وعبد الرزاق (18642) وغيرهم.

تعالى، والحج ماشياً، ويقع الطلاق في جميع نساءه، ويعتق عليه جميع عبيده وإمائه، وهذا أحد القولين عندهم.

ومذهب مالك أيضاً: أنه إذا حلف ليفعلن كذا: أنه على حنث حتى يفعله، فيحال بينه وبين أمره.

ومذهبة أيضاً: أنه إذا قال إذا جاء رأس الحول فأنت طالق ثلاثاً، أنها تطلق في الحال، وهذا كله احتياط.

وقال الفقهاء: من خفي عليه موضع النجاسة من الثوب وجب عليه غسله كله.

وقالوا: إذا كان معه ثياب طاهرة ويتنجس منها ثياب، وشك بها، صلى في ثوب بعد ثوب بعد ثوب، بعدد النجس، وزاد صلاة لتيقن براءة ذمته.

وقالوا: إذا اشتبهت الأواني الطاهرة بالنجسة أراق الجميع وتيمم، وكذلك إذا اشتبهت عليه القبلة، فلا يدري في أي جهة فإنه يصلى أربع صلوات عند بعض الأئمة لتبرأ ذمته بيقين.

وقالوا: من ترك صلاة من يوم ثم نسيها وجب عليه أن يصلى خمس صلوات وقد أمر النبي عليه الصلاة والسلام من شك في صلاته أن يبني على اليقين.

وحرّم أكل إذا خالط كلبة كلباً آخر، للشك في تسمية صاحبه عليه، وهذا باب يطول تتبعه.

فلا احتياط والأخذ باليقين غير مستنكر في الشرع، وإن سميتوه وسواساً.

وقد كان عبد الله بن عمر يغسل داخل عينيه في الطهارة، حتى عمى. وكان أبو هريرة إذا توضأ أشرع في العضد، وإذا غسل رجله أشرع في الساقين.

فنحن إذا احتطنا لانفسنا وأخذنا باليقين وتركنا ما يريب إلى ما لا يريب، وتركنا المشكوك فيه للمتيقن المعلوم، وتجنبنا محل الاشتباه، لم نكن بذلك عن الشريعة

خارجين، ولا في البدعة والجين، وهل هذا إلا خير من التسهيل والاسترسال؟

حتى لا يبالي العبد بدينه، ولا يحتاط له، بل يسهل الأشياء ويمشي حالها، ولا يبالي

كيف توضأ؟

ولا بأي ماء توضأ؟ ولا بأي مكان صلى؟

ولا يبالي ما أصاب ذيله وثوبه، ولا يسأل عما عهد بل يتغافل، ويمحسن ظنه، فهو مهمل لدينه لا يبالي ما شك فيه، ويحمل الأمور على الطهارة، وربما كانت أفحش النجاسة، ويدخل بالشك ويخرج بالشك، فأين هذا من استقصى في فعل ما أمر به، واجتهد فيه، حتى لا يخل بشيء منه، وإن زاد على المأمور فإنما قصده بالزيادة تكميل المأمور، وأن لا ينقص منه شيئاً؟.

قالوا: وجماع ما ينكرونه علينا احتياط في فعل مأمور، أو احتياط في اجتناب محذور، وذلك خير وأحسن عاقبة من التهاون بهذين، فإنه يفضي غالباً إلى النقص من الواجب، والدخول في المحرم، وإذا اوزنا بين هذه المفسدة ومفسدة الوسواس كانت مفسدة الوسواس أخف، هذا إن ساعدناكم على تسميته وسواساً، وإنما نسميه احتياطاً واستظهاراً، فلستم بأسعد منا بالسنة، ونحن حولها ندندن، وتكميلها نريد.

وقال أهل الاقتصاد والاتباع: قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الأحزاب: 21]، وقال تعالى ﴿قُلْ إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: 31]، وقال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: 158]، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: 153] وهذا الصراط المستقيم الذي وصانا باتباعه هو الصراط الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، وهو قصد السبيل، وما خرج عنه، فهو من السبل الجائزة، وإن قاله من قاله، لكن الجور قد يكون جوراً عظيماً عن الصراط، وقد يكون يسيراً، وبين ذلك مراتب لا يحصيها إلا الله وهذا كالطريق الحسي، فإن السالك قد يعدل عنه ويجور جوراً فاحشاً، وقد يجور دون ذلك، فالميزان الذي يُعرف به الاستقامة على الطريق والجور عنه هو ما كان رسول الله وأصحابه عليه، والجائر عنه إما مفرط ظالم، أو مجتهد منزول، أو مقلد جاهل، فمنهم المستحق للعقوبة، ومنهم المغفور له، ومنهم المأجور أجراً واحداً، بحسب نياتهم ومقاصدهم واجتهادهم في طاعة الله تعالى ورسوله، أو تفریطهم. ونحن نسوق من هدى رسول الله وهدى أصحابه ما يبين أي الفريقين أولى باتباعه، ثم نجيب عما احتجوا به بعون الله وتوفيقه.

ونقدم قبل ذكر النهي عن الغلو، وتعدّي الحدود، والإسراف وإن الاقتصاد والاعتصام بالسنة عليهما مدار الدين.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ [النساء: 171] وقال تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: 141] وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتَدُوا بِإِتِّكَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: 190] وقال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [البقرة: 229] ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: 55]

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: قال رسول الله ﷺ - غداة العقبة وهو على ناقته: "القط لي حصا، فلقطت له سبع حصيات من حصا الخذف، فجعل يفضهن في كفه ويقول: أمثال هؤلاء فارموا، ثم قال: "أيها الناس، إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك الذين من قبلكم الغلو في الدين" ⁽¹⁾ رواه الإمام أحمد والنسائي.

وقال أنس رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: "لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم، فإن قوماً شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم، فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات: رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم" ⁽²⁾

فنهى النبي ﷺ عن التشديد في الدين، وذلك بالزيادة على المشروع وأخبر أن تشديد العبد على نفسه هو السبب لتشديد الله عليه، إما بالقدر، وإما بالشرع.

فالتشديد بالشرع: كما يشدد على نفسه بالنذر الثقيل، فيلزمه الوفاء به، وبالقدر كفعل أهل الوسواس، فإنهم شددوا على أنفسهم فشدد عليهم القدر، حتى استحکم ذلك وصار صفة لازمة لهم.

قال البخاري: "وكره أهل العلم الإسراف فيه - يعني الوضوء - وأن يجاوزوا النبي ﷺ، وقال ابن عمر رضي الله عنهما: "إسباغ الوضوء: الإتياء" ⁽³⁾

(1) حديث صحيح، أخرجه أحمد (1/ 215، 347) وابن ماجه (3029) والحاكم (1/ 466).

(2) حديث ضعيف، أخرجه أبو داود (4488) والطبراني (5551) في الكبير.

(3) أخرجه أحمد (ص/ 245) في الزهد، وأبو نعيم (1/ 253) في حلية الأولياء.

فالفقه كل الفقه الاقتصاد في الدين، والاعتصام بالسنة.

قال ابي بن كعب: "عليكم بالسبيل والسنة، فإنه ما من عبد على السبيل والسنة وذكر الله عز وجل فاقشعر جلده من خشية الله تعالى إلا تحاتت عنه خطاياها كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها، وإن اقتصاداً في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة إذا كانت أعمالكم اقتصاداً أن تكون على منهج الأنبياء وستهم".

قال الشيخ أبو محمد المقدسي في كتابه ذم الوسواس:

الحمد لله الذي هدانا بنعمته، وشرفنا بمحمد ﷺ برسالته، ووقفنا للاقتداء به والتمسك بسنته، ومنّ علينا بإتباعه الذي جعله علماً على محبته ومغفرته، وسبباً لكتابة رحمته وحصوله هدايته، فقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: 31]، وقال تعالى ﴿أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ [الأعراف: 156، 187] ثم قال: ﴿الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: 158].

أما بعد: فإن الله سبحانه جعل الشيطان عدوا للإنسان، يقعد له الصراط المستقيم، ويأتيه زيادة من كل جهة وسبيل، كما أخبر الله تعالى عنه أنه قال: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: 17] وحذرنا الله عز وجل من متابعتة، وأمرنا بمعاداته ومخالفتة، فقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: 6]، وقال: ﴿يَنْبَغِيْءَ آدَمَ لَا يَفْنِنَنَّكَمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ﴾ [الأعراف: 27]، وأخبرنا بما صنع بأبويننا تحذيراً لنا من طاعته، وقطعان للعذر من متابعتة، وأمرنا الله سبحانه وتعالى بإتباع صراطه المستقيم ونهانا عن إتباع السبيل سبحانه: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: 153] وسبيل الله وصراطه المستقيم: هو الذي كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته، بدليل قوله عز وجل: ﴿يَسَّ ۝١ وَالْقُرْآنِ الْعَلِيمِ ۝٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ

﴿۳﴾ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿[يس: 1، 4] وقال: ﴿إِنَّكَ لَعَلَّ نَهْدَى مُسْتَقِيمٍ﴾ [الحج: 67] وقال: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: 52] فمن اتبع رسول الله ﷺ في قوله وفعله فهو على صراط الله المستقيم، وهو ممن يحبه الله ويغفر له ذنوبه، ومن خالفه في قوله أو فعله فهو مبتدع، متبع لسبيل الشيطان غير داخل فيمن وعد الله بالجنة والمغفرة والإحسان.



فصل

ثم إن طائفة الموسوسين قد تحقق منهم طاعة الشيطان، حتى اتصفوا بوسوسته، وقبلوا قوله، وأطاعوه، ورجعوا عن إتباع رسول الله ﷺ وصحابته، حتى إن أحدهم ليرى أنه إذا توضأ وضوء رسول الله ﷺ، أو صلى كصلاته، فوضوءه باطل، وصلاته غير صحيحة، ويرى أنه إذا فعل مثل رسول الله ﷺ في مواكلة الصبيان، وأكل طعام عامة المسلمين، أنه قد صار نجسا، يجب عليه تسبيح يده وفمه، كما لو ولغ فيها كلب أو بال عليهما هر. ثم إنه بلغ من استيلاء إبليس عليهم أنهم أجابوا إلى ما يشبه الجنون، ويقارب مذهب السوفسطائية الذين ينكرون حقائق الموجودات، والأمر المحسوسات، وعلم الإنسان بحال نفسه من الأمور الضروريات اليقينية، وهؤلاء يغسل أحدهم عضوه غسلًا يشاهده ببصره ويكبر ويقراً بلسانه، بحيث تسمعه أذناه، ويعلمه بقلبه، بل يعلمه غيره منه ويتقنه، ثم يشك: هل فعل ذلك أم لا؟ وكذلك يشككه الشيطان في نيته وقصده التي يعلمها من نفسها يقينا، بل يعلمها غيره منه بقرائن أحواله، ومع هذا يقبل قول إبليس في أنه ما نوى الصلاة ولا أرادها، مكابرة منه لعيانه، ووجدًا لقين نفسه، حتى تراه متلددًا متحيرًا، كأنه يعالج شيئًا يجتذبه، أو يجد شيئًا في باطنه يستخرجه، كل ذلك مبالغة في طاعة إبليس، وقبول وسوسته، ومن انتهت طاعته لإبليس إلى هذا الحد فقد بلغ النهاية في طاعته.

ثم أنه يقبل قوله في تعذيب نفسه ويطيعه في الإضرار بجسده تارة بالغوص في الماء البارد، وتارة بكثرة استعماله وإطالة العراك، وربما فتح عينه في الماء البارد، وغسل داخلها حتى يضر ببصره، وربما أفضى إلى كشف عورته للناس، وبما صار إلى حال يسخر منه الصبيان ويستهزئ به من يراه.

قلت: ذكر أبو الفرج ابن الجوزي عن أبي الوفاء ابن عقيل: أن رجلا قال له: أنغمس في الماء مرارًا كثيرة وأشك: هل صح لي الغسل أم لا، فما ترى في ذلك، فقال له الشيخ اذهب، فقد سقطت عنك الصلاة، قال: وكيف؟ قال: لأن النبي ﷺ قال: رفع القلم

عن ثلاثة: المجنون حتى يفيق، والنائم حتى يستيقظ، والصبي حتى يبلغ⁽¹⁾ ومن ينغمس في الماء مرارًا ويشك هل أصابه الماء أم لا فهو مجنون.

قال: وربما شغله بوسواسه حتى تفوته الجماعة، وربما فاته الوقت ويشغله بوسوسته في النية حتى تفوته التكبيرة الأولى، وربما فوت عليه ركعة أو أكثر، ومنهم من يلحف أنه لا يزيد على هذا، ثم يكذب.

قلت: وحكى لي من أثق به عن موسوس عظيم رأيتُه أنا يكرر عقد النية مرارًا عديدة فيشق على المأمومين مشقة كبيرة، فعرض له حلف بالطلاق أنه لا يزيد على تلك المرة، فلم يدعه إبليس حتى زاد، ففرق بينه وبين امرأته، فأصابه لذلك غم شديد، وأقاما متفرقين دهرًا طويلاً، حتى تزوجت تلك المرأة برجل آخر، وجاءه منها ولد، ثم إنه حنث في يمين حلفها ففرق بينهما وردت إلى الأول بعد أن كاد يتلف لمفارقتها.

وبلغني عن آخر أنه كان شديد التنطع في التلفظ بالنية والتعمر في ذلك، فاشتد به التنطع والتعمر يومًا إلى أن قال: أصلى، مرارًا، صلاة كذا وكذا، وأراد أن يقول: أداء، فأعجم الدال، وقال: أداء لله، فقطع الصلاة رجل إلى جانبه، يقال: ولرسوله وملائكته وجماعة المصلين.

قال: ومنهم من يتوسوس في إخراج الحرف حتى يكرره مرارًا.

قال: فرأيت منهم من يقول: الله أككبر، قال لي إنسان منهم: قد عجزت عن قول: "السلام عليكم" فقلت له: قل مثل ما قد قلت الآن، وقد استرحت.

وقد بلغ الشيطان منهم أن عذبهم في الدنيا قبل الآخرة، وأخرجهم عن اتباع الرسول، وأدخلهم في جملة أهل التنطع والغلو، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا.

فمن أراد التخلص من هذه البلية فليستشعر أن الحق في اتباع رسول الله ﷺ في قوله وفعله، وليعزم على سلوك طريقته عزيمة من يشك أنه على الصراط المستقيم، وأن ما خالفه من تسويل إبليس ووسوسته، ويوقن أنه عدو له لا يدعوه إلى خير ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: 6]، وليترك التعرج على كل ما خلف طريقة

(1) حديث صحيح أخرجه أحمد (1/140)، (6/100) وأبو داود (4398) والترمذي (1423) والنسائي (6/156) وابن ماجه (3041) وغيرهم.

رسول الله ﷺ كائنا ما كان، فإنه لا يشك أن رسول الله ﷺ كان على الصراط المستقيم، ومن شك في هذا فليس بمسلم، ومن علمه في أي أبن العدول عن سنته؟ وأي شيء يتبغي العبد غير طريقته؟ ويقول لنفسه: ألسنت تعلمين أن طريقة رسول الله ﷺ هي الصراط المستقيم؟ فإذا قالت له: بلى، قال لها: فهل كان يفعل هذا؟ فستقول: لا، فقل لا، ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [يونس: 32]؟ وهل بعد طريق الجنة إلا طريق النار؟ وهل بعد سبيل الله وسبيل رسوله إلا سبيل الشيطان؟ فإن اتبعت سبيله كنت قرينه، وستقولين: ﴿يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَسَّ الْقَرْيُنُ﴾ [الزخرف: 38] (1) ولينظر أحوال السلف في متابعتهم لرسول الله ﷺ فليقتد بهم، وليختر طريقهم فقد روينا عن بعضهم أنه قال: (لقد تقدمني قوم لو لم يجاوزوا بالوضوء الظفر ما تجاوزته). قلت: هو إبراهيم النخعي.

وقال زين العابدين يوماً لأبنيه: (يا بني، اتخذ لي ثوباً ألبسه عند قضاء الحاجة، فإني رأيت الذباب يسقط على الشيء ثم يقع على الثوب، ثم انتبه فقال: ما كان للنبي ﷺ وأصحابه إلا ثوب واحد، فتركه).

وكان عمر رضي الله عنه بهم بالأمر ويعزم عليه، فإذا قيل له: لم يفعله رسول الله ﷺ انتهى، حتى إنه قال: (لقد همت أن أنهي عن ليس هذه الثياب، فإنه قد بلغني أنه تصبغ ببول العجائز، فقال له أبي: ما لك أن تنهي، فإن رسول الله ﷺ قد لبسها ولبست في زمانه، ولو علم الله أن لبسها حرام لبينه لرسوله ﷺ، فقال عمر: صدقت).

ثم ليعلم أن الصحابة ما كان فيهم موسوس، ولو كانت الوسوسة فضيلة لما ادخرها الله عن رسوله وصحابته، وهم خير الخلق وأفضلهم، ولو أدرك رسول الله ﷺ الموسوسين لمقتهم، ولو أدركهم عمر رضي الله عنه لضربهم وأدهم، ولو أدركهم الصحابة لبدهم، وها أنا أذكر ما جاء في خلاف مذهبهم على ما يسره الله تعالى مفصلاً.

(1) الخلاصة: مكائد الشيطان كثيرة، ولكن السعيد من وفقه الله تعالى إلى الحذر والنأي عنها، والشقي من تركه الله يقع فيها.

ومكائد الشيطان إما بتفريط في حق من الحقوق، أو بمغلاة في واجب من الواجبات.



فصل

ومن ذلك الواسوس في انتفاض الطهارة لا يلتفت إليه.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا وجد أحدكم في بطنه شيئاً فأشكل عليه: أخرج منه شيء أم لا؟ فلا يخرج من المسجد حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً) (1).

وفي الصحيحين عن عبد الله بن زيد قال: (شكى إلى رسول الله ﷺ: الرجل يخيل إليه أنه يجد الشيء في الصلاة، قال: لا ينصرف حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً) (2). وفي المسند وسنن أبي داود عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: (إن الشيطان يأتي أحدكم وهو في الصلاة فيأخذ بشعره من دبره فيمدها، فيرى أنه قد أحدث، فلا ينصرف حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً) (3) ولفظ أبي داود: (إذا أتى الشيطان أحدكم قال له: إنك قد أحدثت، فليقل له: كذبت، إلا ما وجد ريحاً بأنفه، أو سمع صوتاً بأذنه). فأمر ﷺ بتكذيب الشيطان فيما يحتمل صدقه فيه، فكيف إذا كان كذبه معلوماً متيقناً كقوله للموسوس: لم تفعل كذا، وقد فعله؟.

قال الشيخ أبو محمد: ويستحب للإنسان أن ينضح فرجه وسراويله بالماء إذا بال، ليدفع عن نفسه الوسوسة، فمتى وجد بللاً قال: هذا من الماء الذي نضحته، لما روى أبو داود بإسناده عن سفیان بن الحكم الثقفي، أو الحكم بن سفیان قال: (كان النبي ﷺ إذا بال توضأً وينضح) (4).

وفي رواية: (رأيت رسول الله ﷺ بال ثم نضح فرجه) وكان ابن عمر ينضح فرجه حتى يبيل سراويله.

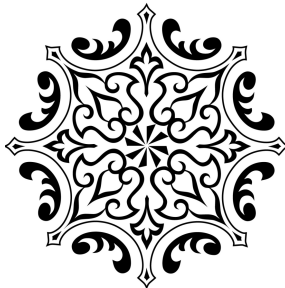
(1) حديث صحيح، أخرجه مسلم (362) وابن خزيمة (2824) وغيرهما.

(2) حديث صحيح، أخرجه البخاري (1/46) ومسلم (361) وعبد الرزاق (534).

(3) حديث ضعيف، أخرجه أحمد (3/96) وابن خزيمة (1020) وغيرهما، وصححه الألباني رحمه الله.

(4) إسناده مضطرب، أخرجه أحمد (5/408) وأبو داود (166) والنسائي (1/40) وابن ماجه (461).

وشكا إلى الإمام أحمد بعض أصحابه أنه يجد البلبل بعد الوضوء، فأمره أن ينضح فرجه إذا بال، قال ولا تجعل ذلك من همتك واله عنه.
 وسئل الحسن أو غيره عن مثل هذا فقال: (اله عنه) فأعاد عليه المسألة فقال:
 "أتستدره لا أب لك اله عنه".





فصل

ومن هذا ما يفعله كثير من الموسويين بعد البول وهو عشرة أشياء: السلت، والنتر، النحنحة، والمشي، والقفز، والحبل، والتفقد، والوجور، والحشو، والعصابة، إدراجة⁽¹⁾. أما السلت فيسلته من أصله إلى رأسه، على أنه قد روى في ذلك حديث غريب لا يثبت ففي المسند وسنن ابن ماجه عن عيسى بن داوود عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ "إذا بال أحدكم فليمسح ذكره ثلاث مرات" (2).

وقال جابر بن زيد: "إذا بلت فامسح أسفل ذكرك فإنه ينقطع" رواه سعيد عنه. قالوا: ولأنه بالسلت والنتر يستخرج ما يخشى عوده بعد الاستنجاء.

قالوا: وإن احتاج إلى مشي خطوات لذلك ففعل فقد أحسن، والنحنحة ليستخرج الفضلة، وكذلك القفز يرتفع عن الأرض شيئاً ثم يجلس بسرعة، والحبل يتخذ بعضهم حبلاً يتعلق به حتى يكاد يرتفع، ثم ينخرط منه حتى يقعد، والتفقد يمسك الذكر ثم ينظر في المخرج هل بقى فيه شيء أم لا، والوجور يمسكه ثم يفتح الثقب ويصب فيه الماء، والحشو يكون معه ميل وقطن يحشوه به كما يحشو الدمبل بعد فتحها، والعصابة يعصبه بخرقه، والدرجة يصعد في سلم قليلاً ثم ينزل بسرعة، والمشي يمشي خطوات ثم يعيد الاستجمار.

قال شيخنا: وذلك كله وسواس وبدعة، فراجعته في السلت والنتر فلم يره، وقال لم يصح الحديث، قال: والبول كاللبن في الضرع إن تركته قر وإن حلبته در. قال: ومن اعتاد ذلك ابتلى منه بما عوفي منه من لها عنه.

قال: ولو كان سنة لكان أولى الناس به رسول الله ﷺ وأصحابه وقد قال اليهودي لسلمان: "لقد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة، فقال: أجل" (3) فأين علمنا نبينا ﷺ ذلك أو شيئاً منه؟ بلى علم المستحاضة أن تتلجم، وعلى قياسها من به سلس البول أن يتحفظ، ويشد عليه خرقة.

(1) العدد هنا أحد عشر، فلعل داخل من الآخر.

(2) حديث ضعيف، أخرجه أحمد (4/ 347) وابن ماجه (326).

(3) حديث صحيح، أخرجه مسلم (262) وأبو داوود (7).

ومن ذلك الوسوسة في مخارج الحروف والتنطع فيها.

ونحن نذكر ما ذكره العلماء بألفاظهم:

قال أبو الفرج بن الجوزي: قد لبس إبليس على بعض المصلين في مخارج الحروف، فتراه يقول: الحمد، الحمد، فيخرج بإعادة الكلمة عن قانون أدب الصلاة، وتارة يلبس عليه في تحقيق التشديد في إخراج ضاد "المغضوب" قال: ولقد رأيت من يخرج بصاقه مع إخراج الضاد لقوة تشديده، والمراد تحقيق الحرف فحسب، وإبليس يخرج هؤلاء بالزيادة عن حد التحقيق، ويشغلهم بالمبالغة في الحروف عن فهم التلاوة، وكل هذه الوسوس من إبليس.

وقال محمد بن قتيبة في مشكل القرآن: وقد كان الناس يقرأون القرآن بلغاتهم، ثم خلف من بعدهم قوم من أهل الأمصار وأبناء العجم ليس لهم طبع اللغة، ولا علم التكلف، فهفوا في كثير من الحروف، وذلو فأخلوا، ومنهم رجل ستر الله عليه عند العوام بالصلاح، وقربه من القلوب بالدين، فلم أر فيمن تتبعت في وجوه قراءته أكثر تحليطاً ولا أشد اضطراباً منه، لأنه يستعمل في الحرف ما يدعه في نظيره ثم يؤصل أصلاً ويخالف إلى غيره بغير علة.

ويعتبر في كثير من الحروف ما لا مخرج له إلا على طلب الحيلة الضعيفة، هذا إلى نبذه في قراءته مذاهب العرب وأهل الحجاز، بإفراطه في المد والهمزة والإشباع، وإفحاشه في الإضجاع والإدغام، وحمله المتعلمين على المذهب الصعب، وتفسيره على الأمة ما يسره الله تعالى، وتضييقه ما فسححه، ومن العجب أن يقرئ الناس بهذه المذهب، ويكره الصلاة بها ففي أي موضع يستعمل هذه القراءة، إن كانت الصلاة لا تجوز بها؟ وكان ابن عيينة يرى لمن قرأ في صلاته بحرفه، أو ائتم بإمام يقرأ بقراءته أن يعيد، ووافقه على ذلك كثير من خيار المسلمين، منهم بشر بن الحارث، وللإمام أحمد بن حنبل، وقد شغف بقراءته عوام الناس وسوقتهم، وليس ذلك إلا لما يرونه من مشقتها وصعوبتها، وطول اختلاف المتعلم إلى المقرئ فيها، فإذا رأوه قد اختلف في أم الكتاب عشراً، وفي مائة آية شهراً، وفي السبع الطوال حولا، ورأوه عند قراءته مائل اشدين، دار الوريدين، وراشح الجيين، توهموا أن ذلك لفضله في القراءة وحذقه بها، وليس هكذا

كانت قراءة رسول الله ﷺ ، ولا خيار السلف ولا التابعين، ولا القراءة العالمين، بل كانت سهلة رسلة.

وقال الخلال في الجامع: عن أبي عبد الله، أنه قال: " لا أحب قراءة فلان" يعني هذا الذي أشار إليه ابن قتيبة ، وكرهها كراهية شديدة وجعل يعجب من قراءته وقال "لا يعجبني، فإن كان رجل يقبل منك فانه".

وحكى عن ابن المبارك عن الربيع بن أنس: أنه نهاه عنها.

وقال الفضل بن زيادة: أن رجلا قال لابي عبد الله: فما أترك من قراءته؟ قال: "الادغام" والكسر ليس يعرف في لغة من لغات العرب".

وسأله الحسن بن محمد بن الحارث: أتكره أن يتعلم الرجل تلك القراءة؟ قال أكرهه أشد كراهة، إنها هي قراءة محدثة، وكرها شديدا حتى غضب".

وروى عنه ابن سنيدي أنه سئل عنها فقال: " أكرهها أشد الكراهية قيل له : ما تكره قال هي قراءة محدثة ، ماقرأ بها " .

وروي جعفر بن محمد عنه أن سئل عنها فطرهها وقال " كرهها ابن إدريس "قال: "وعبد الرحمن بن مهدي" وقال: "وما أدري، ايش هذه القراءة؟" ثم قال: " وقراءتهم ليست تشبه كلام العرب".

وقال عبد الرحمن بن مهدي: "لو صليت خلف من يقرأ بها لأعدت الصلاة".

ونص أحمد رحمه الله على أنه يعيد ، وعنه رواية أخرى: أنه لا يعيد والمقصود أن الأئمة كرهوا التنطع والغلو في النطق بالحرف.

ومن تأمل هدى رسول الله ﷺ ، وإقراره أهل كل لسان على قراءتهم تبين له أن التنطع والتشدد والوسوسة في إخراج الحروف ليس من سنته.





فصل: في الجواب عما احتج به أهل الوسواس

قلنا: سموه ما شئتم، فنحن نسألكم: هل هو موافق لفعل رسول الله ﷺ وأمره، وما كان عليه أصحابه، أو مخالف؟
 فإن زعمتم أنه موافق، فبهت وكذب صريح، فإذن لا بد من الإقرار بعدم موافقته وأنه مخالف له، فلا ينفعكم تسمية ذلك احتياطاً، وهذا نظير من ارتكب محظوراً وسماه بغير اسمه، كما يسمى الخمر بغير اسمها، والربا معاملة، والتحليل الذي لعن رسول الله ﷺ فاعله: نكاحاً، ونقر الصلاة الذي أخبر رسول الله ﷺ أن فاعله لم يصل، وأنه لا تجزيه صلاته ولا يقبلها الله تعالى منه، تخفيفاً، فهكذا تسمية الغلو في الدين والتنطع: احتياطاً.

وينبغي أن يعلم أن الاحتياط الذي ينفع صاحبه ويشبهه الله عليه: الاحتياط في موافقه السنة، وترك مخالفتها، فالاحتياط كل الاحتياط في ذلك، وإلا فما احتاط لنفسه من خرج عن السنة، بل ترك حقيقة الاحتياط في ذلك.
 وكذلك المتسرعون إلى وقوع الطلاق في موارد النزاع الذي اختلف فيه الأئمة، كطلاق المكره، وطلاق السكران، والبتة، وجمع الثلاث، والطلاق بمجرد النية، والطلاق المؤجل المعلوم مجئ أجله، واليمين بالطلاق، وغير ذلك مما تنازع فيه العلماء إذا أوقعه المفتي تقليداً بغير برهان، وقال: وذلك احتياط للفروج، فقد ترك معننى الاحتياط، فإنه يحرم الفرج على هذا ويبيحه لغيره، فأين الاحتياط ههنا؟ بل لو أبقاه على حاله حتى تجمع الأمة على تحريمه وإخراجه عن حلال له، أو يأتي برهان من الله ورسوله على ذلك، لكان قد عمل بالاحتياط، ونص على مثل ذلك الإمام أحمد في طلاق السكران.

فقال في رواية أبي طالب: "والذي لا يأمر بالطلاق فإنما أتى خصلة واحدة، والذي يأمر بالطلاق فقد أتى خصلتين: حرماً عليه، وأحلها لغيره" فهذا خير من هذا، فلا يمكن الاحتياط في وقوع الطلاق إلا حيث أجمعت الأمة، أو كان هناك نص عن الله ورسوله يجب المصير إليه.

قال شيخنا: والاحتياط حسن، ما لم يفض بصاحبه إلى مخالفة السنة، فإذا أفضى إلى ذلك فالاحتياط ترك هذا الاحتياط.

وبهذا خرج الجواب عن احتجاجهم بقوله ﷺ: "من ترك الشبهات فقد استبرأ لدينا وعرضه" وقوله: "دع ما يريبك إلى ما لا يريبك" وقوله: "الإثم ما حاك في الصدر" فهذا كله من أقوى الحجج على بطلان الوسواس.

فإن الشبهات ما يشتبه فيه الحق بالباطل، والحلال بالحرام، على وجه لا يكون فيه دليل على أحد الجانبين، أو تتعارض الأمارتان عنده، فلا ترجح في ظنه إحداهما، فيشتبه عليه هذا بهذا، فأرشده النبي ﷺ إلى ترك المشتبه والعدول إلى الواضح الجلي.

ومعلوم أن غايّة الوسواس أن يشتبه على صاحبه: هل هو طاعة وقربة، أم معصية وبدعة؟ هذا أحسن أحواله، والواضح الجلي هو إتباع طريق رسول الله ﷺ، وما سنه للأمة قولاً وعملاً، فمن أراد ترك الشبهات عدل عن ذلك المشتبه إلى هذا الواضح، فكيف ولا شبهة بحمد الله هناك؟ إذ قد ثبت بالسنة أنه تنطع وغلو، فالمصير إليه ترك للسنة، وأخذ بالبدعة، وترك لما يحبه الله تعالى برضاه، وأخذ بما يكرهه ويبغضه، ولا يتقرب به إليه البتة، فإنه لا يتقرب إليه إلا بما شرع، لا بما يهواه العبد ويفعله من تلقاء نفسه، فهذا هو الذي يحيك في الصدر ويتردد في القلب، وهو حواز القلوب.

وأما التمرة التي ترك رسول الله ﷺ أكلها، وقال: "أخشى أن تكون من الصدقة" فذلك من باب اتقاء الشبهات، وترك ما اشتبه فيه الحلال بالحرام، فإن التمرة كانت قد وجدها في بيته، وكان يؤتي بتمر الصدقة، يقسمه على من تحل له الصدقة، ويدخل بيته تمر يقات منه أهله، فكان في بيته النوعان، فلما وجد تلك التمرة لم يدر - عليه والسلام - من أي النوعين هي؟

فأمسك عن أكلها، فهذا الحديث أصل في الورع واتقاء الشبهات، فما لأهل الوسواس وما له؟.

وأما قولكم: إن مالكا أفتى فيمن طلق ولم يدر: أواحدة طلق أم ثلاثاً: أنها ثلاث احتياطاً، فنعم، هذا قول مالك، فكان ماذا؟ أفحجة هو على الشافعي، وأبي حنيفة، وأحمد وعلي كل من خالفه في هذه المسألة؟ حتى يجب عليهم أن يتركوا قولهم لقوله،

ها القول مما يحتج له، لا مما يحتج به، على أن هذا ليس من باب الوسواس في شيء، وإنما حجة هذا القول: أن الطلاق يوجب تحريم الزوجة، والرجعة ترفع ذلك التحريم، فهو يقول: قد يتقن سبب التحريم، وهو الطلاق، وشكاً في رفعه بالرجعة، فإنه يحتمل أن يكون رجعيًا فترفعه الرجعة، ويحتمل أن يكون ثلاثًا، فلا ترفعه الرجعة، فقد يتقن سبب التحريم، وشك فيما يرفعه.

والجمهور يقولون: النكاح متيقن، والقاطع له المزيل لحل الفرج مشكوك فيه، فإنه يحتمل أن يكون المأتي به رجعيًا فلا يزيل النكاح، ويحتمل أن يكون بائنا فيزيله، فقد تيقنا يقين النكاح، وشككنا فيما يزيله، فالأصل بقاء النكاح حتى يتيقن بما يرفعه.

فإن قلتم: فقد يتقن التحريم وشك في التحيل، قلنا: الرجعية ليست بحرام عندكم، ولهذا تجوزون وطأها، ويكون رجعة، إذا نوى به الرجعة.

فإن قلتم: بل هي حرام، والرجعة حصلت بالنية حال الوطء، قلنا: لا ينفعكم ذلك أيضا، فإنه إنما يتقن تحريما يزول بالرجعة، ولم يتقن تحريمًا لا تؤثر فيه الرجعة. وليس المقصود تقرير هذه المسألة، والمقصود أنه لا راحة في ذلك لأهل الوسواس.



(22)



أمانى الشيطان

قال الله تعالى مبلغاً عن الشيطان الرجيم وقسمه الذي أقسم به أمام الملك جل جلاله "ولأمانيتهم" ثم قال الله راداً عليه وموضحاً لعباده عن هذا الوهم والغرور فقال: ﴿يَعِدُّهُمْ وَيَمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء:120]

وقال تعالى ﴿وَعِدُّهُمْ وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الإسراء:64] والأمانى والأمنية والتمني ورد في القرآن في نحو من خمسة عشر موضعاً، وما ورد في أكثر المواضع إلا مذموماً. والأمانى المتعلقة بالشيطان في نحو من خمسة مواضع. وهذه الأمانى بين الله تعالى عواقبها، وأظهر عيوبها، وجلى حقائقها، حتى لا يعيش العبد في الأوهام الكاذبة، والأحلام الخيالية، التي تؤدي بالعبد إلى الهلاك، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [النساء:32].

قال ابن العربي المالكي "حقيقة التمني هو نوع من الإرادة يتعلق بالمستقبل، كالتلهف نوع منها يتعلق بالماضي". ثم قال: "نهى الله سبحانه عن التمني لأن فيه تعلق بالماضي ونسيان الآجل، ولأجل ما فيه من ذلك وقع النهي عنه".

ثم قال: "المراد معنا النهي عن التمني الذي تستحسنه عند الغير حتى ينتقل إليك وهو الحسد المنهي عنه مطلقاً في غير هذا الموضع، أما أنه يجوز تمني مثله وهو الغبطة، فيستحب الغبط في الخير، وهو المراد بقوله ﷺ " لا حسد إلا في اثنتين: رجل يتلو القرآن، وآخر يعمل الحكمة ويعلمها"⁽¹⁾ وهذا معناه: قال: "أعملوا ولا تمنوا فليتكم قمتم بما أوتيتم، وأستطعتم عندكم"

وأحسن عبارة في ذلك قول الصوفية: كن طالب حقوق مولاك، ولا تتبع متعلقات هواك.

(1) أخرجه أحمد والبخاري ومسلم عن ابن عمر.

قال الحسن: " لا يتمين أحد المال وما يدر به لعل هلاكه فيه وهذا إنما يصح إذا تمناه للدنيا، وأما إذا تمناه للخير فقد جَوَّزه الشرع كما تقدم، فيتمناه العبد ليصل به إلى الرب ويفعل الله ما يشاء" (1).

أقول: وقبل أن نتكلم عن التمني وأنواعه يحسن بنا أن نعرف التمني لغة واصطلاحاً.
أما لغتها:

التمني: حديث النفس بها يكون، وبها لا يكون.

أي: بها يمكن وقوعه، وما يكون وقوعه مستحيلاً.

قال ابن الأثير: التمني: تشتهي حصول الأمر المرغوب فيه، وحديث النفس بها يكون، وما لا يكون.

قال أبو بكر: تمنيت الشيء، أي قَدَّرْتُهُ، واحببت أن يصير إليّ من المنى وهو القدر (2)

قال الحافظ ابن حجر: والتمني، تَفَعَّلَ من: الأمنية، والجمع: أماني. والتَّمَنَى، إرادة تتعلق بالمستقبل، فإن كانت في خير فهي مطلوبة، وإلا فهي مزمومة (3)
وللأمامي معان أخرى مثل: الدعاء

ومنه ما رواه أحمد (2/357) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال " إذا تمنى أحدكم فلينظر ما يتمنى، فإنه لا يدري ما يكتب له من أمنيته" وإسناده جيد.

وما رواه الطبراني في "الأوسط" عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال "إذا تمنى أحدكم فليكثر، فإنما يسأل ربه" وصححه الألباني في "الصحيح" (1266).

والمعنى: إذا سأل الله حوائجه، ومن فضله فليكثر. قال أحمد بن يحيى: والتمني السؤال للرب في الحوائج (4)

(1) أحكام القرآن (1/412-413)

(2) تهذيب اللغة للأزهري (15/531) واللسان مادة (منى)

(3) فتح الباري (13/217)

(4) اللسان

تعريف التمني: هو أن يتمنى المسلم الخير الشرعي، مع عجزه عن فعله، وعزمه الجازم على افعل متى قدر⁽¹⁾ والتمني ينقسم ال مذموم ومحمود. أما التمني المذموم فهو من مفسدات القلب.

قال ابن القيم - رحمه الله :-

" المفسد الثاني من مفسدات القلب: ركوبه بحر التمني، وهو بحر لا ساحل له ".
وهو البحر الذي يركبه مفاليس العالم، كما قيل:

ولا تكن عبد المنى فالمنى رؤوس أموال المفاليس

وبضاعة ركباه مواعيد الشيطان، وخیالات المحال والبهتان فلا تزال الأماني الكاذبة، والخیالات الباطلة، تتلاعب براكبه، كما تتلاعب الكلاب بالحيفة. وهي بضاعة كل نفس مهينة، خسيصة، سفليّة، ليست لها همة تنال بها الحقائق الخارجية. بل اعتاضت عنها بالأماني الذّهنيّة.

وكل بحسب حاله: من متمن للقدرة والسلطان، وللضرب في الأرض والتطواف في البدان، أو للأموال والأثان، أو للنسوان والمردان. فيتمثل المتمنى صورة مطلوبة في نفسه، وقد فاز بوصلها والتد بالظفر بها فيبينها هو على هذه الحال، إذ استيقظ فإذا يده والحصير⁽²⁾

قال محمد بن سيرين: ما تمنيت شيئاً قط ! قلنا له : وكيف ذلك؟

قال: إذا عرض لي شيء من ذلك سألته ربي⁽³⁾

وقال محمد بن إسحاق الثقفي كان يقال:

"من استعمل التسوييف والمنى لم ينبعث في العمل"

وكان يقال: من أقلقه الخوف، ترك أرجو، وسوف، وعسى⁽⁴⁾

قال رجاء بن أبي سلمة: "الأماني تنقص العقل"

(1) التمني للدكتور عبد السلام برجس (ص 14)

(2) مدارج السالكين (1/ 456-457) بتصرف

(3) و (4) كتاب التمني لابن أبي الدنيا (60 و 61)

* أنشد محمود الوراق:

والمرء مرتهنٌ بسوف وليتني
ولله درٌ فتى تدبر أمره
وهلاكه في السوف والليت
فغذا وراح مُبادر الفوت

* قال علي بن أبي طالب - عليه السلام -

"أياك والمنى، فإنها بضائع النوكي، وتثبط عن الآخرة والأولى واشرف العنى ترك
المنى"

* وعن عبد الله بن مسعود قال:

"إذا ركب الرجل دابته فلم يذكر اسم الله، ردفه الشيطان فقال له: تغنّ، فإذا لم
يحسن، قال له تمنى"
أخرجه عبد الرزاق بسند جيد.

قال ابن برجس رحمه الله: فظي هذا الأثر: أن الراكب إذا لم يسم الله عند ركوبه،
صحبه الشيطان في طريقه، فأشغله عن ذكر الله، بالتغني، فإن كان الراكب لا يحسن
التغني، نقله الشيطان إلى مشغل ثان، ألا وهو: التمني، فيتيه في أوديته، وتتشعب به
مسالكه، فتارة يتمنى زوجة حسناء، وأخرى: بيتاً فسيحاً، وثالثة: ثروة طائلة.. وهكذا
يقتل وقته، ويضيع حياته، حتى إذا دنا رحيله، قرع سن الندم وقال (ياليتني قدمت
لحياتي) (1)

والأدلة على النهي عن التمني قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ

عَلَى بَعْضٍ ۗ﴾ [النساء: 32].

قال ابن كثير:

"أي في الأمور الدنيوية، وكذا الدينية، لحديث أم سلمة، وابن عباس، وهكذا قال
عطاء بن أبي رباح: نزلت في النهي عن تمني حال فلان، وفي تمني النساء أن يكن رجالاً
فيغزون" (2).

(1) كتاب التمني (ص 41)

(2) أخرجه ابن جرير كما قال ابن كثير (1/ 488)

ومن الأمثلة التي ذم فيها الشرع التمني قوله ﷺ "لا يتمنين احدكم الموت من ضر أصابه، فإن كان لا بد فاعلاً فليقل: اللهم أحيى ما كات الحياة خيراً لي، وتوفني ما كانت الوفاة خيراً لي" (1)

أخرجه البخاري (220 / 13) فتح ، عن أنس، وبوب عليه في كتاب "التمني" باب "ما يكره من التمني"

قال ابن برحبس في حكم التمني: إذا تمن المسلم أمراً فيه معصية لله تعالى، ثم لم يعملها فلا يخلوا هذا من أربعته أمور:

الأول: أن يترك المعصية خوفاً من الله تعالى.

الثاني: أن يترك المعصية خوفاً من المخلوقين، ومراءاة لهم.

الثالث: أن يترك المعصية لعدم القدرة عليها بعد السعي في تحصيلها.

الرابع: أن يهم بالمعصية فقط.

ولكل قسم من هذه الأقسام الأربعته حكم يخصه:

حكم القسم الأول:

فالأول، وهو: ترك المعصية خوفاً من الله تعالى، يثاب عليه المسلم وذلك لحديث ابن عباس القدسي "ومن هم بسيئة فلم يعملها، كتبها الله عنده حسنة كاملة" متفق عليه

وعن أبي هريرة نحوه وفيه "وإن تركها من أجلي فاكتوبها له حسنة... " الحديث وهو متفق عليه. وهذا لفظ البخاري ولفظ مسلم "إنما تركها من جراي"

قال الخطابي: محل كتابة الحسنة على الترك: أن يكون التارك قد قدر على الفعل ثم تركه، لأن الإنسان لا يسمى تاركاً إلا مع القدرة"

وقال الحافظ ابن رجب: (إنما تركها من جراي) يعنى من أجلي، وهذا يدل على أن المراد: من قدر على ما هم به من المعصية، فتركه لله تعالى، وهذا لا ريب في أنه يكتب له

بذلك حسنة، لأن تركه للمعصية بهذا القصد عمل صالح" (2)

(1) له ألفاظ وطرق خرجها في "بادروا بالموت" وفي عمل اليوم لأبن السني

(2) جامع العلوم والحكم (321 / 2)

* حكم القسم الثاني:

وهو من ترك العصية خوفاً من المخلوقين ومראהً لهم، فقد قال جماعة من العلماء: إنه يعاقب على تركها بهذه النية، لأن تقديم خوف المخلوقين على خوف الله محرم⁽¹⁾

قال ابن برجس رحمه الله:-

في كيفية التخلص من هذا التمني:

التمني المذموم داء خطير، ومرض مزمن، تجب الوقاية منه، والعمل على علاجه إن وقع.

ووسائل معالجة هذا الوباء كثيرة نقتصر على طرف منها: فمن ذلك: مجاهدة النفس على رفع الخطرات، فإن الخطرات أصل بيني عليه ما بعهدده، كما قال ابن القيم - رحمه الله -:

مبدأ كل علم نظري، وعمل اختياري، هو الخواطر والأفكار: "فإنها توجب التصورات، والتصورات تدعوا إلى الإرادات والإرادات تقتضي وقوع الفعل، وكثرة تكراره تعطي العادة: فصالح هذه المراتب بصالح الخواطر والأفكار وفسادها بفسادها".
قال: واعلم أن الخطرات والوساوس تؤدي متعلقاتها إلى الفكر، فيأخذها الفكر فيؤديها إلى التذكر، فيأخذها فيؤديها إلى الإرادة، فتأخذها الإرادة فتؤديها إلى الجوارح والعمل: فتستحكم، فتصير عادة.

فردها من مبادئها أسهل من قطعها بعد قوتها وتماها.

ومعلوم أنه لم يعط الإنسان إماتة الخواطر، ولا القوة على قطعها، فإنها تهجم عليه هجوم النفس، إلا أن قوة الإيمان والعقل تعينه على قبول أحسنها، ورضاه به، ومساكنته له، وعلى رفع أقبحها وكراهته له، نفرته⁽²⁾

وراجع الرسالة البديعة التي وضعها العلامة ابن برجس في هذا الموضوع، كما يراجع كتاب "التمنين" لابن أبي الدنيا فهو من أمتع من ألف في هذا الموضوع.
وراجع فيه أيضاً التمني المحمود، وأن النبي ﷺ تمنى أن يقاتل في سبيل الله ثم

(1) رسالة التمني (ص 54-55) وراجع فيها بقية أحكام الأقسام الثالث والرابع.

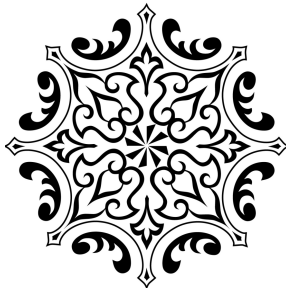
(2) الفوائد (ص 173-174) ورسالة التمني (ص 64-66)

يقتل، ثم يبعث ثم يقاتل ثم يقتل " وما تناه عبد الله بن حزام لما مات مقتولاً شهيداً في غزوة أحد ما تمناه الصحابة الكرام على رأسهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والعشرة، وغيره ".... راجع ذلك كله في كتاب ابن أبي الدنيا.

وهذا الموضوع التمني يحتاج إلى باحث طويل النفس حتى يستقصي الكلام عنه، ويستخرج لنا في سفر كبير يروي الظمأ ويشفي الغليل.

نستخلص مما سبق أن الأمانى الكاذبة، والأحلام الواهية من أسلحة الشيطان حتى يغرق العباد في هو سحيفة فلا يخرجون منها إلا على الموت.

فالعقل البصير هو الذي لا يمشي خلف الأمانى الكاذبة، ولا الأمانى الباطلة، ولا الأحلام الخيالية، ويعيش لله، ويقنع بما رزقه الله تعالى، ولا يتمنى الأمانى الغارقة الهالكة، لأن هذه الأمانى كسب العاجز ومطلب الكسلان كما قال ﷺ " والعاجز من اتبع هواه وتمنى على الله الأمانى "



(23)



كيد الشيطان

الكيد في اللغة يأتي على معان:

- الكيد من المكيدة، وقد كاده مكيدةً. والكَيْدُ الحُبُّ والمكرُ. كاده يكيده كيداً وميكدة، وكذلك المكايدة. وكل شيءٍ تعالجه، فأنت تكيده.
- والكيد: الاحتيال والجهاد، وبه سميت الحرب كيداً.
- والكيد: التدبير بباطل أو حق
- ويقال: فلان يكيده أمراً ما هو إذا كان يُريغه ويحتال له ويسعى له ويحتله.
- والكيد بمعنى الحيض، كادت المرأة: حاضت.
- والكيد: القيء.
- والكيد: صياح الغراب بجهد.
- والكيد: إخراج الزند النار (1).
- والكيد ورد في القرآن في إحدى وأربعين موضعاً، وورد في القرآن على ثلاثة أنحاء وثلاثة مصادر.

الأول: صادر من الله تعالى كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ (١٥) وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿[الطارق:15،16] وقال تعالى ﴿وَأْمُرِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [الأعراف:183].

الثاني: الكيد الشيطاني كما في قوله تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء:76] وهو الموضع الوحيد الذي ذكر فيه الكيد مقروب بالشيطان.

الثالث: كيد الكافرين، كما في مواضع كثيرة ﴿ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾ [الأنفال:18].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [غافر:25] وهناك كيد نسائي كما في قوله تعالى: ﴿وَالَا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ﴾ [يوسف:33] وقال ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ﴾

(1) اللسان مادة كيد.

فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ﴿ [يوسف:34] وقال ﴿ إِنَّ كَيْدَكَ عَظِيمٌ ﴾ [يوسف:28] . وهناك كيد جماعي كالذي وقع من الكافرين، وكيد فردي كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴾ [غافر:37] .
وقال في الجمع: ﴿ فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتُوا صَفًا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ أَسْتَعَلَى ﴾ [طه:64]

وقال تعالى: ﴿ فَكَيْدُو فِي جَمِيعًا ﴾ [هود:55]

وقال تعالى: ﴿ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ﴾ [يوسف:5]

وللسحرة كيد، كما في قوله ﴿ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدَ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾ [طه:69] والمتبع للأيات الوارد فيها الكيد أن الكيد يعود على المكائد أو الكايد بالخسران والحسرة.

فقال تعالى: ﴿ ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ﴾ [الأنفال:18]

وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴾ [يوسف:52] وهذا دليل على أن الكائد خائن.

وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ [غافر:25]

وقال عن كيد فرعون: ﴿ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴾ [غافر:37] .

وقال تعالى: ﴿ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴾ [الأنبياء:70]

وقال تعالى: ﴿ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴾ [الصفات:98] فمن أراد بكيده علواً فسوف يكون من الأسفلين.

وقال تعالى وهو يطمئن أهل الأيمان والحق: ﴿ وَإِنْ تَصَبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ

كَيْدُهُمْ شَيْئًا ﴾ [آل عمران:120] . ويبين الكيد لا يغني في الآخرة فقال: ﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ

كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُصْرُونَ ﴾ [الطور:46] وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدُهُمْ فِي تَضَلِيلٍ ﴾

[الفيل:2] في ضياع، يبين الله تعالى أن كيده هو المتين فقال تعالى ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾

[القلم:45] .

وأن أهل الكفر والضلال إذا كادوا فهم المكيدون فقال تعالى: ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ [الطور: 42]. أي ينقلب عليهم كيدهم ويعود عليهم وبالأغور وخسراً.

هذه هي أخبار الكيد والكائدين في القرآن أما كيد الشيطان فهو ضعيف إذا قيس بكيد الله تعالى أو قرن كيد الشيطان بكيد الإنسان، فكيد الشيطان أقوى وأشد، لأنه أصل الكيد وهو عنوانه، ومنه خرج. فتحدث عن كيده لنفسه أولاً، ثم كيده لآدم وزوجته حواء، ثم كيده لبني آدم.

قال ابن الجوزي في كتاب. كيد الشيطان (ص 81-125) :-

"فاعلم أن الشيطان قد كاد نفسه قبل كيده لآدم عليه السلام مع حواء، ثم لم يقتصر على ذلك حتى كاد ذرية نفسه (1) وذرية آدم عليه السلام"

أما كيده لنفسه فإنه كان يطوف بآدم وهو صلصال كالفخار، فيتعجب منه ويقول: لأمر عظيم قد خلق هذا، ولئن سلط علي لأعصيته، ولئن سلطت عليه لأهكلنه فلما تم خلق آدم في أحسن تقويم، رأى الملائكة منظرًا لم يشاهدوا أحسن منه، فسجدوا كلهم أجمعون بأمر ربهم فشق ذلك على إبليس، فسولت له نفسه بأن في سجوده لآدم غضاضة عليه، إذ يلزم أن يخضع لمن دونه في زعمه لكونه مخلوقاً من نار، والنار في زعمه أشرف من الطين، فالمخلوق منها خير من المخلوق منه، وخضوع الأفضل لمن دونه غضاضة عليه، وهضم لمنزلته، فلما وقع هذا الفكر في قلبه قارنه الحسد فأبى السجود وعارض نص المعبود، برأيه المردود، وقال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ [ص: 76]. ثم قرر ذلك بحجته الداحضة حيث قال: ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [ص: 76] (2).

(1) إبليس له ذرية وزوجة وجنود وسيأتي مزيد من هذا البحث.

(2) وقد أخرج ابن جرير في "تفسيره" بإسناد صحيح إلى الحسن في قوله: خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (2) (76) [الأعراف] قال "فاس إبليس، وهو أول من قاس" ونحوه عن ابن سيرين - رحمهما الله تعالى. وقال العلامة الأصولي محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - في "مذكرة أصول الفقه" (ص 341 دار الأمانة).

وقياس إبليس هذا مردود من ثلاثة أوجه:

الأول: هو ما ذكر من كونه فاسد الاعتبار لمخالفة النص.

ولم يعلم أنه لو امثل أمره تعالى لكان فيه عزه وسعاده، وبالامتناع أهان نفسه كل الإهانة، من حيث أراد تعظيمها، وأذلها كل الإذلال، من حيث أراد عزتها، ووضعها كل الوضع، من حيث أراد رفعتها، ففعل بنفسه ما لو اجتهد أعظم أعدائه أن يفعل به ذلك، لم يبلغ ذلك المبلغ، ومن كان غشه لنفسه هكذا كيف يختار العاقل أن يتبعه ويقبل وسوسته؟! *** وأما كيده للأبوين:**

فقد قص الله تعالى علينا قصته معها لتكن تلك القصة عبرة، ونصيحة لنا فإنه شاملها تطير إليها، أين يمضيان، فاحس منهما ميلاً إلى الخلود في الجنة، فعلم أنه لا يدخل عليهما إلا من هذا الباب، وهذا الباب أعظم كيده في الإضلال، ومن هذا الباب لا يدخل على ابن آدم، فإنه يجري منه مجرى الدم⁽¹⁾، ويصادف نفسه ويخالطها، ويسألها عما تحبه وتؤثره، فإذا عرف مقصودها يستعين به على إضلال العبد، فإن اللعين لما عرف أن الأبوين يريدان الخلود في الجنة، وعلم أنها إذا أكلت من الشجرة المنهية تبدوا عوراتهما ويخرجان من الجنة، قال لهما إني خلقت قبلكما، وإني أعلم منكما، فاتبعاني أرشدكما إلى شجرة الخلد، فخدعها حيث سمي تلك الشجرة "شجرة الخلد"، فلما سماها شجرة الخلد، وقال: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾ [طه:120].

قال: ﴿مَا نَهَكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف:20] إلا كراهية أن تأكلا منها، وتحلدا في الجنة، ولا تموتا، وتكونا كالملائكة الذين لا يموتون، حلف لهما أنه ناصح لهما، حتى إطمأن قلبهما به، وأجاب إلى ما دعاها إليه، فجرى عليهما - ما جرى وكان ذلك بكيده ومكره الذي جرى به القلم.

= **الثاني:** منه كون النار خيراً من الطين، بأن النار طبيعتها الخفة الطيش، والإفساد والتفريق، وأن الطين طبيعته الرزانة والإصلاح، تودعه الحبة فيعطيهما سنبلة والنواة فيعطيهما نخلة وإذا نظرت إلى ما في البساتين الجميلة من أنواع الفواكه والحبوب والزهور عرفت أن الطين خير من النار. **الثالث:** أنا لو سلمنا جدلاً أن النار خير من الطين، فشراف الأصل يستلزم شرف الفرع، فكم من أصل رفيع، فرعه وضعيف.

إذا افتحرت بأباء لهم شرف قلنا صدقت ولكن بش ما ولدوا

(1) كما ثبت في الصحيحين البخاري (2053) ومسلم (2175) من حديث صفية زوج النبي ﷺ أنه قال: "إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم" .. وسيأتي

ورد الله تعالى كيده عليه، وتدارك الأبوين برحمته ومغفرته، وعاد عاقبة مكره عليه، ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر:43]. وظن العدو أن الظفر والغلبة في هذه الحرب له، ولم يعلم بكمين جيش: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف:23] ولا بإقبال دولة: ﴿ثُمَّ أَجْبَنَهُ رَبُّهُ، فَثَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ [طه:122]. والحاصل أن العدو بلى بالذنب وأصر، واحتج وعارض الأمر، وقدم في الحكمة ولم يندم على المعصية، فلحقته الذلة واللعنة، والحبيب بلى بالذنب فاعترف وتاب، وأزيل عنه العتاب، قبل منه المتاب، وفتح له من الرحمة الهداية كل باب.

* ثم كاد العدو أحد ولدي آدم، فإنه لم يزل يتلاعب به حتى قتل أخاه، وأسخط أباه، وعصى مولاه. وسنَّ قتل النفوس في الأرض.

وقد ثبت أنه عليه الصلاة والسلام قال: "ما من نفس تقتل ظلماً إلى كان على ابن آدم كفل منها؛ لأنه أول من سن القتل"⁽¹⁾

فإن العدو كاد هذا القاتل بقطع رحمه، وعقوق والديه، وإسقاط ربه، وظلم نفسه، وعرضه لأعظم العقاب وحرمة من جزيل الثواب.

ثم جرى الأمر على السداد والاستقامة، وكانت الأمة واحدة، والدين واحداً، والعبود واحداً، كما قال الله تعالى ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ﴾ [البقرة:213]

قال ابن عباس: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ كانوا على الإسلام⁽²⁾، وهذا القول الصحيح في الآية.

وروى عن ابن عباس: "أن الناس كانوا أمة واحدة كانوا كفاراً" وهذا القول ضعيف جداً، وهو منقطع عن ابن عباس⁽³⁾ والصحيح خلافه.

(1) أخرجه البخاري (3335) ومسلم (1677) والترمذي (2673) والنسائي (81/7) وابن ماجه (2616) وأحمد (1/383 - 430 - 433) والحميدي (188) عن ابن مسعود.

(2) أخرجه ابن جرير (4/275) والحاكم (3-546) والبيهقي في الأسماء (440) من طريق قتادة عن عكرمة عن ابن عباس قال "كان بين نوح و آدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق - وقال الحاكم: صحيح غير شرط البخاري، ووافقه الذهبي، وهو كما قالاً.

(3) لأن رواه كلهم ضعاف كما قال الشيخ شاكر: اهل بيت كلهم ضعاف وهم العوافيين - أقول: ومع ضعفهم: فيه انقطاع، لأن العوفي مع كونه ضعيف لكنه لم يسمع من ابن عباس في التفسير.

قال سعيد عن قتادة: "كان بين آدم ونوح - عليها السلام - عشرة قرون، كلهم على الهدى، وعلى شريعة الحق، ثم اختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكموا به بين الناس فيما اختلفوا فيه⁽¹⁾

فإن العدو وكادهم وتلاعب بهم، حتى أنقسموا قسمين: (كفاراً ومؤمنين).

* وكان أول من تلاعب بهم (عباد الأصنام):

من جهة العكوف على القبور، وتصوير أهلها؛ ليتذكروا بها كما قص الله تعالى قصتهم في كتابه فقال: ﴿ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّمْ عَصَوِي وَأَتَّبِعُوا مَن لَّزِيذُهُ مَالُهُ، وَوَلَدُهُ، إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكْرُؤًا مَّكَرًا كَبِيرًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا نَذَرْنَاهُ الْهَتَكَ وَلَا نَذَرْنَاهُ وَدَا وَلَا سَوَاعَا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ [نوح: 21، 23].

قال البخاري في "صحيحه" عن ابن عباس "هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون عليها أنصباً، وسموها بأسمائهم، ففعلوا فم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عُبدت".⁽²⁾

وقال ابن جرير عن محمد بن قيس: "إنهم كانوا قوماً صالحين من بني آدم، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا، قال أتباعهم لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم، فصوروهم، فلما ماتوا وجاء آخرون دب إليهم إبليس فقال: إنما كانوا يعبدونهم، وبهم يستقون المطر، فعبدوهم"⁽³⁾

ولم يزل الأمر يشتد على ما قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، حتى أدرك نوح فبعثه الله نبياً فعصوه وكذبوه، فأمره الله تعالى أن يصنع الفلك فصنعها وركبها، وغرق من غرق، فأهبط الماء هذه الأصنام من أرض إلى أرض، حتى قذفها إلى أرض جدة، فلما نضب الماء بقيت على الشط، فسفت الريح عليها التراب، حتى وارتها، فلم

(1) ابن جرير (4/ 276) وابن سعد (1/ 44) بسند حسن

(2) صحيح البخاري (4920)

(3) أخرجه ابن جرير (12/ 254) بسند ضعيف جداً

تزل مدفونة حتى أخرجها الشيطان لمشركي العرب، فلم تزل تعبد حتى بعص الله النبي ﷺ فهدمها وكسرها (1)

قال ابن هشام حدثني أبي: "أن الذي حمل العرب على عبادة الأصنام والحجارة: أن إسماعيل عليه الصلاة والسلام لما سكن مكة، ولد له أولاد كثيرة، حتى ملأوا مكة، وضاعت عليهم، ووقعت بينهم الحروب والعداوات، وأخرج بعضهم بعضاً، وانتشروا في البلاد لطلب المعاش، وكان لا يذهب أحد إلا احتمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيماً للحرم، وصبابة بمكة، فحيث ما نزلوا وضعوه، وطافوا به. كطوفهم بالبيت حياً للبيت، وصبابة به، ثم عبدوا ما استحسوه، ونسوا ما كانوا عليه من دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، واستبدلوا به غيره، وعبدوا الأصنام، واستخرجوا ما كان يعبد قوم نوح عليه السلام، وصاروا إلى ما كان عليه الأمم من قبلهم، ومع ذلك فيهم بقايا من شريعة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، يتمسكون بها من تعظيم البيت، والطواف به، والحج والعمرة، والوقوف بعرفة، والمزدلفة، وكان أول من غير دين إبراهيم عليه السلام، ونصب الأصنام عمرو بن لحي.

وسبب ذلك أن أم عمرو كانت فهيرة بنت عامر بن الحارث، وكان الحارث هو الذي يلي أمر الكعبة، فلما بلغ عمرو نازعه في الولاية، وقاتل جرهم بني إسماعيل، فظفر بهم وأجلادهم عن الكعبة، ونفاهم من بلاد مكة، وتولى حجابة البيت، ثم إنه مرض مرضاً شديداً فقتل له :

إن باللقاء من الشام حمة إن أتيتها برئت، فأتاها فاستحم بها فبرئ، ووجد أهلها يعبدون الأصنام، فقال لهم: ما هذه التماثيل التي تعبدونها؟ فقالوا: نستمطر بها فتمطر، ونستنثر بها على العدو فننصر، فسألهم أن يعطوه منها، فأعطوه، فقدم به مكة، ونصبها حول الكعبة، وأمر الناس بعبادتها وتعظيمها. (2)

وبهذا السبب اتخذت العرب الأصنام، وكان أقدمها: (مناة). وكان منصوباً على ساحل البحر بين مكة والمدينة وكانت العرب كلهم يعظمونه، ويذبحون له، ولم يكن أحد أشد إعظاماً له من الأوس والخزرج.

(1) إسناد فيه محمد بن السائل وهو منهم بالكذب

(2) أنظر تحريجه أول الجزء الأول من السيرة النبوية لابن هشام بتحقيقي.

قال هشام: كان الأوس والخزرج ومن جاورهم من عرب أهل يثرب وغيرها يحجون الحج، ويقفون المواقف كلها من الناس، ولا يلقون رؤوسهم، فإذا نفروا كانوا يأتونه، ويلحقون رؤوسهم عنده، وكانوا لا يرون لحجهم تماماً إلى بذلك (1).

فبعث رسول الله ﷺ عام الفتح علياً فهدمها.

ثم اتخذوا اللات بالطائف، وهي أحدث من مناة، وكانت حجرة مربعة، وكانوا بنوا عليها بيتاً، وكان سدنتها من ثقيف، وكانت قريش وجميع العرب تعظمها، فلم تنزل كذلك حتى أسلم ثقيف، فبعث رسول الله ﷺ المغيرة بن شعبة فهدمها وحرقتها بالنار.

ثم اتخذوا العزى وهي أحدث من اللات، وكانت بوادي نخلة، فوق ذات عرق، وكانوا يسمعون منها الصوت.

قال هشام: وحدثني أبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن العزى كانت شيطانة تأتي ثلاث سمرات ببطن نخلة فلما فتح رسول الله عليه الصلاة والسلام مكة بعث خالد بن الوليد فقال: "أنت يبطن مكة نخلة، فإنك تجد فيها ثلاث سمرات، فاعضد الأولى" فأتاها فعضدها فلما جاء إلى النبي عليه الصلاة والسلام قال له النبي عليه الصلاة والسلام: "هل رأيت شيئاً" قال: لا، قال: "فاعضد الثانية"، فأتاها فإذا هي بجنيّة نافشة شعرها، واضعة ثدييها على عاتقيها تضرب أنيابها، وخلفها سادنها، فقال خالد: كفرانك، إني رأيت الله قد أهانك، ثم ضربها ففلق رأسها، فإذا هي حممه، ثم عضد الشجرة، وقتل السادن، ثم أتى النبي عليه الصلاة والسلام فأخبره بما رأى، فقال عليه الصلاة والسلام: "تلك العزى ولا عزى للعرب بعدها" (2)

وكان لقريش من غير هذه الأصنام - في جوف الكعبة وحوّلها - صنماً كثيرة.

* منها هبل:

قال هشام: "هو عندهم أعظمها، وكان من عقيق أحمر، على صورة الإنسان مكسور اليد اليمنى، هكذا أدركته قريش، وجعلوا له يداً من الذهب، وكان في جوف الكعبة، وفي قدامه قداح، وكانوا إذا أرادوا أمراً من سفر وغيره أتوه، واستقسموا عنده بتلك القداح".

(1) أنظر صحيح البخاري (4861).

(2) راجع تخريجه مطولاً في "السيرة".

* ومنها إساف ونائلة:

قال هشام: " كان إساف رجلاً، ونائلة امرأة كلاهما من جرهم، وكان يتعشقان في أرض اليمن، فأتيا الحج فدخلوا البيت فوجدوا غفلة من الناس وخلوه من البيت، وفجراً فيه، فمسخا حجرتين فأصبح الناس فوجدوا ممسوخين، فأخرجوهما فوضعهما عند الكعبة ليتعظ الناس بهما، فلما طال الزمان وعبدت الأصنام عبداً مع سائر الأصنام. فإن رسول الله ﷺ لما فتح مكة وجد حول البيت ثلاثمائة وستين صنماً. وجعل يطعن بقوسه وجوهها وعيونها، ويقول: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: 81] وهي تتساقط على رؤوسها، ثم أمر بها وأخرجت من المسجد، وأحرقت (1).

* قال ابن إسحاق: " كان عمرو بن الجموع سيداً من سادات بني سلمة، وشريفاً من أشرفهم، وكان قد اتخذ في داره صنماً من خشب، فلما أسلم فتيان من بني سلمة كانوا يدخلون بالليل على صنمه فيحملونه ويطرحونه منكساً على رأسه في بعض حفر بني سلمة، فيها عذرات الناس، فإذا أصبح عمرو. ولم يجد صنمه في موضعه يغدو يلتمسه، فإذا وجده يغسله ويطهره ويطيبه، ويقول: والله لو أعلم من فعل بك هذا لأخزينه، فإذا أمسى ونام كانوا يفعلون بصنمه مثل ذلك، فيغدو. يلتمسه ويجد فيه مثل ما كان في المرة الأولى من الأذى، فيغسله ويطهره ويطيبه، فإذا أمسى كانوا يفعلون به كذلك، فلما طال عليه استخرجه من حيث ألقوه، فغسله وطهره وطيبه، ثم جاء بسيفه، فعلقه عليه، ثم قال: " والله إني لأعلم من يصنع بلك هذا، فإن كان فيك خير، فهذا السيف معك، فامتنع، فلما أمسى ونام غدوا عليه، وأخذوا السيف من عنقه، ثم وجدوا كلباً ميتاً فقرنوه به بحبل ثم ألقوه في بئر من آبار بني سلمة فيها عذرات الناس، وأصبح عمرو، ولم يجده في مكانه، فخرج يلتمسه، فوجده في تلك البئر منكساً مقروراً بكلب ميت، فلما رآه هكذا تعجب من شأنه، وكلمه بعض من أسلم من قومه، فأسلم وحسن إسلامه (2).

(1) أخرجه البخاري (2478) (2487) ومسلم (1781) وأحمد (337/1) والترمذي (138)

(2) خرجته في السير بتحقيق طبعة دار العقيدة.

وهكذا كان لأهل كل وادٍ صنم في دارهم يعبدونهم، فإذا أراد أحدهم السفر، كان آخر ما يصنع في منزله أن يتمسح به، وإذا قدم من سفره ودخل منزله، كان أول ما يصنع أن يتمسح به، وكان الرجل إذا سافر، ونزل منزلاً، أخذ أربعة أحجار، فنظر إلى أحسنها، وأخذها رباً، وجعل الثلاثة الباقية أقاليم لقدره، فإذا ارتحل تركه، فإذا نزل منزلاً آخر فعل مثل ذلك.

وقال مهدي بن ميمون: سمعت أبا رجاء يقول: "كنا في الجاهلية نعبد الحجر، فإذا وجدنا حجراً أحسن منه كنا نأخذه، ونلقي الأول، وإذا لم نجد حجراً جمعنا حقه (جثة) من تراب، ثم جئنا بغنم فحلينا عليه، ثم طفنا به، أخرجه البخاري (4376)".
وقال أبو رجاء: "كنا نعمد إلى الرمل فنجمعه، ونحلب عليه ونعبده، وكنا نعبد الجمر الأبيض، فنعبده زماناً ثم نلقيه"

* ومن كيده وتلاعبه بالمشركين:

أنه زين لقوم منهم عبادة الملائكة، فعبدوهم ولم يكن عبادتهم في الحقيقة لهم بل كانت للشيطان، كما قال تعالى ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ قالوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيْنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ [سبأ: 40، 41].

* ومن كيده وتلاعبه:

ما تلاعب بعباد النار حتى أتخذوها إلهاً معبوداً
قيل: "كان هذا عهد قابيل على ما ذكره أبو جعفر محمد بن جرير: أن قابيل لما قتل أخاه هابيل وهرب من أبيه آدم عليه السلام، أتاه إبليس. وقال له: إنما قبل قربان هابيل وأكلته النار؛ وهو أول من نصب النار للعبادة".

وسرى هذا المذهب في المجوس، وبنوا لها بيوتاً كثيرة، واتخذوا لها الوقوف والسدنة، ولا يدعونها تخدم لحظة واحدة، ولهم في عبادتها شرائع يأخذون بها، وهم فرق، شتى منهم:

المزدكية، وهؤلاء يرون الاشتراك في النساء والمكاسب، كالاشتراك في الهواء والطرق وغيرها.

ومنهم الخُرْمِيَّة؛ وهم من شر طوائفهم، ولا يقرون بصانع ولا معاد، ولا نبوة، ولا كتاب، ولا حلال، ولا حرام، وعلى مذهبهم طائفة القرامطة، والإسماعيلية، والبشتكية، والنصيرية، والدرزية، وسائر العبيدية الذين يسمون أنفسهم فاطمية وهم أكفر الكفار. (1)

فكل هؤلاء نجمهم هذا المذهب، ويتفاتون في التفضيل، والمجوس شيوخهم وأئمتهم وقدوتهم، وإن كان المجوس يستقيدون بأصل دينهم وشرائعهم، وهؤلاء لا يتقيدون بدين من الأديان، ولا بشريعة من الشرائع.

ثم إن عباد النار يفضلونها على التراب، ويصوبون رأي إبليس ويقولون إنها أوفر العناصر خيراً، وأعظمها جرماً، وأوسعها مكاناً، وأشرفها جوهرراً وألطفها جسماً، ولا كون في العالم إلا بها، ولا نمو إلا بها، ولا انعقاد إلا بمجازجتها.

* ومن عباداتهم لها انهم يحفرون لها أخدوداً مربعاً في الأرض، ويطوفون به، وهم أصناف مختلفة.

فمنهم من يحرم إلقاء النفوس فيها، وإحراق الأبدان بها، وهم أكثر المجوس.

* وطائفة أخرى بلغت عبادتهم لها إلى أن يقربوا أنفسهم وأولادهم لها، وهو أكثر ملوك الهند وأتباعهم، ولهم سنة معروفة في تقريب نفوسهم لها، وإلقاءها فيها، فيعمد الرجل الذي يريد أن يفعل ذلك بنفسه، أو بولديه فيجمله، ويلبسه أحسن اللباس، وأفخر الحلي، ثم يركبه أعلى المراتب وحوله المعازف والطبول والبوقات، فيضج لنار أعظم من زفافه ليلة عرسه حتى إذا قابلها وهي تأجج يطرح نفسه فيها، فيضج الحاضرون ضجة واحدة بالدعاء له، وغبطة على ما فعل، فلا يلبس إلا قليلاً حتى يأتيهم الشيطان في صورته وشكله وهيئته، بحيث لا ينكرون منه شيئاً فإمرهم بما فعل.

ويوصيهم بالتمسك بذلك الدين، ويخبرهم أنه صار إلى جنة ورياض وأنهار، ولم يتألم بمس النار، فلا يهولنهم ذلك، ولا يمنعهم عن أن يفعلوا مثله.

ومنهم زهاد وعباد يجلسون حول النار صائمين لها عاكفين عليه، ومن سننهم: الحث على الأخلاق الجميلة كالصدق، والعدل، والعفة، والوفاء، والأمانة، وترك اضدادها.

(1) هذه الفرق ذكرتها في التلبيس بتحقيق.

ولهؤلاء في عبادتها شرائع، ونواميس، وأوضاع لا يخلون بها.

*** ومن كيده وتلاعبه:**

ما تلاعب بطائفة أخرى حتى عبدوا الماء⁽¹⁾ من دون الله تعالى، وزعموا أن الماء أصل كل شيء، وبه كل ولادة، ونمو، ونشوء، وطهارة، وعمارة، وما من عمل في الدنيا إلا ويحتاج إلى الماء. ومن شريعتهم في عبادتهم: أن رجلاً منهم إذا أرد عبادته يتجرد، وستر عورته، ثم يدخل فيه حتى يصير إلى وسطه، فيقيم هناك ساعة، أو ساعتين، أو أكثر، بقدر ما يمكنه، ويكون معه ما يمكنه أخذه من الرياحين، فيقطعها ضغراً فيلقها فيه شيئاً شياً، وهو يسبحه ويجمده، فإذا أراد الانصراف يترك الماء بيده، ثم يأخذ منه فيضعه على رأسه ووجهه وجسده، ثم يسجد له، وينصرف.

*** ومن تلاعبه بعبادة الحيوانات:**

فطائفة عبدت الخيل، وطائفة عبدت البقر وطائفة عبدت البشر الأحياء والأموات.

*** ومن تلاعبه:**

تلاعب بالدهرية، وأنهم قوم عطلوا المصنوعات عن صانعها، وقالوا ما حكى الله عنهم: ﴿الْأَحْيَانُ الْدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: 24] فهؤلاء هم المعطلة حقاً، وهم فحول المعطلة وقد سرى هذا التعطيل إلى سائر فرق المعطلة على اختلاف آرائهم، وتباين أوقوالهم في التعطيل، كما سرى داء الشرك تأصيلاً وتفصيلاً في سائر فرق المشركين على اختلاف ضلالتهم، وتباين مذاهبهم فيه، وكما سرى جحد النبوات تأصيلاً وتفصيلاً في سائر فرق من جحد النبوة، أو صفة من صفاتها، وهذه الفرق الثلاث سرى داؤها وبلاؤها في الناس في هذا الزمان، ولا ينجو منه إلا أتباع الرسول عليه الصلاة والسلام العرافون بحقيقة ما جاء به، المتمسكون به ظاهراً وباطناً دون ما سواه.

فداء التعطيل، وداء الشرك، وداء مخالفة الرسول، وجحد ما جاء به أو شيء منه: هو أصل بلاء العالم، ومنيع كل شر، وأساس كل باطل، وليست فرقة من فرق أهل الإلحاد والبدع إلا وقولها مشتق من هذه الأصول الثلاثة، أو من بعضها.

(1) قال ابن القيم في الإغاثة (595) هم الحلبانية.

فهذه البلايا الثلاثة قد سرت في كثير من "طوائف الفلاسفة" لا في جميعهم؛ لأن الفلاسفة جمع الفيلسوف، وهو أسم جنس لمن يحب الحكمة؛ لأن أصله فيلاسوفاً، ففيلاً: هو "المحب"، وسوفاً: هي "الحكمة"، ومنه اشتقت الفلسفة بمعنى محبة الحكمة.

* والحكمة نوعان: (قوليّة وفعلية).

فالقوليّة: قول الحق.

والفعلية: فعل الصواب.

وكل طائفة من الطوائف لهم حكمة يتقيدون بها، وأصح الطوائف حكمة من حكمتهم أقرب إلى حكمة الرسل التي جاؤا بها، عن الله تعالى، إذ هي الحكمة المتضمنة للعلم النافع، والعمل الصالح المشتملة على الهدى، ودين الحق، والفلاسفة بزعمهم يأخذون بمحاسن ما دلت عليه العقول وعقلاؤهم يوجبون أتباع الأنبياء وشرائعهم، وبعضهم لا يوجبون ذلك، ولا يجرمون. وسفهاؤهم سفلهم يمنعون ذلك، ولهذا لم يكن هؤلاء من الأمم المستقلة التي لها كتاب ونبي.

وقد صار هذا الاسم في عرف كثير من الناس مختصاً بمن خرج عن ديانات الأنبياء، ولم يذهب إلا إلى ما يقتضيه العقل في زعمه.

وأخص من ذلك:

أنه في عرف المتأخرين صار اسماً لأتباع أرسطو، وهم المشاؤون خاصة، وهم الذين هذب ابن سينا طريقتهم، وبسطها وقررها، وأراد تقربها من دين الإسلام بجهد، وغاية ما امكنه أن يقربها، وهي التي يعرفها، بل لا يعرف غيرها المتأخرون من المتكلمين. وهؤلاء فرقة شاذة من فرق الفلاسفة، ومقاتلهم واحدة من مقالات القوم، حتي قيل إنه ليس فيهم من يقول بقدم الأفلاك غير أرسطو وشيعته، وهو أول من عرف أنه قال بقدم هذا العالم، والأساطين قبل كانوا يقولون بحدوثه وإثبات الصانع، ومباينته له، وكذلك الأساطين منهم، متفقون على إثبات الصفات والأفعال الاختيارية له تعالى، كما ذكره فيلسوف الإسلام في وقته أويو البركات البغدادي، وقرره غاية التقرير.

وكذلك أساطينهم ومتقدموهم كانوا معظمين للرسول وشرائعهم، موجبين لاتباعهم، خاضعين لأقوالهم، معترفين بأن ما جاءوا به طور آخر، وراء طور العقل، وأن عقول الأنبياء وحكمتهم فوق عقول العالمين وحكمتهم، وكانوا لا يتكلمون في الإلهيات، ويسلمون بأن الكلام فيها إلى الرسل، ويقولون: علمونا، إنما هي الرياضيات والطبيعيات وتوابعها، وكانوا يقرون بحدوث العالم.

وقد حكى أرباب المقالات أن أول من عرف عنه القوم بقدم هذا العلم أرسطو، وكان مشركاً يعبد الأصنام، ودرج على إثره أتباعه من الملاحدة، يتستر، باتباع الرسل مع كونه منحلاً عن كل ما جاؤا به، وأتباعه يعظمونه فوق ما يعظم به الأنبياء، ويرون عرض ما جاء به الأنبياء على كلامه، فما وافقه منها قبلوه، وما خالفه لم يعبأوا به شيئاً ويسمونه المعلم الأول؛ لأنه أول من وضع لهم التعاليم المنطقية، وله في الإلهيات كلام كله أخطاء من أوله إلى آخره.

وجاء فيه بما يسخر منه العقلاء، حيث أنكر أن يكون الله تعالى يعلم شيئاً من الموجودات، وقرر ذلك بأنه لو علم شيئاً لكمل بمعلوماته، ولم يكن كاملاً في نفسه، وكان يلحقه التعب والكلال، من تصور المعلومات، فهذا عقل هذا المعلم.

وقد حكى ذلك أبو البركات، وبالغ في إبطال حججه وردّها. ولولا أنه تعالى يحكي عن المشركين والكفار أقوالاً أسخف وأبطل من هذا، لاستحيا العاقل من حكاية مثل هذا، ولكنه تعالى سن لنا حكاية أقوال أعدائه، إذ في ذلك من قوة الإيمان، وظهور جلالته، ومعرفة قدره، وتمام نعمة الله تعالى على أهله، ما لا يخفى لحقيقة ما كان عليه هذا المعلم، وما علمه لأتباعه: الكفر بالله تعالى، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر⁽¹⁾.



(1) تم أختصاره من كتاب كيد الشيطان لابن الجوزي، وهو كتاب مفيد في بابه فجزى الله مؤلفه خيراً، ومن أراد المزيد عن أهل الضلال فليرجع لهذا الكتاب.



فصل

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى:-

ومن كيدِه للإنسان: " أن يورده الموارد التي يخيل إليه أن فيها منفعة، ثم يصدره المصادر التي فيها عطبه، ويتخلى عنه ويسلمه ويقف يشمت به، ويضحك منه، فيأمره بالسرقه، والزنا، والقتل، ويدل عليه ويفضحه ".

* قال رحمه الله:-

ومن كيد عدو الله تعالى: " أنه يخوف المؤمنين من جنده وأوليائه، فلا يجاهدونهم، ولا يأمرونهم بالمعروف ولا ينهونهم عن المنكر، وهذا من أعظم كيدِه بأهل الإيمان، وقد أخبرنا الله تعالى سبحانه عنه بهذا فقال ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ، فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: 175] "

* قال رحمه الله:

"ومن مكايده أنه يسحر العقل دائماً حتى يكيدِه أو يسلم من سحره إلا من شاء الله، فيزين له الفعل الذي يضره حتى يخيل إليه أنه من أنفع الأشياء، وينفر من الفعل الذي هو أنفع الأشياء، حتى يخيل له أنه يضره، فلا إله إلا الله، كم فتن بهذا السحر من إنسان وكم "، حال به بين القلب وبين الإسلام والإيمان والإحسان؟ وكم جلاً الباطل وأبرزه في صورة مستحسنة، وشنع الحق وأخرجه في صورة مستهجنة؟ وكم بهرج من الزيوف على الناقدين، وكم روج من الزغل على العارفين؟ فهو الذي سحر العقول حتى ألقى أربابها في الأهواء المختلفة والآراء المتشعبة، وسلك بهم من سبل الضلال كل مسلك، وألقاهم من المهالك في مهلك بعد مهلك، وزين لهم عبادة الأصنام وقطيعة الأرحام، ووآد النبات، ونكاح الأمهات، ووعدهم الفوز بالجنات مع الكفر والفسوق والعصيان، وأبرز لهم الشرك في صورة التعظيم، والكفر بصفات الرب تعالى وعلوه وتكلمه بكتبه في قالب التنزيه، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في قالب التودد إلى الناس، وحسن الخلق معهم، والعمل بقوله: ﴿ عَلَيْكُمْ أَنْفُسِكُمْ ﴾ [المائدة: 105]

والإعراض عما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام في قالب التقليد، والاكتفاء بقول

من هو أعلم منهم، والنفاق والإدهان في دين الله في قلب العقل المعيشي الذي يندرج به العبد بين الناس.

فهو صاحب الأبوين حين أخرجهما من الجنة، وصاحب قابيل حين قتل أخاه، وصاحب قوم نوح حين أغرقوا، وقوم عاد حين أهلكوا بالريح العقيم، وصاحب قوم صالح حين أهلكوا بالصيحة، وصاحب الأمة اللوطية حين خسف بهم وأتبعوا بالرجم بالحجارة، وصاحب فرعون وقومه حين أخذوا الأخذة الرابية، وصاحب عباد العجل حين جرى عليهم ما جرى، وصاحب قريش حين دعوا يوم بدر، وصاحب كل هالك ومفتون.

* وقال - رحمه الله تعالى:-

وأول كيد ومكره: أنه كاد الأبوين بالإيمان الكاذبة: أنه ناصح لهما، وأنه إنما يريد خلودهما في الجنة، قال تعالى ﴿ فَوَسَّسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِبُدَىٰ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَ تَيْهَمَا وَقَالَ مَا نَهَنَكُمْ رَبُّكُمْ عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لِنَاصِحٍ ﴿٢١﴾ فَذَلَّلَهُمَا يَتَعَرَّبًا ﴾ [الأعراف: 21، 22]

* وقال - رحمه الله تعالى:-

ومن كيد العجيب: " أنه يشأم النفس، حتى يعلم أي القوتين تغلب عليها قوة الإقدام والشجاعة، أم قوة الأنكفاف والإحجام والمهانة؟.

فإن رأى الغالب على النفس المهانة والإحجام أخذ في تشييطه وإضعاف همته، وإرادته عن المأمور به، وثقله عليه، فهوّن عليه تركه، حتى يتركه جملة، أو يقصر فيه ويتهاون به.

وإن رأى عليه قوة الإقدام وعلو الهمة أخذ يقلل عنده المأمور به، ويهمه أنه لا يكفي، وأنه يحتاج معه إلى مبالغة وزيادة فيقصر بالأول ويتجاوز بالثاني، كما قال بعض السلف " ما أمر الله تعالى بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: إما إلى تفریط وتقصير، وإما إلى مجاوزة وغلو، ولا يبالي بأيها ظفر "

وقد اقتطع أكثر الناس إلا أقل القليل في هذين الواديين: واد التقصير، ووادي المجاوزة والتعدي، والقليل منهم جداً الثابت على الصراط الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه.

فقوم قَصَّرَ بهم عن الإتيان بواجبات الطهارة، وقوم تجاوز بهم إلى مجاوزة الحد بالوسواس.

وقوم قَصَّرَ بهم من إخراج الواجب من المال، وقوم تجاوز بهم حتى أخرجوا جميع ما في أيديهم وقعدوا كلاً على الناس، مستشرفين إلأى ما بأيديهم.

وقوم قَصَّرَ بهم عن تناول ما يحتاجون إليه من الطعام والشراب واللباس حتى أضرّوا بأبدانهم وقلوبهم، وقم تجاوز بهم حتى أخذوا فوق الحاجة فاضرّوا بقلوبهم وأبدانهم.

وكذلك قَصَّرَ بقوم في حقّ الأنبياء وورثتهم حتى قتلوهم، وتجاوز بآخرين حتى عبدوهم. وقَصَّرَ بقوم في خُلطة الناس حتى اعتزلوهم في الطاعات، كالجمعة والجماعات والجهاد وتعلم العلم، وتجاوز بقوم حتى خالطوهم في الظلم والمعاصي والآثام. وقَصَّرَ بقوم حتى امتنعوا من ذبح عصفور أو شاة ليأكله، وتجاوز بآخرين حتى جرّاهم على الدماء المعصومة.

وكذلك قَصَّرَ بقوم حتى منعهم من الأشغال بالعلم الذي ينفعهم، وتجاوز بآخرين حتى جعلوا العلم وحده هو غايتهم دون العمل به.

وقَصَّرَ بقوم حتى أطعمهم من العشب ونبات البرية، دون غذاء بني آدم، وتجاوز بآخرين حتى أطعمهم الحرام الخالص.

وقصر بقوم حتى زين لهم ترك سنة رسول الله ﷺ من النكاح فرغبوا عنه بالكلية، وتجاوز بآخرين حتى ارتكبوا ما وصولاً إليه من الحرام.

وقَصَّرَ بقوم حتى جفوا الشيوخ من أهل الدين والصلاح، وأعرضوا عنهم، ولم يقوموا بحقهم، وتجاوز بآخرين حتى عبدوهم مع الله تعالى.

وكذلك قَصَّرَ بقوم حتى منعهم قبول أقوال أهل العلم والالتفات إليها بالكلية، وتجاوز بآخرين حتى جعلوا الحلال ما حللوه والحرام ما حرموه، وقدموا أقوالهم على سنة رسول الله ﷺ الصحيحة الصريحة.

وقَصَّرَ بقوم حتى قالوا إن الله سبحانه لا يقدر على أفعال عباده ولا شاءها منهم، ولكنهم يعلمونها بدن مشيئة الله تعالى وقدرته، وتجاوز بآخرين حتى قالوا: إنهم لا

يفعلون شيئاً البتة، وإنما الله سبحانه هو فاعل تلك الأفعال حقيقة، فهي نفس فعل لا أفعالهم، والعبيد ليس لهم قدرة ولا فعل البتة.

وقصّر بقوم حتى قالوا: إن رب العالمين ليس داخلياً في خلقه ولا بائناً عنهم، ولا هو فوقهم ولا تحتهم ولا خلفهم ولا أمامهم ولا عن أيانهم ولا عن شمائلهم، وتجاوز بأخرين حتى قالوا: هو في كل مكان بذاته، كالهواء الذي هو داخل في كل مكان.

وقصّر بقوم حتى قالوا: لم يتكلم الرب سبحانه بكلمة واحدة البتة، وتجاوز بأخرين حتى قالوا: لم يزل أزلاً وأبداً قائلاً: ﴿ قَالَ يَا بَنِي آدَمَ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي ﴾ [ص: 75] ويقول لموسى ﴿ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ ﴾ [النازعات: 17] فلا يزال هذا الخطاب قائماً به ومسموعاً منه، كقيام صفة الحياة به.

وقصّر بقوم حتى قالوا: إن الله سبحانه لا يشفع أحداً في أحد البتة، ولا يرحم أحداً بشفاعة أحد، ويتجاوز بأخرين حتى زعموا أن المخلوق يشفع عنده بغير أذنه؛ كما يشفع ذو الجاه عند الملوك ونحوهم.

وقصّر بقوم حتى قالوا: إيمان أفسق الناس وأظلمهم كإيمان جبريل وميكائيل، فضلاً عن أبي بكر وعمر، وتجاوز بأخرين حتى أخرجوا من الإسلام بالكبيرة الواحدة. وقصّر بقوم حتى نفوا حقائق أسماء الرب تعالى وصفاته وعطلوه منها، وتجاوز بأخرين حتى شبهوه بخلقهم ومثلوه بهم.

وقصّر بقوم حتى عادوا أهل بيت رسول الله ﷺ، وقاتلوهم، وأستحلوا حرمتهم، وتجاوز بقوم حتى ادعوا فيهم خصائص النبوة: من العصمة وغيرها وربما ادعوا فيهم الألوية. وكذلك قصّر باليهود في المسيح حتى كذبوه ورموه وأمه بما برأهما الله تعالى منه، وتجاوز بالنصارى حتى جعلوه ابن الله، وجعلوه إلهاً يعبد مع الله.

وقصّر بقوم حتى تعبدوا بالنجاسات، وهم النصارى وأشباههم، وتجاوز بقوم حتى أفضى بهم الوسواس إلى الأصار والأغلال، وهم أشباه اليهود.

وقصّر بقوم حتى تزيّنوا للناس وأظهروا لهم من الأعمال والعبادات ما يحمدونهم عليه، وتجاوز بقوم حتى أظهروا لهم من القبائح ومن الأعمال السيئة ما يسقطون به جاههم عندهم، وسموا أنفسهم الملامتية؟

وَقَصَّرَ بِقَوْمٍ حَتَّى أَهْمَلُوا أَعْمَالَ الْقُلُوبِ وَلَمْ يَلْفِتُوا إِلَيْهَا وَعَدَوْهَا فَضْلاً، أَوْ فَضُولاً، وَتَجَاوَزَ بِآخِرِينَ حَتَّى قَصَّرُوا نَظَرَهُمْ وَعَمَلَهُمْ عَلَيْهَا، وَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَى كَثِيرٍ مِنْ أَعْمَالِ الْجَوَارِحِ، وَقَالُوا: الْعَارِفُ لَا يَسْقُطُ وَارِدَهُ لَوْرَدِهِ.

❖ وَقَالَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:-

"وَمِنْ حِيلَةٍ وَمَكَايِدَةٍ: الْكَلَامُ الْبَاطِلُ، وَالْأَرَاءُ الْمْتَهَفَتَةُ، وَالْخَيَالَاتُ الْمْتَنَاقِضَةُ، الَّتِي هِيَ زِبَالَةُ الْأَذْهَانِ، وَنَحَاتَةُ الْأَفْكَارِ، وَالزَّبْدُ الَّذِي يَقْدَفُ بِهِ الْقُلُوبُ وَالْمُظْلَمَةُ الْمْتَحِيرَةُ، الَّتِي تَعْدِلُ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ، وَالْخَطَرَ بِالصَّوَابِ، قَدْ تَقَاذَفَتْ بِهَا أَمْوَاجُ الشَّبَهَاتِ، وَرَانَتْ عَلَيْهَا غَيُومُ الْخَيَالَاتِ، فَمَرَكَبُهَا الْقَيْلُ وَالْقَالُ، وَالشُّكُّ وَالشُّكَيْكُ، وَكَثْرَةُ الْجِدَالِ، لَيْسَ لَهَا حَاصِلٌ مِنَ الْبَاقِينَ يَعْوَلُ عَلَيْهِ، وَلَا مَعْتَقِدٌ مُطَابِقٌ لِلْحَقِّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ، ﴿يُوجِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُوراً﴾ [الأنعام: 112]، فَقَدْ أَخَذُوا لِأَجْلِ ذَلِكَ الْقُرْآنَ مَهْجُوراً، وَقَالُوا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا مَنْكَراً مِنَ الْقَوْلِ وَزوراً فَهَمُّ فِي شَكِّهِمْ يَعْهَمُونَ، وَفِي حَيْرَتِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ، نَبَذُوا كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ، ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾ [البقرة: 102] عَلَى أَلْسِنَةِ أَسْلَافِهِمْ مِنْ أَهْلِ الضَّلَالِ فَهَمُّ إِلَيْهِ يَحَاكِمُونَ، وَبِهِ يَتَخَاصِمُونَ، فَارْقُوا الدَّلِيلَ وَاتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ ﴿قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: 77]"

❖ وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:-

"وَمِنْ كَيْدِهِ بِهِمْ وَتَحْيَلِهِ عَلَى إِخْرَاجِهِمْ مِنَ الْعِلْمِ وَالِدِينِ: أَنْ أَلْقَى عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ أَنْ كَلَامَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ظَوَاهِرٌ لَفْظِيَّةٌ لَا تَفِيدُ الْبَاقِينَ، وَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ الْقَوَاعِ الْعَقْلِيَّةُ وَالْبَرَاهِينُ الْيَقِينِيَّةُ فِي الْمَنَاهِجِ الْفَلْسَفِيَّةِ، وَالطَّرِيقِ الْكَلَامِيَّةِ، فَحَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اقْتِبَاسِ الْهُدَى وَالْيَقِينِ مِنْ مَشَاكَاةِ الْقُرْآنِ، وَأَحَالَهُمْ عَلَى مَنْطِقِ يُونَانَ، وَعَلَى مَا عِنْدَهُمْ مِنَ الدَّعَاوِي الْكَاذِبَةِ الْعَرَبِيَّةِ عَنِ الْبَرَهَانَ، وَقَالَ لَهُمْ: تِلْكَ عِلُومٌ قَدِيمَةٌ صَقَلَتْهَا الْعُقُولُ وَالْأَذْهَانُ وَمَرَّتْ عَلَيْهَا الْقُرُونُ وَالْأَزْمَانُ، فَانظُرْ كَيْفَ تَلَطَّفَ بِكَيْدِهِ وَمَكْرِهِ حَتَّى أَخْرَجَهُمْ مِنَ الْإِيمَانِ، كإِخْرَاجِ الشَّعْرَةِ مِنَ الْعَجِينِ"

* وقال - رحمه الله تعالى:-

ومن كيده: " ما ألقاه إلى جهال المتصوفة من الشطح والطامات، وأبرزه لهم في قالب الكشف من الخيالات، فأوقعهم في أنواع الأباطيل والترهات، وفتح لهم أبواب الدعاوي الهائلات، وأوحى إليهم: أن وراء العلم طريقاً إن سلكوه أفضى بهم إلى كشف العيان وأغناهم عن التقيد بالسنة والقرآن، فحسّن لهم رياضة النفوس وتمهيدها، وتصفية الأخلاق والتجافي عما عليه أهل الدنيا، وأهل الرياسة والفقهاء، وأرباب العلوم، والعمل على تفرغ القلب وخلوه من كل شيء، حتى ينتقش فيه الحق بلا وساطة تعلم، فلما خلا من صورة العلم الذي جاء به الرسول نقش فيه الشيطان بحسب ما هو مستعد له من أنواع الباطل، وخيلة للنفس.

حتى جعله كالمشاهد كشفاً وعياناً، فإذا أنكره عليهم ورثة الرسل قالوا: لكم العلم الظاهر، ولنا الكشف الباطن، ولكم ظاهر الشريعة، وعندنا باطن الحقيقة، ولكم القشور ولنا اللباب، فلما تمكن هذا من قلوبهم سلخها من الكتاب والسنة والآثار كما ينسلخ الليل من النهار، ثم أحالها في سلوكهم على تلك الخيالات، وأوهمهم أنها من الآيات البينات، وأنها من قبل الله سبحانه إلهامات وتعريفات، فلا تعرض على السنة والقرآن، ولا تعامل إلا بالقبول والإذعان. فلغير الله لا له سبحانه ما يفتحه على الشيطان من الخيالات والشطحات، وأنواع الهديان، وكلما ازدادوا بعداً وإعراضاً عن القرآن وما جاء به الرسول كان هذا الفتح على قلوبهم أعظم"

* وقال - رحمه الله تعالى:-

ومن أنواع مكائده ومكره .. " أن يدعو العبد بحسن خلقه وطلاقته وبشره إلى أنواع من الآثام والفجور، فيلقاه من لا يخلصه شره إلا تجهمه والتعبس في وجهه والإعراض عنه، فيحسن له العدو أن يلقاه ببشره، وطلاقة وجهه، وحسن كلامه، فيتعلق به، فيروم التخلص منه فيعجز، فلا يزال العدو يسعى بينهما حتى يصيب حاجته، فيدخل على العبد بكيدة من باب حسن الخلق، وطلاقة الوجه، ومن هاهنا وصى أطباء القلوب بالإعراض عن أهل البدع وأن لا يسلم عليهم ولا يريهم وجهه، ولا يلقاهم إلا بالعبوس والإعراض."

وكذلك أوصوا عند لقاء من يخاف الفتنة بقائه من النساء والمردان، وقالوا: متى كشفت للمرأة أو الصبي بياض أسنانك كشفا لك عما هنالك، ومتى لقيتها بوجه عابس وقيت شرهما.

ومن مكايده: أنه يأمرك أن تلقى المساكين وذوي الحاجات بوجه عبوس ولا تريمهم بشراً ولا طلاقاً، فيطمعوا فيك، ويتجرءوا عليك، وتسقط هيبتك من قلوبهم، فيحرمك صالح أديعتهم، وميل قلوبهم إليك، ومحبتهم لك فيأمرك بسوء الخلق، ومنع البشر والطلاق مع هؤلاء، وبحسن الخلق والبشر مع أولئك، ليفتح لك باب الشر، ويغلق عنك باب الخير.

***وقال رحمه الله تعالى:-**

ومن مكايده أنه يأمرك بإعزاز نفسك وصونها حيث يكون رضا الرب تعالى في إذلالها وابتذالها، كجهاد الكفار والمنافقين، وأمر الفجار والظلمة بالمعروف ونهيهم عن المنكر فيخيل إليك أن ذلك تعريض لنفسك إلى مواطن الذل، وتسليط الأعداء وطعنهم فيك، فيزول جاهك فلا يقبل منك بعد ذلك ولا يسمع منك.

***وقال: رحمه الله تعالى:-**

ومن كيده وخداعه: "أنه يأمر الرجل بانقطاعه في مسجد، أو رباط، أو زاوية، أو تربة، ويجسه هناك، وينهاه عن الخروج، ويقول له: متى خرجت تبذلت للناس، وسقطت من أعينهم، وذهبت هيبتك من قلوبهم، وربما ترى في طريقك منكراً، وللعُدو في ذلك مقاصد خفية يريدونها منه: منها الكبر، واحتقار الناس، حفظ الناموس، وقيام الرياسة، ومخالطة الناس تذهب ذلك، وهو يريد أن يزار ولا يزور، ويقصده الناس ولا يقصدهم، ويفرح بمجي الأمراء إليه واجتماع الناس عنده، وتقبييل يده، فيترك الواجبات والمستحبات والقربات ما يقربه إلى الله، ويتعوض عنه بما يقرب الناس إليه"

***وقال- رحمه الله تعالى:-**

ومن كيده: "أنه يغري الناس بتقبيل يده، والتمسح به، والثناء عليه، وسؤاله الدعاء، ونحو ذلك حتى يرى نفسه، ويعجبه شأنها، فلو قيل له: إنك من أوتاد الأرض، وبك يدفع البلاء عن الخلق، ظن ذلك حقاً، وربما قيل له: إنه يتوسل به إلى الله

تعالى ويسأل الله تعالى به وبحرمته فيقضي حاجتهم، فيقع ذلك في قلبه، ويفرح به، ويظنه حقاً، وذلك كل الهلاك، فإذا رأى من أحد من الناس تجافياً عنه، أو قلة خضوع له، تدمر لذلك ووجد في باطنه، وهذا شر من أرباب الكبائر المصرين عليها، وهم أقرب إلى السلامة منه " .

* وقال - رحمه الله :-

ومن كيده: " أنه يحسن إلى أرباب التخلي والزهد والرياضة العمل بها حسهم وواقعهم، دون تحكيم أمر الشارع، ويقولون: القلب إذا كان محفوظاً مع الله كانت هواجسه وخواتره معصومة من الخطأ، وهذا من أبلغ كيد العدو فيهم .

فإن الخواطر والهواجس ثلاثة أنواع: رحمانية، وشيطانية، ونفسانية، كالرؤيا، فلو بلغ العبد من الزهد والعبادة ما بلغ فمعه شيطانه ونفسه لا يفارقانه إلى الموت، والشيطان يجري منه مجرى الدم، والعصمة إنما هي للرسول صلوات الله وسلامه عليهم الذين هم وسائط بين الله عز وجل وبين خلقه، وفي تبليغ أمره ونهيه ووعدته ووعدته ومن عداهم يصيب ويخطئ، وليس بحجة على الخلق "

* وقال رحمه الله:-

ومن كيده: " أمرهم بلزوم زي واحد، ولبسه واحدة، وهيئة ومشية معينة وشيخ معين، وطريقة مخترة، ويفرض عليهم لزوم ذلك بحيث لزمونه كلزوم الفرائض، فلا يخرجون عنه ويقدمون فيمن خرج عنه ويزمونه، وربما يلزم أحدهم موضعاً معيناً للصلاة لا يصلي إلا فيه، وقد نهى رسول الله ﷺ: " أن يوطن الرجل المكان للصلاة كما يوطن البعير " (1) وكذلك ترى أحدهم لا يصلي إلى على سجادة، ولم يصلي ﷺ على سجادة قط، ولا كانت السجادة تفرش بين يديه، بل كان يصلي على الأرض، وربما سجد في الطين، وكان يصلي على الحصير، فيصل على ما اتفق بسطه، فإن لم يكن ثمت شيء صلى على الأرض "

(1) أخرجه أحمد وأبو داود (135) وابن خزيمة (174) وهو حسن، وقد خرجته مطولاً في عمل اليوم لابن السني .

* وقال رحمه الله:-

ومن كيدته الذي بلغ الجهال ما بلغ: "الوسواس الذي كادهم به في أمر الطهارة والطلاة عند عقد النية، حتى ألقاهم في الآصار والأغلال، وأخرجهم عن أتباع سنة رسول الله ﷺ، وخبّل إلى أحدهم أن ما جاءت به السنة لا يكفي حتى يضم إليه غيره، فجمع لهم بين هذا الظن الفاسد، والتعب الحاضر، وبطلان الأجر أو تنقيصه. ولا ريب أن الشيطان هو الداعي إلى الوسواس؛ فأهله قد أطاعوا الشيطان، ولبوا دعوته، واتبعوا أمره، ورجبوا عن اتباع سنة رسول الله ﷺ وطريقته، حتى إن أحدهم ليرى أنه إذا توضأ وضوء رسول الله ﷺ، أو اغتسل كاغتساله ولم يطهر ولم يرتفع حدثه، ولولا العذر بالجهل كان هذا مشاققة للرسول، فقد كان رسول الله ﷺ يتوضأ بالمد، وهو قريب من ثلث رطل بالدمشقي، ويغتسل بالصاع وهو نحو رطل وثلث، والموسوس يرى أن ذلك القدر لا يكفي لغسل يديه، وصح عنه ﷺ أنه توضأ مرة مرة، ولم يزد على ثلاث، بل أخبر أن: "من زاد عليها فقد أساء وتعدى وظلم" (1) فالموسوس مسيء متعد ظالم بشهادة رسول الله ﷺ، فكيف يتقرب إلى الله بما هو مسيء به متعد فيه لحدوده".

* وقال - رحمه الله تعالى:-

"ومن أعظم مكائده: ما نصبه للناس من الأنصاب والأزلام التي هي من عمله، وقد أمر الله تعالى باجتنب ذلك، وعلق الفالح باجتنبه فقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة:90]

ثم قال: رحمه الله تعالى:-

وأعظم الفتننة بهذه الأنصاب: فتنة أنصاب القبو، وهي أصل فتنة عبادة الأصنام، كما قاله السلف من الصحابة والتابعين، وقد تقدم.

ومن أعظم كيد الشيطان: أنه ينصب لأهل الشرك قبر معظم يعظمه الناس، ثم يجعله وثناً يعبد من دون الله، ثم يوحى إلى أوليائه: أن من نهى عن عبادته، واتخاذها

(1) سبق تخريجه

عيداً، وجعله وثناً فقد تَقَّصه، وهضم حقه، فيسعى الجاهلون المشركون في قتله وعقوبته ويكفرنه، وذنبه عند أهل الإشراف: أمره بما أمر الله به رسوله، ونهيه عما نهى الله عنه ورسوله: من جعله وثناً وعيداً، وإيقاد السرج عليه، وبناء المساجد والقباب عليه وتخصيصه، وإشادته وتقبيله، واستلامه، ودعائه، أو الدعاء به، أو السفر إليه، أو الاستغاثة به من دون الله، مما قد علم بالأضرار من دين الإسلام أنه مصاد لما بعث الله به رسوله: من تجريد التوحيد لله وأن لا يعبد إلا الله، فإذا نهى الموحد عن ذلك غضب المشركون، واشمأزت قلوبهم، وقالوا: قد تنقص أهل الرتب العالية، وزعم أنهم لا حرمة لهم، ولا قدر، وسرى ذلك في نفوس الجهال والطغام، وكثير ممن ينسب إلى العلم والدين، حتى عادوا أهل التوحيد، ورموهم بالعظائم ونفروا الناس عنهم، ووالوا أهل الشرك وعظموهم، وزعموا أنهم هو أولياء الله وأنصار دينه ورسوله، ويأبى الله ذلك، فما كانوا أولياءه، إن أوليائه إلا المتبعون له الموافقون له، العارفون بما جاء به، الداعون إليه، لا المتشبعون بما لم يعطوا، لا بسو ثياب الزور، الذين يصدون الناس عن سنة نبيهم، ييغونها عوجاً، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

وقال رحمه الله تعالى:-

"ومن مكاييد عدو الله ومصايد، التي كاد بها من قل نصيبه من العلم والعقل والدين، وصد بها قلوب الجاهلين والمبطلين: سماع المكاء، والتصدية، والغناء بالآلات المحرمة، الذي يصد القلوب عن القرآن، ويجعلها عاكفة على الفسوق والعصيان، فهو قرآن الشيطان، والحجاب الكثيف عن الرحمن، وهو رقيم اللواط والزنا، وبه ينال العاشق الفاسق من معشوقه غاية المنى، كاد به الشيطان النفوس المبطله، وحسنه لها مكاراً منه وغروراً، وأوحي إليها الشبه الباطلة على حسنه فقبلت وحيه واتخذت لأجله القرآن مهجوراً، فلو رأيت عند ذلك السماع وقد خشعت منهم الأصوات، وهدأت منهم الحركات، وعكفت قلوبهم بكليتها عليه، وأنصبت أنصبابة واحدة إليه، فتميلوا له ولا كتميل النشوان، وتكسروا في حركاتهم. وأرأيت تكسر المخانيث والنشوان؟ ويحق لهم ذلك، وقد خالط خمارة النفوس، ففعل فيها أعظم ما يفعله حميا الكئوس، فلغير الله، عمل للشيطان، قلوب هناك تمرق، وأثواب تشقق، وأموا في غير طاعة الله تنفق

حتى إذا عمل السكر فيهم عمله، وبلغ الشيطان منهم أمنيته وأمله، واستفزهم بصوته وحيله، وأجلب عليهم برجله وخيله، وَخَرَّ فِي صَدُورِهِمْ وَخَزًّا، وَأَزَّهَمَ إِلَى ضَرْبِ الْأَرْضِ بِالْأَقْدَامِ أَزًّا، فطوراً يجعلهم كالحمير حول المدار، وتارة كالذباب ترقص وسط الديار، فيا رحمة للسقوف والأرض من ذلك تلك الأقدام، ويا سوأتا من أشباه الحمير والأنعام، ويا شماتة أعداء الإسلام، بالذين يزعمون أنهم خواص الإسلام، قضوا حياتهم لذة وطرباً، واتخذوا دينهم لهواً ولعباً، مزامير الشيطان أحب إليهم من استماع سور القرآن، لو سمع أحدهم القرآن من أوله إلى آخره لما حرك ساكناً، ولا أزعج له قاطناً، ولا أثار فيه وجداً، ولا قدح فيه من لواعج الشوق إلى الله زنداً، حتى إذا تلى عليه قرآن الشيطان، وولج مزوره سمعه، تفجرت ينباع الوجد من قلبه على عينيه فجرت، وعلى أقدامه فرقصت، وعلى يديه فصفقت، وعلى سائر أعضائه فاهتزت وطربت، وعلى أنفاسه فتصاعدت، وعلى زفراته فتزايدت، وعلى نيران أشواقه فاشتعلت، فيأبها الفاتن المفتون، والبائع حظه من الله بنصيبه من الشيطان صفقة خاسر مغبون، هلا كانت هذه الأشجان، عند سماع القرآن؟

وهذه الأذواق والمواجيد عند قراءة القرآن المجيد؟

وهذه الأحوال السنيات، عند تلاوة السور والآيات؟

ولكن كل امرئ يصبو إلى ما يناسبه، ويميل إلى ما يشاكله، والجنسية على الضم قدراً

وشرعاً، والمشكلة سبب الميل عقلاً وطبعاً، فمن أين هذا الإخاء والنسب؟

لولا التعلق من الشيطان بأقوى سبب، ومن أين هذه المصالحة التي أوقعت في عقد

الإيمان وعهد الرحمن خللاً؟ ﴿أَفَنَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ

يَسَّ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: 50]

وقد أحسن القائل:

لكنه إطراق ساه لاهي	تلى الكتاب، فأطرقوا، لا خيفة
والله ما رقصوا لأجل الله	وأتى الغناء، فكالحمير تناهقوا
فمتى رأيت عباده بملاهي؟	دف ومزمار، ونغمة شاذن
تقييده بأوامر ونواهي	ثقل الكتاب عليه لما رأوا

زجراً وتخويفاً بفعل مناهي
 عن شهواتها، يا ذبحها المتناهي
 فلأجل ذلك غدا عظيم الجاه
 أسبابه، عند الجهول الساهي؟
 خمر العقول مماثل ومضاهي
 وأنظر إلى النسوان عند ملاهي
 من بعد تمزيق الفؤاد اللاهي
 والتأثير من عند الله؟

بهم مرض من سماع الغنا
 شفا جرف ما به من بنا
 إلى درك، كم به من عنا؟
 لنعذر فيم إلى ربنا
 رجعنا إلى الله في أمرنا
 وماتوا على تبتنا تبتنا

سمعوا له رعداً وبرقا، إذ حوى
 ورأوه أعظم قاطع للنفس
 وأتى السماع موافقاً أغراضها
 أين المساعد للهوى من قاطع
 إن لم يكن خمر الجسوم، فإنه
 فانظر إلى النسوان عند شرابه
 وانظر إلى تمزيق ذا أثوابه
 واحكم أي الخمرتين أحق بالتحريم
 وقال آخر:

برئنا إلى الله من معشر
 وكم قلت: يا قوم، أنتم على
 شفا جرف تحته هوة
 وتكرار ذا النصح مناهم
 فلما استهانوا بتنبئنا
 فعشنا على سنة المصطفى

ولم يزل أنصار الإسلام وأئمة الهدى، تصيح بهؤلاء من أقطار الأرض، وتحذر من سلوك سبيلهم، واقتفاء آثارهم، من جميع طوائف الملة.

* وقال - رحمه الله تعالى:-

ومن مكايده التي بلغ فيها مراده: "مكيدة التحليل، الذي لعن رسول الله ﷺ فاعله، يشبهه بالتيس المستعار، وعظم بسببه العار والشنار، وغير المسلمين به الكفار، وحصل بسببه من الفساد ما لا يحصيه إلا رب العباد، واستكرت له التروس المستعارات، وضاعت به ذرعا النفوس الأبيات، ونفرت منه أشد من نفارها من السفاح وقالت: لو كان هذا نكاحاً صحيحاً لم يلعن رسول الله ﷺ من أتى بما شرعه من النكاح، فالنكاح سنته، وفاعل السنة مقرب غير ملعون، والمحلل مع وقوع اللعنة عليه بالتيس المستعار مقرون، فقد سماه الرسول ﷺ بالتيس المستعار، وسماه السلف بمسهار النار، فلو

شاهدت الحرائر المصونات، على حوانيت المحللين متبدلات، تنظر المرأة إلى التيس نظر الشاة إلى شفرة الجازر، وتقول: يا ليتني قبل هذا كنت من أهل المقابر، حتى إذا تشارطا على ما يجلب اللعنة والمقت، نهض واستتبعا خلفه للوقت، بلا زفاف ولا إعلان، بل بالتخفي والكتمان، فلا جهاز ينقل، ولا فراش إلى بين الزوج يحول، ولا صواحب يهدينها إليه، ولا مصلحات يجلينها عليه، ولا مهر مقبوض ولا مؤخر ولا نفقة ولا كسوة تقدر، ولا وليمة ولا نثار، ولا دف ولا إعلان ولا شعار والزوج يبذل المهر وهذا التيس يطأ بالأجر، حتى إذا خلاها وأرعى الحجاب، والمطلق والولي واقفان على الباب. دنا يطهرها بمائه النجس الحرام، ويطيبها بلعنة الله ورسوله عليه الصلاة والسلام، حتى إذا قضيا عرس التحليل، ولم يحصل بينهما المودة والرحمة التي ذكرها الله تعالى في التنزيل، فإنها لا تحصل باللعن الصريح، ولا يوجبها إلا النكاح الجائز الصحيح، فإن كان قد قبض أجره ضرابه سلفاً وتعجيلاً، وإلا حبسها حتى تعطيه أجره طويلاً، فهل سمعتم زوجاً لا يأخذ بالساق حتى يأخذ أجرته بعد الشرط والاتفاق؟

حتى إذا طهرها وطيبها، وخلصها بزعمه من الحرم وجنبها، قال لها: اعترفي بما جرى بيننا ليقع عليك الطلاق، فيحصل بعد ذلك بينكما الالتئام والاتفاق، فتأتي المضخمة إلى حضرة الشهود، فيسألونها: هل كان ذاك، فلا يمكنها الجحود، فيأخذون منها أو من المطلق أجراً، وقد أرهقوهما من أمرهما عسراً، هذا وكثير من هؤلاء المستأجرين للضراب يحلل الأم وابتتها في عقدين، ويجمع مائة في أكثر من أربع وفي رحم أختين، وإذا كان هذا من شأنه وصفته، فهو حقيقة بما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المحلل والمحلل له" ⁽¹⁾ رواه الحاكم في الصحيح والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، قال: والعمل عليه عند أهل العلم منهم عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعبد الله بن عمر رضي الله عنه وهو قول الفقهاء من التابعين.

ورواه الإمام أحمد في مسنده، والنسائي في سننه بإسناد صحيح، ولفظهما: "لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الواشمة والمؤتثمة، والواصلة والموصولة، والمحلل والمحلل له، وأكل الربا وموكله" ⁽²⁾.

(1) أخرجه أحمد (2/323) وأبو داود (2076) والترمذي (1119) وابن ماجه (1934) وهو صحيح.

(2) أخرجه أحمد (1/434) والنسائي (8/147) وهو صحيح.

وفي مسند الإمام أحمد ، وسنن النسائي أيضاً؛ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "أكل الربا وموكله وشاهده وكتابه، إذا علموا به، والواصلة والمستوصلة، ولاوي الصدقة والمعتدي فيها، والمرتد على عقبه أعرابيا بعد هجرته، والمحلل والمحلل له: ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة" (1).

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم: "أنه لعن المحلل والمحلل له". رواه الإمام أحمد وأهل السنن، كلهم غير النسائي (2).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لعن الله المحلل والمحلل له" (3) رواه الإمام أحمد بإسناد رجاله كلهم ثقات، وثقهم ابن معين وغيره. وقال الترمذي في كتاب العلل: سألت أبا عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري عن هذا الحديث؟ فقال: هو حديث حسن، وعبد الله بن جعفر المخزومي صدوق ثقة، وعثمان بن محمد الأحنسي ثقة.

وقال أبو عبد الله بن ماجه في سننه: حدثنا محمد بن بشر حدثنا أبو عامر عن زمعة بن صالح وعن سلمة بن وهران عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال: "لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المحلل والمحلل له" (4).

وعن ابن عباس أيضاً، قال: "سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المحلل؟ فقال: لا إنكاح رغبة، لا نكاح دلسة ولا استهزاء بكتاب الله، ثم تذوق العسيلة" رواه أبو إسحاق الجوزجاني في كتاب المترجم قال: أخبرنا إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة عن داود بن حصين عن عكرمة عنه، وهؤلاء كلهم ثقات، إلا إبراهيم، فإن كثيراً من الحفاظ بضعفه والشافعي حسن الرأي فيه، ويحتج بحديثه (5).

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألا أخبركم بالتيس المستعار؟ قالوا: بلى، يا رسول الله، قال: هو المحلل، لعن الله المحلل والمحلل له" رواه ابن ماجه

(1) أخرجه أحمد والنسائي (147/8) وصححه الألباني.

(2) صحيح - وله طرق خرجتها في "الدرر"

(3) صحيح، وخرجته في "الدرر"

(4) صحيح، ومخرج في "الدرر"

(5) وأخرجه الطبراني في "الكبير" (11567) وإسناده ضعيف.

بإسناد رجاله كلهم موثقون، لم يجرح واحد منهم⁽¹⁾.
وعن عمرو بن دينار - وهو من أعيان التابعين - "أنه سئل عن رجل طلق امرأته،
فجاء رجل من أهل القرية، بغير علمه ولا علمها، فأخرج شيئاً من ماله، فتزوجها
ليحلها له، فقال: لا، ثم ذكر أن النبي ﷺ سئل عن مثل ذلك فقال: لا، حتى ينكح
مرتغياً لنفسه، فإذا فعل ذلك لم يحل له حتى يذوق العسيلة" ورواه أبو بكر بن أبي شيبة
في المصنف بإسناد جيد⁽²⁾.

وهذا المرسل قد احتج به من أرسله، فدل على ثبوته عنده، وقد عمل به أصحاب
رسول الله ﷺ، كما سيأتي، وهو موافق لبقية الأحاديث الموصولة، ومثل هذا حجة
بإتقان"

وقال رحمه الله تعالى:-

ومن مكيدة التي كاد بها الإسلام وأهله: الحيل، والمكر، والخداع الذي يتضمن
تحليل ما حرم الله، وإسقاط ما فرضه، ومضادته في أمره ونهيه، وهي من الرأي الباطل
الذي أتفق السلف على ذمه.

فإن الرأي رأيان؛ رأي يوافق النصوص، وتشهد له بالصحة والاعتبار، وهو الذي
اعتبره السلف، وعملوا به.

ورأي يخالف النصوص، وتشهد له بالإبطال والإهدار، فهو الذي ذموه وأنكروه.
وكذلك الحيل نوعان: نوع يتوصل به على فعل ما أمر الله تعالى به، وترك ما نهى
عنه، والتخلص من الحرام، وتخليص الحق من الظالم المانع له، وتخليص المظلوم من يد
الظالم الباغي، فهذا النوع محمود يثاب فاعله ومعلمه.

ونوع يتضمن إسقاط الواجبات، وتحليل المحرمات، وقلب المظلوم ظالماً، والظالم
مظلوماً، والحق باطلاً، والباطل حقاً، فهذا النوع الذي أتفق السلف على ذمه، وصاحوا
بأهله من أقطار الأرض"

(1) أخبر به ابن ماجه (1936) والحاكم (2/198) وحسنه الألباني.

(2) وهو مع هذا مرسل..

وقال - رحمه الله تعالى: -

"ومن أعظم مكايده التي كاد بها أكثر الناس، وما نجا منها إلا من لم يرد الله تعالى فتنته: ما أوحاه قديماً وحديثاً إلى حزبه أوليائه من الفتنة بالقبور، حتى آل الأمر فيها إلى أن عبد أربابها من دون الله، وعبدت قبوهم، واتخذت أوثاناً، وبنيت عليها الهياكل، وصور صور أربابها فيها، ثم جعلت تلك الصور أجساداً لها ظل، ثم جعلت أصناماً، وعُبدت مع الله تعالى"

وقال - رحمه الله تعالى: -

"ومن مكايده ومصايدة: ما فتن به عشاق الصور.

وتلك لعمر الله الفتنة الكبرى، والبلية العظمى، التي استعبدت النفوس لغير خلاقها وملكت القلوب لم يسومها الهوان من عشاقها، وألقت الحرب بين العشق والتوحيد، ودعت إلى موالاته كل شيطان مرید، فصيرت القلب للهوى أسيراً، وجعلته عليه حاكماً وأميراً، فأوسعت القلوب محنة، وملأتها فتنة، وحالت بينها وبين رشدها، وصرفتها عن طريق قصدها، ونادت عليها في سوق الرقيق فباعتها بأبخص الأثمان، وأضاعتها بأخص الحظوظ وأدني المطالب عن العلي من غرف الجنان، فضلاً عما هو فوق ذلك من القرب من الرحمن، فسكنت إلى ذلك المحبوب الحسيس، الذي ألمها به أضعاف لذتها، ونيله والوصول إليه أكبر أسباب مضرتها، فما أوشكه حبيباً يستحيل عدواً عن قريب، ويتبرأ منه محب لو أمكنه حتى كأن لم يكن له حبيب، وإن تمتع به في هذا الدار فسوف يجد به أعظم الألم بعد حين، لا سيما إذا صار الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدواً إلا المتقين.

فيا حسرة المحب الذي باع نفسه لغير الحبيب الأول بثمان بخس، وشهوة عاجلة، ذهبت لذتها وبقيت تبعتها، وانقضت منفعتها، وبقيت مضرتها، فذهبت الشهوة، وبقيت الشقوة، وزالت النشوة، وبقيت الحسرة، فوارحمتها لصب جمع له بين الحسرتين، حسرة فوت المحبوب الأعلى والنعيم المقيم، وحسرة ما يقاسيه من النصب في العذاب الأليم. فهناك يعلم المخدوع أي بضاعة أضاع، وإن من كان مالك رقة وقبله لم يكن يصلح أن يكون له من جملة الخدم والأتباع، فأى مصيبة أعظم من مصيبة ملك أنزل

عن سرير ملكه، وجعل لمن لا يصلح أن يكون مملوكه أسيراً، وجعل تحت أوامره ونواهيته مقهوراً. فلو رأيت قلبه وهو في يد محبوبه لرأيتته:

كعصفورة في كف طفل يسومها
وحياض الري، والطفل يلهو ويلعب
ولو شاهدت حالته وعيشه لقلت:

وما في الأرض أشقى من محب
وإن وجد الهوى حلو المذاق
تراه باكيًا في كل حين
مخافة فرقة، أو لاشتياق
فبكي إن نأوا، شوقاً إليهم
وبيكى إن دنوا، حذر الفراق

ولو شاهدت نومه وراحته لعلمت أن المحبة والمانم تعاهدا وتحالفا أن ليس يلتقيان ولو شاهدت فيض مدامعة، ولهب النار في أحشائه لقلت:

سبحان رب العرش متقن صنعه
ومؤلف الاضداد دون تعاند
قطر تولد عن لهب في الحشا
ماء ونار في محل واحد!!

ولو شاهدت مسلك الحب في القلب وتغلغه فيه، لعلمت أن الحب أطف مسلكا فيه من الأرواح في أبدانها

فهل يليق بالعاقل أن يبيع هذا الملك المطاع لمن يسومه سوء العذاب، ويوقع بينه وبين وليه ومولاه الحق الذي لا غناء له عنه ولا يد له منه أعظم الحجاب؟ فالحب بمن أحبه قيل وهو له عبد خاضع ذليل، إن دعاه لباه، وإن قيل له: ما تتمنى؟ فهو غاية ما يتمناه، لا يأنس ولا يسكن إلى سواه، فحقيق به أن لا يملك رقة إلا لأجل حبيب، وأن لا يبيع نصيبه منه بأخس نصيب".

وقال رحمه الله تعالى:

"ومن أبلغ كيد الشيطان وسخريته بالمفتونين بالصور: إنه يمنى أحدهم أنه إنما يجب ذلك الأمر أو تلك المرأة الأجنبية لله تعالى، لا للفاحشة، ويأمره بمؤاخاته.

وهذا من جنس المخادنة، بل هو مخادنة باطنة، كذوات الأخدان اللاتي قال الله تعالى فيهن: ﴿مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسْفِحَاتٍ وَلَا مَتَّحِدَاتٍ أَخْدَانٍ﴾ [النساء: 25] وقال في حق الرجال: ﴿مُحْصَنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ وَلَا مَتَّحِدِينَ أَخْدَانٍ﴾ [المائدة: 5]. فيظهرون للناس أن مباحبتهم تلك الصورة لله تعالى، ويبطنون اتخاذها خدناً، يتلذذون بها فعلاً، أو تقبيلًا،

أو تمتعاً بمجرد النظر والمخادنة، والمعاشرة، واعتقادهم أن هذا لله، وأنه قربة وطاعة: هو من أعظم الضلال والغي، وتبديل الدين، حيث جعلوا ما كرهه الله سبحانه محبوباً له، وذلك من نوع الشرك، والمحبوب المتخذ من دون الله طاغوت، فإن اعتقاد كون المتمتع بالمحبة والنظر والمخادنة وبعض المباشرة لله، وأنه حب فيه: كفر وشرك، كاعتقاد محبي الأوثان في أوثانهم.

وقد يبلغ الجهل بكثير من هؤلاء إلى أن يعتقد أن التعاون على الفاحشة تعاون على الخير والبر، وأن الجالب محسن إلى العاشق، جدير بالثواب، وأنه ساع في دوائه وشفائه، وتفريج كرب العشق عنه، وأن "من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة" (1)

وقال - رحمه الله تعالى -:

في بيان كيد الشيطان لنفسه، قبل كيده للأبوين، ثم لم يقتصر على ذلك، حتى كاد ذرية نفسه، وذرية آدم، فكان مشئوماً على نفسه وعلى ذريته وأوليائه وأهل طاعته من الجن والإنس.

أما كيده لنفسه:

فإن الله سبحانه لما أمره بالسجود لآدم عليه السلام، كان في امتثال أمره وطاعته وسعادته وفلاحه، وعزة ونجاته، فسوّلت له نفسه الجاهلة الظالمة: أن في سجوده لآدم عليه السلام غضاضة عليه، وهضمًا لنفسه، إذ يخضع ويقع ساجداً لمن خلق من طين، وهو مخلوق من نار والنار - بزعمه - أشرف من الطين، فالمخلوق منها خير من المخلوق منه، وخضوع الأفضل لمن هو دونه غضاضة عليه وهضم لمنزلة، فلما قام بقلبه هذا الهوس، وقارنه الحسد لآدم، لما رأى ربه سبحانه قد خصّه به من أنواع الكرامة فإنه خلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته، وعلمه أسماء كل شيء، وميّزة بذلك عن الملائكة وأسكنه جنته، فعند ذلك بلغ الحسد من عدو الله كل مبلغ، وكان عدو الله يطيف به وهو صلصال كالفخار، فيتجعب منه، ويقول: لأمر عظيم قد خلق هذا، ولئن سلطت عليّ لأعصينه، ولئن سلطت عليه لأهلكه، فلما تم خلق آدم عليه السلام في أحسن

(1) أخرجه أحمد (2/ 252) ومسلم (2699) والترمذي (1425).

تقويم وأكمل صورة وأجلها، وكملت محسنة الباطنة، بالعلم والحلم والوقار، وتولى ربه سبحانه خلقه بيده، فجاء في أحسن خلق، وأتم صورة، طوله في السماء ستون ذراعاً، قد ألبس رداء الجمال والحسن، والمهابة، والبهاء فرأت الملائكة منظرًا لم يشاهدوا أحسن منه ولا أجمل، فوقعوا كلهم سجوداً له، بأمر ربهم تبارك وتعالى، فشق الحسود قميصه من دبر، واشتعلت في قلبه نيران الحسد المتبن، فعارض النص بالمعقول بزعمه، كفعل أوليائه من المبطلين، وقال: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: 12] فأعرض عن النص الصريح، وقابله بالرد الفاسد القبيح، ثم أردف ذلك بالإعتراض على العليم الحكيم، الذي لا تجد العقول إلى الاعتراض على حكمته سيلاً، فقال: ﴿أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأُحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلاً﴾ [الإسراء: 62]

وتحت هذا الكلام من الاعتراض معنى: أخبرني، لم كرمته عليّ؟ وفور هذا الاعتراض: أن الذي فعلته ليس بحكمة ولا صواب، وأن الحكمة كانت تقتضي أن يسجد هو لي، لأن المفضول يخضع للفاصل، فلم خالفت الحكمة؟.

ثم أردف ذلك بتفضيل نفسه عليه، وإزرائه به، فقال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ [ص: 76]. ثم قرر ذلك بحجته الداحضة في تفضيل مادته وأصله على مادة آدم عليه السلام وأصله فأنتجت له هذه المقدمات إباءه وامتناعه من السجود، ومعصيته الرب المعبود، فجمع بين الجهل والظلم، والكبر والحسد والمعصية، ومعارضة النص بالرأي والعقل، فأهان نفسه كل الإهانة من حيث أراد تعظيمها، ووضعها من حيث أراد رفعها، وأذها من حيث أراد عزتها، وآلمها كل الألم من حيث أراد لذتها، ففعل بنفسه ما لو اجتهد أعظم أعدائه في مضرتة لم يبلغ منه ذلك المبلغ، ومن كان هذا غشه لنفسه، فكيف يسمع منه العاقل ويقبل، ويواليه؟ قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: 50].

قال رحمه الله تعالى: -

وأما كيدة للأبوين:

فقد قص الله سبحانه علينا قصته معها وأنه لم يزل يخدعها، ويعدهما، ويمنيهما الخلود في الجنة، حتى حلف لهما بالله جهد يمينه: أنه ناصح لهما، حتى أطمأنا إلى قوله، وأجاباه إلى ما طلب منهما، فجرى عليهما من المحنة والخروج من الجنة ونزع لباسهما كيدة عليه، وتدارك الأبوين برحمته ومغفرته، فأعادهما إلى الجنة على أحسن الأحوال وأجملها، عاد عاقبة مكره عليه: ﴿يَحْيِي الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأِهْلِهِ﴾ [فاطر: 43]

وظن عدو الله بجهله أن الغلبة والظفر له في هذه الحرب، ولم يلم بكمين جيش: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: 23]. ﴿ثُمَّ أَجْنَبَهُ رَبُّهُ، فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ [طه: 122].

وظن اللعين بجهله أن الله سبحانه يتخلى عن صفة وحيية الذي خلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وعلمه أسماء كل شيء، من أجل أكلة أكلها. وما علم أن الطبيب قد علم المريض الدواء قبل المرض، فلما أحس بالمرض بادر إلى استعمال الدواء، لما رماه العدو بسهم وقع في غير مقتل، فبادر إلى ممدواة الجرح، فقام كأن لم يكن به قلبة - والقلية: الدواء العلة.

وبلى العدو بالذنب فأصر واحتج وعارض الأمر، وقدح في الحكمة، ولم يسأل الإقالة، ولا ندم على الزلة، وبلى الحبيب بالذنب فاعترف وتاب وندم، وتضرع واستكان وفزع إلى مفزع الخليقة، وهو التوحيد والاستغفار، فأزيل عنه العتب، وغفر له الذنب، وقبل منه المتاب، وفتح له من الرحمة والهداية كل باب، ونحن الأبناء، ومن أشبه أباه فما ظلم، ومن كانت شيمته التوبة والاستغفار فقد هدى لأحسن الشيم.

ثم قال - رحمه الله: -

ثم كاد أحد ولدي آدم، ولم يزل يتلاعب به، حتى قتل أخاه، وأسخط أباه، وعصى مولاة، فسن للذرية قتل النفوس، وقد ثبت في الصحيح عنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنه قال: " ما من نفس تقتل ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها، لأنه أول من سن القتل ". أخرجه البخاري (3335) ومسلم (1677) وقد سبق

فكاد العدو هذا القاتل بقطيعة رحمه، وعقوق والديه، وإسخاط ربه، ونقص عدده وظلم نفسه، وعرضة لأعظم العقاب، وحرمة حظه من جزيل الثواب".
وقال - رحمه الله تعالى: "ومن كيده وتلاعبه: ما تلاعب بعباد النار، حتى أتخذوها إلهًا معبوده"

وقال: ومن كيده وتلاعبه: "تلاعبه بطائفة أخرى تعبد الماء من دون الله وتسمى الحلبانية".

وتزعم أن الماء لما كان أصل كل شيء، وب كل ولادة ونمو ونشوء، وطهارة وعمارة وما من عمل في الدنيا إلا ويحتاج إلى الماء، فكان حقه أن يعبد"
وقال: ومن تلاعبه: "تلاعبه بعباد الحيوانات، وطائفة عبدت الخيل، وطائفة عبدت البقر، وطائفة عبدت البشر الأحياء والأموات، وطائفة تعبد الشجر، وطائفة تعبد الجن" كما سيأتي.

ومن تلاعبه بهم: "أن زين لقوم عبادة الملائكة، فعبدهم يزعمهم، ولم تكن عبادتهم في الحقيقة لهم، ولكن كانت للشياطين فعبدوا أقبح خلق الله، وأحقهم باللعن والذم"
وقال رحمه الله تعالى: -

ومن تلاعبه وكيده تلاعبه بالثنوية

وهم طائفة قالوا: الصانع اثنان، ففاعل الخير نور، وفاعل الشر ظلمة، وهما قديمان، لم يزاالا، ولن يزاالا قويين حساسين، مدركين، سميعين، بصيرين، وهما مختلفان في النفس والصورة، متضادان في الفعل والتدبير، فالنور فاضل حسن، نقي، طيب الريح، حسن المنظر، ونفسه خيرة، كريمة، حكيمة، نفاعية، منها الخيرات والمسرات، والصلاح، وليس فيها شيء من الضرر، ولا من الشر.

والظلمة على ضد ذلك: من الكدر، والنقص، وتتن الريح، وقبح المنظر، ونفسها نفس شريرة، بخيلة، سفيهة، منتنة، مضرّة منها الشر والفساد.

ثم اختلفوا، فقالت فرقة منهم: إن النور لم يزل فوق الظلمة.

وقالت فرقة: بل كل واحد منهما إلى جانب الآخر.

وقالت فرقة: النور لم يزل مرتفعاً في ناحية الشمال، والظلمة منحطة في الجنوب، ولم يزل كل واحد منهما مبايناً لصاحبه.

وزعموا أن لكل واحد منهما أربعة أبدان، وخامس هو الروح، فأبدان النور الأربعة: النار، والنور، والريح، والماء، وروحه: النسيم، ولم يزل يتحرك في هذا الأبدان.

وأبدان الظلمة الأربعة: الحريق، والظلمة، والسوم، والضباب، وروحها: الدخان وسموا أبدان النور ملائكة، وسموا أبدان الظلمة شياطين وعفاريت.

وبعضهم يقول: الظلمة تتولد شياطين، والنور يتولد ملائكة، والنور لا يقدر علي الشر ولا يجيء منه، والظلمة لا تقدر علي الخير، ولا يجيء منها.

ولهم مذاهب سحيقة جداً.

وفرض عليهم صوم سبع العمر، وأن لا يؤذي أحدهم ذا روح البتة. **ومن شريعتهم:** أن لا يدخروا إلا قوت يوم، وتجنب الكذب، والبخل، والسحر، وعبادة الأوثان، والزنا والسرقة.

واختلفوا: هل الظلمة قديمة أو حادثة؟

فقالت فرقة منهم: هي قديمة لم تزل مع النور.

وقالت فرقة: بل النور هو القديم، ولكنه فكر فكرة رديئة حديث منها الظلمة.

فدار مذهبهم علي أصلين من أبطل الباطل.

أحدهما: أن شر الموجودات وأخبثها، وأردأها: كفو لخير الموجودات، وضد له، ومناوئ له يعارضه، ويضاده، ويناقضه دائماً، ولا يستطيع دفعه.

وهذا أعظم من شرك عباد الأصنام، الذين عبدوها لتقربهم إلي الله تعالي، فإنهم جعلوها مملوكة له، مربوبة مخلوقة، **كما كانوا يقلون في تلبيتهم:**

لبيك اللهم لبيك

إلا شريك هو لك

لبيك لا شريك لك

تملكه وما ملك

والأصل الثاني: أنهم نزهوا النور أن يصدر منه شر، ثم جعلوه منبع الشر كله، وأصله ومولده وأثبتوا إلهين، وربين، وخالقين، فجمعوا بين الكفر بالله تعالي، وأسائه وصفاته ورسله، وأنبيائه، وملائكته، وشرائعه، وأشركوا به أعظم الشرك.

وحكي أرباب المقالات عنهم: أن قوماً منهم يقال لهم: الديصانية زعموا أن طينة العالم كانت طينة خشنة، وكانت تحاكي جسم النور - الذي هو الباري عندهم - " زماناً فتأذى بها "

في ذكر تلاعبه بالدهريّة :-

وهؤلاء قوم عطّلوا المصنوعات عن صانعها، وقالوا ما حكاه الله عنهم: ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ [الجاثية: 24].

وهؤلاء فرقتان، فرقة قالت: إن الخالق سبحانه لما خلق الأفلاك متحركة أعظم حركة دارت عليه فأحرقته، ولم يقدر على ضبطها وإمساك حركتها. وفرقة قالت: إن الأشياء ليس لها أول البتة، وإنما تخرج من القوة إلى الفعل، فإذا خرج ما كان بالقوة إلى الفعل، تكونت الأشياء: مركباتها، وبسائطها، من ذاتها، لا من شيء آخر وقالوا: إن العالم دائم لم يزل ولا يزال، لا يتغير، ولا يضمحل، ولا يجوز أن يكون المبدع فعل فعلا يبطل ويضمحل إلا وهو يبطل ويضمحل مع فعله، وهذا العالم هو الممسك لهذه الأجزاء التي هي فيه

وهؤلاء هم المعطلة حقاً، وهم فحول المعطلة، وقد سرى هذا التعطيل إلى سائر فرق المعطلة، على اختلاف آرائهم وتباينهم في التعطيل، كما سرى داء الشرك تأصيلاً وتفصيلاً في سائر فرق المشركين على اختلاف مذاهبهم فيه، وكما سرى جحد النبوات تأصيلاً وتفصيلاً في سائر من جحد النبوة أو صفة من صفاتها، أو أقرّها جملة وجحد مقصودها وزبدها أو بعضه.

فهذه الفرق الثلاثة سرى داؤها وبلاؤها في الناس، ولم ينبج منه إلا أتباع الرسل، العارفون بحقيقة ما جاء به، المتمسكون به دون ما سواه، ظاهراً وباطناً.

فداء التعطيل، وداء الإشراك، وداء مخالفة الرسول وجحد ما جاء به، أو شيء منه: هو أصل بلاء العالم، ومنبع كل شر وأساس كل باطل، فليست فرقة من فرق أهل الإلحاد والباطل والبدع إلا وقولها مشتق من هذا الأصول الثلاثة، أو من بعضها.

فإن تنج منها تنج من ذى عظمة وإلا فإني لا أظنك ناجياً

وقال رحمه الله تعالى عن أمة النصراني عبّاد الصليب:

والمقصود: أن دين الأمة الصليبية، بعد أن بعث الله عز وجل محمداً ﷺ، بل قبله بنحو ثلاثمائة سنة، مبنى على معاندة العقول والشرائع، وتنقص إله العالمين ورمية بالعظائم، فكل نصراني لا يأخذ بحظه من هذه البلبه فليس نصراني على الحقيقة. أفليس هو الدين الذي أسسه أصحاب المجامع المتلاعنين على أن الواحد ثلاثة والثلاثة واحد؟

فيا عجباً كيف رضى العاقل أن يكون هذا مبلغ عقله، ومنتهى علمه؟ أفترى لم يكن في هذه الأمة من يرجع إلى عقله وفطرته، ويعلم أن هذا عين المحال، وإن ضربوا له الأمثال، واستخرجوا له الأشباه، فلا يذكرون مثلاً ولا شبهة إلا وفيه بيان خطئهم وضلالهم.

كتشبيه بعضهم اتحاد اللاهوت بالناسوت، وامتزاجه باتحاد النار والحديد، وتمثيل غيرهم ذلك باختلاط الماء باللبن، وتشبيه آخرين ذلك بامتزاج الغذاء، واختلاطه بأعضاء البدن إلى غير من الأمثال والمقاييس التي تتضمن امتزاج حقيقتين واختلاطهما، حتى سارا حقيقة أخرى، تعالى الله عز وجل عن إفكهم وكذبهم.

ولم يقنعهم هذا القول في رب السموات والأرض، حتى اتفقوا بأسرهم على أن اليهود أخذوه وساقوه بينهم ذليلاً مقهوراً، وهو يحمل خشبته التي صلوبه عليها، واليهود يبصقون في وجهه، ويضربونه، ثم صلوبه وطعنوه بالحربة، حتى مات، وتركوه مصلوباً حتى التصق شعره بجلده، لما يبس دمه بحرارة الشمس، ثم دفن، وأقام تحت التراب ثلاثة أيام، ثم قام بلا هويته من قبره.

هذا قول جميعهم: ليس فيهم من ينكر منه شيئاً.

فياللعقول! كيف كان حال هذا العالم الأعلى والأسفل في هذه الأيام الثلاثة؟ ومن كان يدير أمر السموات والأرض؟ ومن الذي خلف الرب سبحانه وتعالى في هذه المدة؟ ومن الذي كان يمسك السماء أن تقع على الأرض، وهو مدفون في قبره؟. ويا عجباً! هل دفنت الكلمة معه، بعد أن قتلت وصلبت؟ أم فارقت وخذلته أحوج ما كان إلى نصرها له، كما خذله أبوه وقومه؟ فإن كانت قد فارقت وتجرد منها، فليس هو

حينئذ المسيح، وإنما هو كغيره من آحاد الناس، وكيف يصح مفارقتها له بعد أن أتحدث به، وما زجت لحمه ودمه؟ وأين ذهب الاتحاد والامتزاج؟ وإن كانت لم تفارقه وقتلت وصلبت، ودفنت معه، فكيف وصل المخلوق إلى قتل الإله، وصلبه ودفنه؟.

ويا عجباً! أي قبر يسع إله السموات والأرض؟ هذا وهو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر، سبحانه الله عما يشركون.

الحمد لله، ثم الحمد لله تعالى، الذي هدانا للإسلام وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله يا ذا الجلال والإكرام، كما هديتنا للإسلام أسالك أن لا تنزعه عنا، حتى تتوفانا على الإسلام.

نُرِيدُ جَوَابَهُ مِمَّنْ وَعَاةُ
أَمَاتُوهُ، فَمَا هَذَا الْإِلَهُ؟
فبشراهم إذا نالوا رضاهُ
فقوتهم إن أوهت قِوَاهُ
سَمِيعٌ يَسْتَجِيبُ لِمَنْ دَعَاةُ؟
تُؤَى تَحْتَ التَّرَابِ، وَقَدْ عَلَاهُ؟
يُدْبِرُهَا، وَقَدْ سَمَرَتْ يَدَاهُ؟
بَنَصْرِهِمْ، وَقَدْ سَمِعُوا بَكَاهُ؟
الْإِلَهُ الْحَقُّ شُدَّ عَلَى قَفَاهُ؟
يَخَالِطُهُ، وَيَلْحَقُهُ أَذَاهُ؟
وطلالت حيث قد صفعوا قَفَاهُ؟
أَمْ الْمُحْيِي لَهُ رَبٌّ سِوَاهُ؟
وَأَعْجَبُ مِنْهُ بَطْنٌ قَدْ حَوَاهُ
لدى الظلمات من خِيضِ غِدَاهُ
ضعيفاً، فاتحاً للثدى فَاهُ
يلازم ذلك، هل هذا إله؟
سَيُسْئَلُ كُلُّهُمْ عَمَّا افْتَرَاهُ

أَعْبَادَ الْمَسِيحِ لِنَا سَوْال
إِذَا مَاتَ الْإِلَهُ يَصْنَعُ قَوْمٌ
وَهَلْ أَرْضَاهُ مَا نَالُوهُ مِنْهُ؟
وإن سخط الذي فعلوه فيه
وَهَلْ بَقِيَ الْوُجُودُ بِلَا إِلَهٍ
وَهَلْ خَلَّتِ الطَّبَاقُ السَّبْعُ لِمَا
وَهَلْ خَلَّتِ الْعَوَالِمُ مِنْ إِلَهٍ
وَكَيْفَ تَخَلَّتِ الْأَمْلاكُ عَنْهُ
وَكَيْفَ أَطَاقَتِ الْخَشَبَاتُ حَمْلَ
وَكَيْفَ دَنَا الْحَدِيدُ إِلَيْهِ حَتَّى
وَكَيْفَ تَمَكَّنْتَ أَيْدِي عِدَاهُ
وَهَلْ عَادَ الْمَسِيحَ إِلَى حَيَاةٍ
وَيَا عَجْبًا لِقَبْرِ ضَمِّ رَبِّاً
أَقَامَ هُنَاكَ تِسْعًا مِنْ شَهْوَرٍ
وَشَقَّ الْفَرْجَ مَوْلُوداً صَغِيرًا
وَيَأْكُلُ، ثُمَّ يَشْرَبُ، ثُمَّ يَأْتِي
تَعَالَى اللَّهُ عَنِ إِفْكِ النَّصَارَى

يُعْظَمُ أَوْ يُقْبَحُ مِنْ رَمَاهُ؟
 وإحراقٍ له ، ولمن بَغَاهُ؟
 وقد شُدَّتْ لتسميرِ يَدَاهُ
 فَدَسَّةٌ ، لا تبسه إذ تَرَاهُ
 وتعبده؟ فإنك من عِدَاهُ
 حوى ربَّ العباد ، وقد علاهُ
 له شكلاً تذكرونا سنَاهُ
 لضم القبرِ رَبُّكَ في حشاه؟
 بدايتهُ ، وهذا منتهَاهُ
 أَعْبَادُ الصَّلِيبِ ، لأي معنى
 وهل تقضى العقول بغير كسر
 إذا ركب الإله عليه كُرْهًا
 فذاك المركب الملعون حَقًّا
 يُهَانُ عليه رب الخلق طُرًّا
 فإن عظَّمته من أجل أن قد
 وقد فقد الصليب ، فإن رأينا
 فهلاً للقبور سجدت طُرًّا
 فيا عبد المسيح أفقُ ، فهذا

"فقد بان لكل ذي عقل أن الشيطان تلاعب هذه الأمة الضالة كل التلاعب،
 ودعاهم فأجابوه، واستخفهم فأطاعوه
 فتلاعب بهم في شأن المعبود سبحانه وتعالى.
 وتلاعب بهم في أمر المسيح.
 وتلاعب بهم في شأن الصليب وعبادته.

وتلاعب بهم في تصوير الصور في الكنائس وعبادتهم، فلا تجد كنسية من كنائسهم
 تخلو عن صورة مريم والمسيح، وجرجس، وبطرس، وغيرهم من القديسين عندهم،
 والشهداء، وأكثرهم يسجدون للصور، ويدعونها من دون الله تعالى.

حتى لقد كتب بطريق الإسكندرية إلى ملك الروم كتاباً يحتج فيه للسجود للصور:
 بأن الله تعالى أمر موسى عليه السلام أن يصور في قبة الزمان صورة الساروس، وبأن سليمان
 ابن داود لما عمل الهيكل عمل صورة الساروس من ذهب، ونصبها داخل الهيكل.

ثم قال في كتابه: وإنما مثال هذا مثال الملك يكتب إلى بعض عماله كتاباً، فيأخذه
 العامل ويقبله ويضعه على عينيه، ويقوم له، لا تعظيماً للقرطاس والمداد، بل تعظيماً
 للملك، كذلك السجود للصور تعظيم لاسم ذلك المصور، لا للأصباغ والألوان.
 وبهذا المثال بعينه عبدت الأصنام.

وما ذكره هذا المشرك عن موسى وسليمان عليهما السلام، لو صح، لم يكن فيه دليل على السجود للصور، وغايته: أني كون بمثابة ما يذكر عن داود: أنه نقش خطيئته في كفه كيلا ينساها، فأين هذا مما يفعله هؤلاء المشركون: من التذلل، والخضوع، والسجود بين يدي تلك الصور؟

وإنما المثال المطابق لما يفعله هؤلاء المشركون مثال خدام من خدام الملك دخل على رجل، فوثب الرجل من مجلسه، وسجد له، وعبده، وفعل به ما لا يصلح أن فعل إلا مع الملك، وكل عاقل يستجهله ويستحمقه في فعله، إذ قد فعل مع عبد الملك ما كان ينبغي له أن يخص به الملك دون عبيده: من الإكرام، والخضوع، والتذلل. ومعلوم أن هذا إلى مقت الملك له، وسقوطه من عينه، أقرب منه إلى إكرام له، ورفع منزلته.

كذلك حال من سجد لمخلوق، أو لصورة مخلوق، لأنه عمد إلى السجود الذي هو غاية ما يتوصل به العبد إلى رضا الرب، ولا يصلح إلا له، ففعله لصورة عبد من عبيده، وسوى بين الله وبين عده في ذلك، وليس وراء هذا في القبح والظلم شيء.

ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: 13]

وقد فطر الله سبحانه عبادة على استقباح معاملة عبيد الملك وخدمة بالتعظيم والإجلال، والخضوع، والذي الذي يعامل به الملك، فكيف حال من فعل ذلك باعداء الملك؟ فإن الشيطان عدو الله والمشرک إنما يشرك به، لا يولي الله ورسوله، بل رسول الله وأولياؤه بريئون ممن أشرك بهم، معادون لهم، أشد الناس مقتا لهم، فهم في نفس الأمر إنما أشركوا بأعداء الله، وسواوا بينهم وبين الله في العادة والتعظيم، والسجود، والذل، ولهذا كان بطلان الشرك وقبحه معلوماً بالفطرة السليمة، والعقول الصحيحة، والعلم بقبحه أظهر من العلم بقبح سائر القبائح

والمقصود: ذكر تلاعب الشيطان بهذه الأمة في أصول دينهم، وفروعه. كتلاعبه بهم في صيامهم، فإن أكثر صومهم لا أصل له في شرع المسيح، بل هو مختلق مبتدع. **فمن ذلك:** أنهم زادوا جمعة في بدء الصوم الكبير، يصومونها لهرقل مخلص بيت المقدس.

وذلك أن الفرس لما ملكوا بيت المقدس، وقتلوا النصارى، وهدموا الكنائس، أعانهم اليهود، على ذلك، وكانوا أكثر قتلا وفتكا في النصارى من الفرس. فلما سار هرقل إليه استقبله اليهود بالهدايا، وسأله أن يكتب لهم عهداً، ففعل. فلما دخل بيت المقدس، شكوا إليه من فيه من النصارى ما كان اليهود صنعوه بهم. فقال لهم هرقل: وما تريدون مني؟ قالوا: تقتلهم. قال: كيف أقتلهم، وقد كتبت لهم عهداً بالأمان، وأنتم تعلمون ما يجب على ناقض العهد؟

فقالوا له: إنك حين أعطيتهم الأمان لم تدر ما فعلوا من قتل النصارى، وهدم الكنائس، وقتلهم قربان الله تعالى، ونحن نتحمل عنك هذا الذنب، ونكفره عنك، ونسأل المسيح أن لا يؤاخذك به، ونجعل له جمعة كاملة في بدء الصوم، لصومها، ونترك فيها أكل اللحم، ما دامت النصرانية، ونكتب به إلى جميع الآفاق، غفراناً لما سألناك. **فأجابهم،** وقتل من اليهود حول بيت المقدس وجبل الخليل ما لا يحصى كثرة. فصيروا أول جمعة من الصوم الذي يترك فيه الملكية أكل اللحم، يصومونها لهرقل الملك، غفراناً لنقضه العهد، وقتل اليهود، وكتبوا بذلك لى الآفاق. وأهل بيت المقدس، وأهل مصر يصومونها، وبقية أهل الشام والروم يتركون أكل اللحم فيها، ويصومون الأربعاء والجمعة. وكذلك لما أرادوا نقل الصوم إلى فصل الربيع المعتدل، وتغيير شريعة المسيح، زادوا فيه عشرة أيام، عوضاً وكفارة، لنقلهم له. **ومن ذلك:** تلاعبه بهم في أعيادهم فكلها موضوعة مختلفة، محدثة بأرائهم واستحسانهم.

فمن ذلك: عيد ميكائيل.

وسببه: أنه كان بالإسكندرية صنم، وكان جميع من بمصر والإسكندرية يعيدون له عيداً عظيماً، ويذبحون له الذبائح، فولي بتركة الإسكندرية واحداً منهم فأراد أن يكسره، ويبطل الذبائح، فأمتنعوا عليه، فأحتال عليهم، وقال: إن هذا الصنم لا ينفع ولا يصير فلو جعلتم هذا العيد لميكائيل ملك الله تعالى: وجعلتم هذه الذبائح له كان يشفع لكم

عند الله وكان خيراً لكم من هذا الصنم، فأجابوه إلى ذلك، فكسر الصنم، وصيره صلباناً، وسمى الكنيسة ميكائيل، وسماها قيسارية، ثم احترقت الكنيسة وخربت، وصيروا العيد والذبائح لميكائيل. فنقلهم من كفر إلى كفر، ومن شرك إلى شرك. فكانوا في ذلك كمجوسي أسلم، فصار رافضياً، فدخل الناس عليه يهتئونه، فدخل عليه رجل وقل: إنك إنما انتقلت في زاوية من النار إلى زاوية أخرى. ومن ذلك عيد الصليب، وهو مما اختلقوه وابتدعوه، فإن ظهور الصليب إنما كان بعد المسيح بزمن كثير.

وكان الذي أظهره - زوراً وكذباً - أخبرهم به بعض اليهود أن هذا هو الصليب الذي صلب عليه إلههم وربهم، فانظر على هذا السند، وهذا الخبر، فاتخذوا ذلك الوقت الذي ظهر فيه عيداً، وسمّوه عيد الصليب، ولو أنهم فعلوا كما فعل أشباههم من الرافضة، حيث اتخذوا وقت قتل الحسين عليه السلام مآتماً وحزناً لكان أقرب إلى العقول.

وكان من حديث الصليب: أنه لما صُلب المسيح - على زعمهم الكاذب - وقُتل ودُفن رفع من القبر إلى السماء، وكان التلاميذ كل يوم يصيرون إلى القبر إلى موضع الصلب ويصلون، فقالت اليهود: إن هذا الموضع لا يخفي، وسيكون له نبأ، وإذا رأى الناس القبر خالياً آمنوا به، فطرحوا عليه التراب والزبل، حتى صار مزبلة عظيمة، فلما كان في أيام قسطنطين الملك، جاءت زوجته إلى بيت المقدس تطلب الصليب، فجمعت من اليهود والسكان بيت المقدس وجبل الخليل مائة رجل، واختارت منهم عشرة، واختارت من العشرة ثلاثة، أسم أحدهم يهوذا، فسألتهم أن يدلوها على الموضع، فامتنعوا وقالوا: لا علم لنا بالموضع فطرحتهم في الحبس في جب لا ماء فيه فأقاموا سبعة أيام لا يطعمون، ولا يسقون

فقال يهوذا لصاحبيه: إن أباه عرّفه بالموضع الذي تطلب، صلاح الاثنان، فأخرجوهما، فخبراها بما قال يهوذا، فأمرت بضربه بالسياط، فأقر، وخرج إلى الموضع الذي فيه المقبرة، وكان مزبلة عظيمة، فصلى، وقال: اللهم إن كان في هذا الموضع، فأجعله أن يتزلزل ويخرج منه دخان فتزلزل الموضع، وخرج من دخان، فأمرت الملكة بكس الموضع من التراب، فظهرت المقبرة وأصابوا ثلاثة صليبان، فقالت الملكة: كيف

لنا أن نعلم صليب سيدنا المسيح؟ وكان بالقرب منهم عليل شديد العلة قد ايس منه، فوضع الصليب الأول عليه، ثم الثاني، ثم الثالث، فقام عند الثالث، واستراح من علته، فعلمت أنه صليب المسيح، فجعلته في غلاف من ذهب، وحملته إلى قسطنطين.

وكان من ميلاد المسيح إلى ظهور هذا الصليب: ثلاثمائة وثمانية وعشرون سنة. هذا كله نقله سعيد بن بطريق النصراني في تاريخه.

والمقصود: أنهم ابتدعوا هذا العيد بنقل علمائهم بعد المسيح بهذه المادة. وبعد، فسند هذه الحكاية من بين يهودي ونصراني، مع انقطاعها، وظهور الكذب فيها لمن له عقل من وجوه كثيرة.

ونكفي في كذبها وبيان أختلافها: أن ذلك الصليب الذي شفي العليل كان أولى أن لا يميمت الإله الرب المحيي الميمت.

ومنها: أنه إذا بقى تحت التراب خشب ثلثمائة وثمانية وعشرون سنة، فإنه ينخر ويبل لدون هذه المدة.

فإن قال عبّاد الصليب: إنه لم مس جسم المسيح حصل له الثبات والقوة والبقاء.

وقيل لهم: فما بال الصليبيين الباقين لم يتفتتا واشتبهوا به؟

فاعلمهم يقولون: لما مسّت صليبه مسها البقاء والنبات.

وجَهْل القوم ومُحْمَقهم أعظم من ذلك، والرّب سبحانه لما تجلّى للجبل تدكدك الجبل، وساخ في الأرض، ولم يثبت لتجليه، فكيف تثبت الخشبة لركوبه عليها في تلك الحال؟ ولقد صدق القائل: إن هذه الأمة عار على بني آدم أن يكونوا منهم.

فإن كانت هذه الحكاية صحيحة، فما أقربها من حيل اليهود التي تخلصوا بها من الحيس والهلاك، وحيل بني آدم تصل إلى أكثر من ذلك بكثير، ولا سيما لما علم اليهود أن ملكة دين النصرانية قاصدة إلى بيت المقدس، وأنها تعاقبهم حتى يدلوها على موضع القتل والصلب، وعلموا أنهم إن لم يفعلوا لم يتخلصوا من عقوبتها.

ومنها: أن عبّاد الصليب يقولون: إن المسيح لما قتل غار دمه، ولو وقع منه قطرة على الأرض لبيست ولم تنبت، فيا عبجا! كيف يحيى الميت، ويرأ العليل بالخشبة التي شهر عليها وصلب، أهذا كله من بركتها وفرحها به، وهو مشدود عليها يبكي ويستغيث؟

ولقد كان الأليق أن يتفتت الصليب ويضمحل لهيبة من صلب عليه وعظمته، ولخسفت الأرض بالحاضرين عند صلبه، والمتهائين عليه، بل تنفطر السموات وتنشق الأرض، وتخر الجبال هذا.

ثم يقال لعباد الصليب: لا يخلو أن يكون المصلوب الناسوت وحده، أو مع اللاهوت؟ فإن كان المصلوب هو الناسوت وحده، فقد فارقت الكلمة، وبطل اتحادها به، وكان المصلوب جسداً من الأجساد، ليس بإله، ولا فيه شيء من الإلهية والربوبية البتة. **وان قلتهم:** إن الصلب وقع على اللاهوت والناسوت معاً، فقد اقررتهم بصلب الإله وقتله وموته، وقدرة الخلق على أذاه، وهذا أبطل الباطل، وأمحل المحال، فبطل تعلقكم بالصليب من كل وجه عقلاً وشرعاً.

وأما تلاعبه بهم في صلاتهم فمن وجوه

أحدها: صلاة كثير منهم بالنجاسة والجناية، والمسيح برئ من هذه الصلاة، وسبحان الله أن يتقرب إليه بمثل هذه الصلاة، فقدرة أعلى، وشأنه أجل من ذلك. **ومنها:** صلاتهم إلى مشرق الشمس، وهم يعلمون أن المسيح لم يصل إلى المشرق أصلاً، وإنما كان يصلى إلى قبلة بيت المقدس.

ومنها: تصليبهم على وجوههم عند الدخول من الصلاة، والمسيح برئ من ذلك، فصلاة مفتاحها النجاسة، وتحريمها التصليب على الوجه، وقبالتها الشرق، وشعارها الشرك، كيف يخفي على العاقل أنها لا تأتي بها شريعة من الشرائع البتة؟

ولما علمت الرهبان، والمطارنة، والأساقفة: أن مثل هذا الدين تنفر عنه العقول أعظم نفرة، شدوه بالحيل والصور في الحيطان، بالذهب واللازورد والزنجفر وبالأزغل وبالأعياد المحدثه، ونحو ذلك مما يروج على السفهاء وضعفاء العقول والبصائر وساعدهم ما عليه اليهود من القسوة، والغلظة، والمكر والكذب والبهت، وما عليه كثير من المسلمين من الظلم والفواحش، والفجور، والبدعة والغلو في المخلوق، حتى يتخذها إلهاً من دون الله، واعتقاد كثير من الجهال أن هؤلاء من خواص المسلمين وصالحهم، فتركب من هذا وأمثاله تمسك القوم بما هم فيه، ورؤيتهم أنه خير من كثير مما عليه المنتسبون إلى الإسلام من البدع والفجور والشرك، والفواحش.

ولهذا لما رأى النصراري الصحابة وما هم عليه آمن أكثرهم اختياراً وطوعاً، وقالوا: ما الذي صحبوا المسيح بأفضل من هؤلاء.
ولقد دعونا نحن وغيرنا كثيراً من أهل الكتاب إلى الإسلام، فأخبروا أن المانع لهم ما يرون عليه المنتسبين إلى الإسلام، ممن يعظمهم الجهال: من البدع والظلم، والفجور، والمكر والاحتيال، ونسبة ذلك إلى الشرع ولمن جاء به، فساء ظنهم بالشرع وبمن جاء به.
فالله طليب قُطَاع طريق الله، وحسيهم.
فهذه إشارة يسيرة جدا إلى تلاعب الشيطان بعباد الصليب، تدل على ما بعدها، والله الهادي الموقف"

ثم قال عن اليهود:

في ذكرى تلاعبة بالأمة الغضبية وهم اليهود

قال الله تعالى في حقهم: ﴿بِسْمَا أَشْتَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزَّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءَ وَبَغْضٍ عَلَى غَضَبٍ﴾ [البقرة: 90]
وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أَنْبَيْتُكُمْ بِشَرِّ مَنْ ذَلِكَ مَثُوبَةٌ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَةَ وَالْحَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ (٦٠) وَإِذَا جَاءَ وَكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ (٦١) وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتِ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٦٢) لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّيُّونَ وَالْأَجْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمْ الْإِثْمُ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتِ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿ [المائدة: 60، 63]. قال تعالى: ﴿ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ [المائدة: 80].

وقد أمرنا الله سبحانه أن نسأله في صلواتنا أن يهدينا صراط الذين أنعم عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين.

وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: "اليهود مغضوب عليهم، والنصارى ضالون" (1)

فأول تلاعب الشيطان بهذه الأمة في حياة نبينا، وقرب العهد بإنجائهم من فرعون وإغراقه وإغراق قومه، فلما جاوزوا البحر رأوا قوما يعكفون على أصنام لهم، فقالوا:

(1) صحيح - أخرجه الترمذي (2954) وغيره، وقد خرجته في القصص.

﴿ قَالُوا يَمْوَسَىٰ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾ [الأعراف:138] فقال لهم موسى ﷺ :
 ﴿ قَالُوا إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ (١٣٨) إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿

[الأعراف:139،138]

فأي جهل فوق هذا؟ والعهد قريب، وإهلاك المشركين أمامهم، بمرأي من عيونهم، فطلبوا من موسى ﷺ أن يجعل لهم إلهًا، فلبوا من مخلوق أن يجعل لهم إلهًا مخلوقًا، وكيف يكون الألهه مجعولا؟ فإن الإله هو الجاعل لكل ما سواه. والمجعول مربوب مصنوع، فيستحيل أن يكون إلهًا. وما أكثر الخلف لهؤلاء في اتخاذ إله مجعول، فكل من اتخذ إلهًا غير الله فقد اتخذ إلهًا مجعولاً.

وقد ثبت عن النبي ﷺ: "أنه كان في بعض غزواته، فمروا بشجرة يعلق عليها المشركون أسلحتهم وشاراتهم وثيابهم، يسمونها ذات أنواط، فقا لبعضهم: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال: "الله أكبر.. قلت كما قال قوم موسى لموسى: ﴿ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾ ثم قال: لتركبن سنن من كان قبلكم خذوا القذة بالقذة".

ثم قال - رحمه الله تعالى:-

ومن تلاعبه بهم
 عبادتهم العجل من دون الله تعالى، وقد شاهدوا ما حل بالمشركين من العقوبة، والأخذة الرابية، ونبيهم حي لم يمت.
 هذا، وقد شاهدوا صانعه يصنعه ويصوغه، ويصلية النار، ويدقة بالمطرقة، ويسطو عليه بالمبرد، ويقلبه بيديه ظهرًا لبطن.

ومن عجيب أمرهم: أنهم لم يكتفوا بكونه إلههم، حتى جعلوه إله موسى، فنسبوا موسى ﷺ إلى الشرك وعبادة غير الله تعالى، بل عبادة أبلد الحيوانات، وأقلها دفعاً عن نفسه، بحيث يضرب به المثل في البلادة والذل، فجعلوه إله كليمن الرحمن.

ثم لم يكتفوا بذلك حتى جعلوا موسى ﷺ ضالاً مخطئاً، فقالوا: ﴿ فَتَسْبَى ﴾ [طه:115] قال ابن عباس: "أي ضل وأخطأ الطريق".

وفي رواية عنه: "أي أن موسى ذهب يطلب ربه فضل، ولم يعلم مكانة".

وعنه أيضاً: "نسى أن يذكر لكم أن هذا إله وإلهكم".

وقال السدي: "أي ترك موسى إله ههنا، وذهب يطلبه".

وقال قتادة: "أي أن موسى إنما يطلب هذا، ولكنه نسيه وخالفه في طريق، آخر".

هذا هو القول المشهور: أن قوله ﴿فَنَسِيَ﴾ من كلام السامري وعباد العجل معه.

وعن ابن عباس رواية أخرى: "أن هذا من إخبار الله تعالى عن السامري: أنه نسى، أي ترك ما كان عليه من الإيمان".

والصحيح: القول الأول، والسياق يدل عليه، ولم يذكر البخاري في التفسير غيره،

فقال يقولونه: "أخطأ الرب".

فإنه لما جعله إله موسى استحضر سؤالاً من بني إسرائيل يوردونه عليه، فيقولون

له: إذا كان هذا إله موسى، فلأي شيء ذهب عنه لموعد إلهه؟

فأجاب عن هذا السؤال قبل إirاده عليه بقوله ﴿فَنَسِيَ﴾ ..

"وهذا من أقبح تلاعب الشيطان بهم" (1).

(1) هذا مختصر مفيد من كتاب ابن القيم المفيد - رحمه الله تعالى - "إغاثة اللهفان" وهو كتاب جدير بالدراسة والتدريس ومن أراد المزيد من كيد الشيطان وتلاعبه بالإنسان وبالأمم السالفة، وبخاصة أمة النصارى واليهود فليراجع إلى أصل الكتاب وهو مطبوع كثيراً ومحقق من محققين كثيرين، وتحقيقاتهم تحتاج إلى تحقيق والله المستعان.

(24)



عبادة الشيطان

قال القرطبي - رحمه الله:-

" أصل العبادة التذلل والخضوع، وسُميت وظائف الشرع على المكلفين عبادات، لأنهم يلتزمون بها ويفعلونها خاضعين متذللين لله تعالى "

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -:

العبادة: " اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة "

قال ابن كثير - رحمه الله:-

وعبادته "هي طاعته بفعل المأمور وترك المحذور، وذلك هو حقيقة دين الإسلام، لأن معنى الإسلام: الاستسلام لله تعالى المتضمن غاية الانقياد والذل والخضوع" قلت؛ إذا معنى عبادة الشيطان انتقال ما كان لله من كمال الذل والخضوع مع تمام الحب، والانقياد لأوامره، والاستسلام الكامل له سبحانه إلى هذا الملعون المطرود من رحمه الله تعالى.

فإن عبادة الشيطان تكمن في إتباع أوامره واجتناب نهيها، والتذلل له، والاستسلام له، ثم السجود الذي يمثل حقيقة هذه العبادة العملية.

ولقد ذكر الله تعالى العبادة في كتابة في مائة وخمسة عشر موضعاً، مقسمة على عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، وعبادة ما سواه وتتمثل في عبادة الشيطان، والجن، والملائكة والأنبياء، والطواغيت، والأوثان.

والناظر إلى دعوة الرسل وأصل بعثتهم يجد أنهم يدعون أمهم إلى عبادة الله تعالى وحده، وترك عبادة ما سواه.

فقال على لسان المسيح عليه السلام:

﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة: 72] وقال تعالى على

لسانه أيضاً ثم ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة: 117].

وقال على لسان هود عليه السلام:

﴿وَالِىْ عَادِ اٰخَاهُمْ هُوْدًا قَالَ يَنْقَوْمِرْ اَعْبُدُوْا اللّٰهَ﴾ [هود:50]

وقال على لسان شعيب عليه السلام:

﴿وَالِىْ مَدْيَنَ اٰخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْقَوْمِرْ اَعْبُدُوْا اللّٰهَ﴾ [الأعراف:85]

وقال في حق نوح عليه السلام:

﴿وَلَقَدْ اَرْسَلْنَا نُوحًا اِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَنْقَوْمِرْ اَعْبُدُوْا اللّٰهَ﴾ [المؤمنون:23]

وقال في حق ابراهيم عليه السلام:

﴿وَإِبْرٰهِيْمَ اِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اَعْبُدُوْا اللّٰهَ وَاتَّقُوْهُ﴾ [العنكبوت:16]

وقال في حق جميع الرسل والأنبياء عليهم السلام:

﴿وَمَا اَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُوْلٍ اِلَّا نُوْحِيْ اِلَيْهِ اَنْهٗ لَا اِلٰهَ اِلَّا اَنَا فَاَعْبُدُوْنِ﴾

[الأنبياء:25]

ولقد أمر الله تعالى نبية وصفيه وحببيه محمد صلى الله عليه وسلم بالعبادة في آيات كثيرة،

فقال:

﴿اِنَّا اَنْزَلْنَا اِلَيْكَ الْكِتٰبَ بِالْحَقِّ فَاَعْبُدِ اللّٰهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّيْنَ﴾ [الزمر:2]

وقال تعالى قارنا الشكر بالعبادة:

﴿بَلِ اللّٰهٖ فَاَعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِيْنَ﴾ [الزمر:66]

وقال تعالى: ﴿وَالْاَرْضِ وَاِلَيْهِ يَرْجِعُ الْاَمْرُ كُلُّهُ فَاَعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود:123]

فقرن التوكل على الله مع عبادته، ليبين أن الشكر تارة من العبادة وأن التوكل عليه أساس العبادة، والأمر كله، أوله وآخره، مبدأه ومنتهاه إليه ومعرفة ذلك أيضا من العبادة.

وقال تعالى موضعا أسباب العبادة:

﴿اعْبُدُوْا رَبَّكُمْ الَّذِى خَلَقَكُمْ وَالَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُوْنَ﴾ [البقرة:21] وأمر بالعبادة

ونهى عن ضدها فقال تعالى:

﴿وَاَعْبُدُوْا اللّٰهَ وَلَا تُشْرِكُوْا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء:36]

وقال تعالى أمراً عباده بالسجود الذي هو روح العبادة فقال: ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَعَبُدُوا﴾ [النجم: 62].

وقال طالبا من عبادة ابتغاء الرزق منه، وأن رزقه وسعته في حسن عبادته فقال:

﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ [العنكبوت: 17]

وقال موضحا أن الصراط المستقيم في العبادة له والتقرب إليه فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [الزُّخْرُفُ: 64].

وقال مبينا أسباب أنزال الكتب وإرسال الرسل فقال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزُّمَرُ: 2].

وقال وهو يوضح أن الصلاة من العبادة وهي روحها: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: 14].

وأمر بالصبر على عبادته وطاعته فقال: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَأَصْطِرِّ لِعِبَادَتِهِ﴾ [مريم: 65].

وأمرنا أن نعبد ونستعين به أكثر من سبعة عشر مرة في اليوم فقال في سورة الفاتحة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: 5] ولقد أمر الله تعالى رسوله بالعبادة فجاء على لسانه أنه قال ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا﴾ [الرعد: 36].

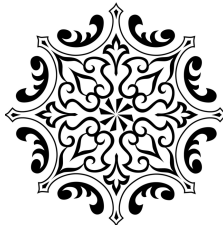
وقال تعالى: ﴿مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ [الزُّمَرُ: 14] وقال الله تعالى وهو يبين موقف النبي ﷺ من عبادة غير الله تعالى، وموقفه ضد المشركين عبدة الأوثان: ﴿قُلْ أَغْفِرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَنْ أَعْبُدَ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ [الزُّمَرُ: 64]، ﴿قُلْ يَتَّبِعُوا الْكُفْرَانَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الكافرون: 1، 2].

وقال تعالى موضحا لماذا خلق الله الإنس والجن:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: 5].

وقال تعالى: ﴿مَرِيكُمْ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا﴾ [التوبة: 31].
وأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يعبده وينشغل بعبادته حتى الموت فقال تعالى:
﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: 99] أي: الموت. وبني صفات الرب
المعبود فقال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي تَتَوَفَّكُمُ﴾ [يونس: 104]
وقال تعالى: ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ [يس: 22] أي: الذي خلقتني.
ولقد أمر الله تعالى بعبادته بعد ما بين أن الحكم له وحده: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ
أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [يوسف: 40].
وقضى ووصى وكتب وأمر بعبادته فقال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾
[الإسراء: 23].
والعبادة هي الميثاق الذي أخذه الله على بين إسرائيل وجميع الخلق فقال تعالى:
﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [البقرة: 83].
والعبادة هي الكلمة العدل التي دعا إليها النبي ﷺ أهل الكتاب. فقال تعالى:
﴿تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [آل عمران: 64].
والعبادة هي كلمة أوصى بها إبراهيم عليه السلام نبيه فقال تعالى: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ
وَاللَّهُ ءَابَاؤُكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ [البقرة: 133].
ولقد نهى الله تعالى نبيه ﷺ أن يعبد غيره، وما يدعوا إليه أهل الشرك والكفر،
فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: 56].





فصل : عبادة غير الله

قال تعالى مُبَكِّتاً من عبد غيره من الذين لا يملكون الضر والنفع، ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً، ولا رزقا، فقال تعالى: ﴿ قُلْ أَنْعَبُدُوكَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ [المائدة: 76].

وقال تعالى: ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾ [٦٦] ﴿ أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنبياء: 66، 67]

وقوله ﴿ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ تشمل كل مخلوق، سواء أكان من الجن، أو الإنس، أو الملائكة، أو الشجر أو الحجر أو البقر.. الخ.

وفي هذه الآيات يبين الله تعالى أن من يملك الضر والنفع، والرزق والحياة والبعث بعد الموت هو أولى بالعبادة، ولا يملك هذا كله إلا الله سبحانه القوي المتين.

وقال تعالى موضِّحاً أن غيره لا يملك الرزق، فلماذا عُبد من دون الله؟

﴿ رَبِّ الَّذِينَ عَبَّدُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا ﴾ [العنكبوت: 17]

وقال تعالى مبينا الذي يملك الوفاة هو أحق بالعبادة فقال تعالى: ﴿ وَلَكِنْ أَعْبَدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ ﴾ [يونس: 104]

وأما عن عبادة الأوثان والأصنام فقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا

وَتَخْلُقُونَ أَفْكَاءَ ﴾ [العنكبوت: 17] أي تصنعونها بأيديكم وتعلمون حقيقته، ثم تعبدونه من دون الله وتجعلون ما تعملون بأيديكم أهة تطلبون منها النفع وتخافون منها الضر!

ثم إذا سألتهم لماذا عبدتم الأوثان؟ قالوا: كما أخبر الله عنهم: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ [الزمر: 3]

وقال تعالى عن إبراهيم وهو يدعو هذه الدعوة المباركة: ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ

ءَامِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم: 35]

ولذلك تبرأ من عبادتهم فقال تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ

اللَّهِ﴾ [المتحنة:4]

وقال تعالى في حق الطواغيت، والطاغوت الشيطان وغيره فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ

أَجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى﴾ [الزمر:17]

وأما عن عبادة الملائكة فقال تعالى:

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْتُولَاءَ لِإِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ [سبأ:40] على

رؤوس الخلائق، فيسأل الملائكة الذين كان المشركون يزعمون أنهم يعبدون الأنداد

التي هي على صور الملائكة ليقربوهم إلى الله زلفى فيقول للملائكة ﴿أَهْتُولَاءَ لِإِيَّاكُمْ

كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾؟، أي: أنتهم أمرتم هؤلاء بعبادتهم؟ كما قال ﴿ءَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي

هَؤُلَاءَ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ [الفرقان:17] وهكذا تقول الملائكة: (سبحانك) أي:

تعاليت وتقدست عن أن يكون معك إله ﴿أَنْتَ وَلِيْنَا مِنْ دُونِهِمْ﴾ [سبأ:41] أي: نحن

عبيدك ونبرأ إليك من هؤلاء ﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾ [سبأ:41] يعنون: الشياطين،

لأنهم هم الذين يزينون لهم عبادة الأوثان ويضلونهم) (6/547).

وأما عن عبادة الشيطان فقال تعالى: ﴿يَتَابَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ

عَصِيًّا﴾ [مريم:44]

وقال تعالى:

﴿أَلَمْ أَعْهَدْ لَكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾

[يس:60]

وقال تعالى:

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيْنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنُونَ﴾

[سبأ:41]

فالآية الأولى تدل على أن عبادة الشيطان قديمة جدا وكانت معروفة قبل بعثة

إبراهيم عليه السلام.

بل هي قبل بعثة نوح عليه السلام وهي من أسباب بعثة نوح عليه السلام، فإن الله تعالى خلق عباده حنفاء فاجتالهم الشياطين عن دينهم كما في صحيح مسلم (2865) عن عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم في خطبته: "ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا، كل مال نحلته عبداً حلالاً، وإني خلقت عبادي حنفاء، كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً" الحديث

وظل الناس أمة واحدة على التوحيد الخالص حتى وقع فيهم الشرك وأخرج ابن جرير (4/275) والحاكم (2/546) والبيهقي في "الأسماء" (440) من طريق همام بن يحيى عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال:

"كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق - في رواية: "كلهم على الإسلام" فاختلّفوا فعبث الله النبيين مبشرين ومنذرين"

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

وكانت بداية الإنحراف، الغلو في الصالحين كما قال تعالى حاكياً عن قوم نوح عليه السلام ﴿وَقَالُوا لَا تَنْزِيلَ الْهَتَكُمُ وَلَا تَنْزِيلٌ وَآءٌ وَلَا سَوَاعَا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح:23].

أخرج البخاري (4920) من طريق ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: "صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع فكانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد، ثم لبني غطيف بالجرف عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير، لآل ذي القلاع، أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن أنصبوا إلى مجالسهم التي يجلسون أنصباً وسموها بأسمائهم ففعلوا، فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك، وتنسخ العلم عُبِدت"

ومن هنا بدأ الشرك، ومعه بدأت عبادة الشيطان. فعبادة الشيطان لها جذور ممتدة على طول الزمان حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

وأى عبادة من دون الله سببها الشيطان المريد، فمن عبد الملائكة أو الأنبياء أو من دونهم من البشر، وكذلك من عبد الحيوانات مثل الخيل، والبقر، ومن الجمادات مثل الشجر والحجر، كلها سببها الشيطان، فما من شيء عُبد من دون الله إلا وأصله الشيطان هو الذي أرشد وزين وأغوى البشر لعبادته.

ومع وجود هذا الكم الكبير من الآلهة التي تُعبد في الأرض، إلا أن هناك طوائف كبيرة من البشر وقطيع كبير من المخابيل عبدوا الشيطان، وجعلوا منه الألة الأعظم الذي ينبغي أن يُعبد، ويُتقرب إليه، ويُسجد له!!

وهذا الطائفة التي عبدت إبليس قديمة، وجعلت له هيكلًا، ومعابداً، واخترعوا شرائع، وابتدعوا شعائر، وسنوا عبادات، يتقربون بها إلى إبليس الحقيِر. ولنبداً رحلة عبادة الشيطان التي طافت بلاد العالم من المشرق إلى المغرب والعكس حتى انتقلت مؤخراً لمصر في معقل المترفين حيث جعلوا لهم موطناً في مصر، وبدؤوا ينشرون سمومهم في البلاد، وبين البسطاء والسذج من المترفين، ونشرت الجرائد والمجلات عن هذه الشبكة الإبليسية في عام 1997م، وهذه العبادة انتقلت عبر المسرحيات الغربية، والأفلام الأجنبية إلى بلادنا، وسمت نفسها "بعبدة الشيطان" وهذه فرقة قديمة جداً وهي تسمى بـ (اليزيدية) أو "عبدة الشيطان"

وموطن هذه الفرقة:

اليزيدية طائفة ينتمى معظمها إلى الجنس الكردي، ويقطن أتباعها في بعض نواحي الشرق الأدنى وخاصة في المناطق التالية:

- قضاء الشيخان في الشمال الشرقي من الموصل، وفيه مراكزهم الدينية "كباعدري" قاعدة أميرهم، وقبر الشيخ عدي وهو أهم مقاماتهم الدينية.
- قضاء سنجار الواقع في الشمال الغربي من العراق على الحدود بينه وبين سوريا، وهي منطقة جبلية منيعة ومعقل حصين، كانوا يعتصمون به في أيام الاضطهاد.
- ديار بكر، وماردين، وجبل الطور.
- منطقة حلب حول كلس وعينتاب.

- البلاد الأرمنية الواقعة على الحدود بين تركيا وروسيا وخاصة في منطقتي قرص وايراوان، وحول تفليس من بلاد القوقاز.

- ويوجد بعض اليزيدية - عبدة الشيطان - في إيران.

فإذا نظرت إلى هذه الخريطة التي ترسم تواجد فيها هذه العبادة تجد أن مصدرها إما الشمال الشرقي للعراق، وهي أرض الفتن ومصدر معظم الفرق النارية التي انشقت عن مذهب أهل السنة والجماعة.

أو أن مصدرها بلاد فارس وفيها يُعبد غير الله في أكثر مواطنها، وفيها مصدر عبادة النار، فالأرض التي أنبت فيها عبادة النار، لا مانع أن يخرج منها عبادة الشيطان، وإن كنت لا أشك في أن عبادة الشيطان تسبق في التواجد عبادة النار.

وهذه الطائفة "عبدة الشيطان، أو "اليزيدية" لم يعطي لها المؤرخون، والذين ألفوا في الفرق كبير اهتمام، وهي فرقة تتسم بالتكتم الشديد، والتخفي عند إقامة الشعائر الدينية أو عدم إطلاع الغير عليها، أو إعلامه بها، والتظاهر بغير المعتقد الأصلي، مثلهم في ذلك مثل الشيعة في استخدامهم "التقية" فإذا ما خالطوا الناس جاروهم في أمورهم السائدة، لا سيما أهل السنة منهم. (1)

وهذا هو شأن الفرق الباطنية في كل زمان ومكان. (2)

قالت الدكتور أمّنة: هذه العبادة في العقيدة اليزيدية "عبدة الشيطان" والتي سُطرت في كتبهم المقدسة!! لديهم مليئة بالاضطراب والركاكة مما جعل انتشارها في عصر تواجدهم أمراً غير وارد.

وقالت: العزلة التي فرضها "اليزيدية" على أنفسهم وانعزالهم في المناطق النائية، مع وجود العقبات الطبيعية والأدبية التي تعترض الطريق إليهم.

أقول: إن من أسباب عدم انتشارها، الفطرة القويمة التي فطر الناس عليها، خاصة عند المسلمين من أهل السنة، لأن هذه العبادة ينكرها العقل والحس قبل الشرع والدين.

(1) راجع رسالة العبادة الشيطانية د/ أمّنة محمد نصر.

(2) هكذا قال عبد الرزاق الحسني في عبدة الشيطان في العراق.

ولأن شعائر هذه الفرقة المنحرفة مخالفة للعقل والنقل والحس والفطرة فلم تلق رواجاً إلا عند غير المسلمين، حتى لو كانوا أميين.

ولأن هذه الفرقة أنشأت بين فرق كبيرة منحرفة، وكان لكل فرقة من هذه الفرق أتباع، ومريدين، غير أن الأله المعبود عندهم تستنفر منه الطباع، وتقشعر منه الأبدان، وهو ملعون على الألسن بالفطرة فهذا كله مما عاق هذه العبادة من الانتشار، وما انتشرت إلا عند اللادنيين فقط، والله أعلم.

قالت الدكتور: والعامل الهام في عدم شيوع هذه العبادة المنحرفة والتي يتخفى بها أصحابها، وتمارس في الظلام والعزلة، لقصورها ونفور الفطرة البشرية السوية لها. مثل هذه العبادة رغم تزيين الشيطان لها ولمرتكبيها في الماضي والحاضر، إلا أن الانحسار وعدم الشيوع أو النماء لها سمة واضحة لدى السواد الأعظم من البشر

أقول: إن سبب انتشارها في القرون المتأخرة بين المترفين من البشر، الخواء الديني الموجود عند الأغنياء، والفراغ الكبير الذي يسيطر على هذه الفئة من الناس.

ومن أسباب انتشاره أيضاً، الانحلال الخلقي، والتسيب الواضح لديهم، خاصة أنهم يقيمون طقوسهم في الظلام، وفيه يقع الاختلاط الفاحش بين الفتيات والفتيات، لأن معظم أتباع هذه العبادة الإبليسية من الشباب والشابات، فمع الفراغ الديني وحب الجنس المسيطر على الشباب، يجد الشباب بغيته، فربما كان حبهم للعبادة هذه من هذا الأمر، أي: الغريزة الجنسية - لأنهم وجدوا دين يبيح لهم المحرمات، ويحل لهم المخدرات!!

فلو أن أتباع هذه العبادة، نزلوا قرية من قرى مصر، وليس فهم قارئ ولا كاتب، لرجموهم بالحجارة، ولدنواهم أحياء، غيرة منهم على دينهم وفطرتهم.

ومنشأ هذه الفرقة كما قال ابن الجوزي في "التليس" (ص 28) بتحقيقي "من الخوارج الإباضية ينسبون إلى يزيد بن أنيسة" وقال "وقالوا: إن ولد الحسين كلهم أئمة في الصلوات، فمتى وجد منهم أحد لم تجز الصلاة خلق غيره: برهم، وفاجرهم" قلت: هذا المعتقد الذي ذكره ابن الجوزي عن "الزيدية" أتباع زيد بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، كما في مقالات الأشعري (1/140) والفرق للبغدادي (ص 22).

وقال في "الملل والنحل" (188/4): "أنهم أتباع يزيد بن أنيسة" لكن قال الأستاذ أحمد تيمور في كتاب "اليزيدية ومنشأ غلتهم" (ص 28): "والذي ظهر لنا بعد التحقيق أنه لا علاقة بين يزيدية اليوم، وتلك الفرقة أتباع ابن أنيسة، وأن أتباع ابن أنيسة قد لحقوا بغيرهم من الفرق التي بادت، وبادت معها أراؤها".

قالت الدكتور، "ونحن نميل إلى رأي الأستاذ تيمور لأن منطق الأمور من التي طرحت للبحث في عقيدة اليزيدية، والمعروف عن عقائد الخوارج الأباضية لا يمكن أن يلتقيا، أو ينتميا على أصل واحد، وإلى نفس الرأي يذهب صديق الدحلوجي في كتابه "اليزيدية ومنشأ غلتهم" (ص 28): "ونسبة اليزيدية إلى يزيد بن أنيسة غلط فاضح، إذ أن مبدأه الذي عُرف به لا ينطبق وهذه الديانة - يزيدية العراق - التي تقول بالحلول، والتناسخ، وعبادة الشمس وتدعوا إلى الإباحية، أما الخوارج فيجتهدون، ولا يعرفون من هذه الاعتقادات شيئاً ولم يرو لنا التاريخ أن ابن أنيسة كان له أتباع يعملون بمبده" (1)

"وجاء في الموسوعة الميسرة (ص 555) أن تعداده "اليزيدية" يزيد عن مائة وعشرين ألف نسمة، منهم حوالي سبعون ألفاً في العراق وحدها والباقي موزع في الأقطار الأخرى التي أشرنا إليها في بداية الحديث" (2)

وكان أشهر نعت لليزيدية في التاريخ "عبدة الشيطان" أو "عبدة إبليس" أو "عبدة الطاووس" الذي يرمزون به إلى الشيطان!! أما أهم كتبهم المقدسة: مصحف ورش - أي الكتاب الأسود وفيه قصة خلق العالم، وعقائد اليزيدية، وما حلل وما حرم عليهم. تقول اليزيدية بسبعة آلهة أولهم وأعظمهم على الإطلاق هو "الشيطان" أو "طاووس ملك" يعني الشيطان. وأباح لهم أي: عبدة الشيطان - شيوخهم كل عمل يلقي هوى في نفوسهم ووضع عنهم التكاليف الدينية، ويعتقدون بالرجعة والحلول، وأن شيطانهم الأكبر - عدى بين مسافر الأموي. سيرجع إليهم على فترات متتابة ويظهر بينهم، ويحل فيهم، وأنه سيحملهم يوم القيامة في طبق على رأسه ويدخل بهم الجنة، دون ما حساب أو عقاب!!

(1) من كتاب العبادة الشيطانية (ص 46).

(2) من كتاب العبادة الشيطانية (ص 46).

وقال الأستاذ عبد الرزاق الحسن في "عبادة الشيطان" (ص 41 - 42): "العبادة التي يتقرب بها اليزيدية إلى هذا الملاك!! تختلف عن العبادة التي يتقربون بها إلى الله، فعبادتهم للشيطان عبادة تضرع وتعطف وخشية، بخلاف عبادة الله، فإن عبادتهم له عبادة شكر وإمتنان.. أما عبادة الشيطان لأحبابه أو إخلاصاً له، بل خشية منه، وحثراً من غضبة وصورته وقد بلغ الخوف باليزيدية من الشيطان إلى درجة أنهم تركوا عبادة الله، مبرئين أنفسهم من الخطايا في ذلك، لأن الله لأحد لصلاحه وجوده، ومحبهه للخلائق، لا يفعل بهم شيئاً لأنه صالح.

أما الشيطان، فهو منقاد طبعاً إلى عمل الشر، لأنه مصدر الشر ومبدؤه.

وعليه - فالحكمة تقتضي على من يريد السعادة أن يهمل - حسب رأيهم - عبادة الله ويطلب ولاء الشيطان" "ومن هنا فقد حكم المشرع للمذهب اليزيدي بتحريم التلفظ بلفظ شيطان، أو إبليس، أو اللعن، أو كل لفظ اشتق من حروف ومعاني هذه الكلمات، وكذلك كل لفظ قريب الشبه، لفظاً أو معنى من هذه الكلمات!!

وبناءً على هذا عكفوا على كتاب الله - عز وجل - يطمسون بالشمع كل كلمة فيها لعن، أو لعنة، أو شيطان، أو استعاذة أو مشتقات هذه الأسماء، ومدلولاتها، لفظاً كان أو معنى زاعمين أن ذلك لم يكن موجوداً في أصل القرآن، وأن ذلك زيادة من صنع المسلمين" (1)

وبعد وفاة الشيخ - عدي - شيخ طريقتهم، وجامع شملهم، بدأ اليزيدية ينحرفون شيئاً فشيئاً حتى صاروا من غلاة الصوفية وما زالوا يتجادون في الغي حتى باينوا جميع الفرق الإسلامية، وخرجوا من الإسلام جملة... (2)

"ومما لا شك فيه أن جذور الشطح الصوفي ترك سعة من الفكر والجرأة لهذه الطائفة أن تذهب إلى ما ذهبت إليه، فقد روى عن الحسين بن منصور الحلاج (3) وأنه

(1) مصحف ورش: ص 6. عبدة الشيطان (ص 42) والعبادة الشيطانية (ص 61)

(2) العبادة الشيطانية (ص 62)

(3) جده مجوسياً، وكان له شطحات كفرية أدت إلى الحكم بقتله فقتل وصلب بإجماع الفقهاء - راجع البداية

(14 / 830) وتاريخ بغداد (8 / 112) وسير أعلام النبلاء (14 / 313) ولسان الميزان (2 / 314)

قال:- "لما قيل لإبليس أسجد لآدم. خاطب الحق قائلاً: أرفع شرف السجود عن سرى الهالك حتى أسجد له، إن كنت أمرتني بهذا فقد نهيتني.

فقال الحق تعالى: فإني أعذبك عذاب الأبد.

فقال إبليس: أو لست تراني في عذابك لي؟

قال الحق تعالى: بلى

فقال إبليس: فرؤيتك لي تحملني على رؤية العذاب، أفعل ما شئت.

فقال الحق تعالى: إني أجعلك رجياً.

قال إبليس: أو لست لك بحامد؟ أفعل بي ما شئت.

قلت: هذا الحوار استوحى منه الكاتب الفاسق توفيق الحكيم، وهو ليس كذلك روايته المعروفة "مظلوم" التي تحكي عن توبة الشيطان وأنه ذهب إلى شيخ الأزهر لكي يتوب، فأرشده إلى الله تعالى ثم ذهب إلى الله تعالى لكي يتوب، فقال له الله: أذهب إلى آدم فاسجد له، فقال الملعون: لم أسجد له حياً حتى أسجد له ميتاً، فطرده الله مرة ثانية من رحمته، فأخذ يردد - أي الشيطان في السماء - مظلوم، مظلوم، مظلوم، فتجاوبت معه السموات والأرض مظلوم!!! هذه هي الرواية التي أوحاها الشيطان إلى وليه، وكاتم سره توفيق - وهو ليس بتوفيق ولا حكيم!!" ويسير بعض الصوفية في تمجيد عصيان إبليس ورفضه للامتثال لأمر الله، ويبدون كل الإعجاب بهذا الصنيع ويظهر تلبس إبليس عليهم في تحريف العصيان الإبليسي إلى درجة من التوحيد الفريد!!.

فروى عن أحمد الغزالي أخو حجة الإسلام أبي حامد الغزالي الصوفي الغالي أنه تحدث عن إبليس في خطبة علنية ذكر فيها "أن إبليس سيدّ الموحدين، وأنه من لم يتعلم التوحيد من إبليس فهو زنديق، أمر أن يسجد لغير الله فأبي" وقال الجلاج: أن إبليس قد أقسم بالله عز وجل فقال: وحقه ما أخطأت في التدبير، ولا رددت التقدير، ولا باليت بتغيير التصوير، على هذه المقادير تقدير، إن عذبنى بناره أبدأ ما سجدت لأحد، ولا أذل لشخص وجسد، ولا أعرف جنداً ولا ولداً دعواي، دعوى الصادقين، وأنا في الحب من الصادقين" (1)

(1) اليزيدية للدلوجي (ص 155) والعبادة الشيطانية (ص 62-63)

وكان الحلاج المرجوم يمجّد إبليس تمجيداً لربه وأشد، وكان هذا التمجيد له كبير الأثر في إظهار هذه العبادة الإبليسية واشتهارها، وأن يكون لها أتباع ومهاوييس لكن هذا المذهب وهذه الفرقة انقرضت بعد ذلك وعادت في ثوب جديد مع مطلع القرن الماضي، وانتشرت عبر الثقافة الغربية والمسرحيات الأجنبية، فقد جاء في رواية كتبها المسرحي الإنجليزي "كريستوفر فاوست مارلو" باسم "الدكتور فاوست" وبطلها هذا الدكتور الذي باع روحه للشيطان أن يصبح خادماً يلبي رغباته ويمنحه ما يطلب من لذة وقوة وسلطان" (1)

وما روى في روايات الغرب وثقافته عن شيطان "دانتي" وهو الشاعر الإيطالي المعروف، وهو الشرير رغم أنه. وشيطان "ملتون" وهو الشرير باختياره ثقافة أضرت بشبابهم ولم تنفعهم، والشاهد الحي يؤكد على ذلك "وتمت هذه الظاهرة في الغرب وبخاصة دول أمريكا، ولسهولة المواصلات الأرضية والجوية، ووسائل الاتصال التي فاقت ملح البصر، ووسائل التكنولوجيا الحديثة من شرائط كاست وشرائط فيديو، وسينما ومسرح وأطباق لاقطة من جميع القنوات التي تبث الغث والسمين، انتشرت هذه الظاهرة لجميع أنحاء العالم" (2)

وقبل أن نتحدث عن انتقال هذه الظاهرة إلى مصر نترك للدكتور أمانة نصير وهي تتحدث عن التسلسل الموجز لتاريخ هذه العبادة في العالم الغربي وأهم طقوسها والأماكن التي توجد فيها:

* أنطون شراندور لافي؛

هو مؤسس كنيسة الشيطان بمدينة "سان فرانسيسكو" بولاية كاليفورنيا على الساحل الغربي للولايات المتحدة في إبريل سنة 1966م، ولهذه الكنيسة فروع في عدة ولايات أمريكية ودول أوروبية خاصة: بريطانيا، تنزانيا، جنوب أفريقيا، ومبشرون جوالون في مختلف أنحاء العالم.

و "لافي" هذا كاهن ولد سنة 1930م بمدينة ولبرحتسجت بولاية أوكلاند الأمريكية

(1) من هامش العبادة الشيطانية (ص 71)

(2) ملخص من الكتاب السابعة (ص 72).

استفاد أنطون لافي من خبراته كمروض للأسود في سن السادسة عشرة، ثم عاملاً بملهى ليلي ثم ممارسة السحر والشعوذة في أحد محلات العرفين ثم التحاقه بإحدى الكليات لدراسة علم الجريمة، ثم مصوراً في إدارة الشرطة بمدينة سان فرانسيسكو.

عرف بالطموح الشديد مع واقعة من قسوة الحياة التي مر بها، فأسس كنيسة عبدة الشيطان التي تعتبر أخطر كنيسة في العالم إذ يقدر عدد الممتنمين إليها بحوالي خمسين ألف عضو من الشباب والفتيات.

كتب "أنطون لافي" والكتاب المقدس لكنيسة عبدة الشيطان المعروف بالإنجيل الأسود" ونشر عام 1969م وتمت طباعته عدة طبعات بأكثر من لغة. ثم ألحقه بكتاب عن أسرار ممارسة الشعوذة والسحر والعرافة عام 1970م، ثم أصدر كتابه الثالث بعنوان "التعذيب من أجل الشيطان" عام 1972م ثم توالى سلسلة إصدارات، كتبها أتباع الكنيسة في المراكز الأساسية أو من خلال جماعة نصرانية حملت أسم "الايفانجيليين".

ويعتبر الإنجيل الأسود هو ميثاق الكنيسة والعهد الذي يقسم عليه الأعضاء ويلتزمون به ككتاب مقدس، من خلال تنظيم شبكي دولي يمنع أي اتصال أو تعاون بين كنيسة وأخرى حفاظاً على سرية التعليمات التي تصدر بكل كنيسة محاطة بحزام قوى من الغموض التام.

وقد مرت هذه الكنيسة وأتباعها بمراحل بعد أن انشق عنها في عام 1975م مجموعة من أتباع "لافي" لاختلافهم معه في شكل تصميم هيكل الكنيسة ومذبحها وطقوسها، وتزعم هذا الانشقاق رجل يدعي "ميشيل أكينو"، وأعلن تطوير طقوس كنيسة عبادة الشيطان التي يمثل وضعها القائم نوعاً من أنواع الإلوهية البدائية للشيطان وأتخذ من الآلهة الفرعونية مثالا يحتذى به - على حد تعبيرهم فقد تأسست بعيدة عن قوى الطبيعة، وتخيل أن الشيطان القديم كان على شكل إنسان له رأس حيوان، ربما يكون "الضبع" ثم نسخ بواسطة الكهنة حتى أصبح أسمه هاديت (Hadit) ثم أصبح "شيطان" (Shaitan) ثم أصبح ستان (Satan) كما هو في المسيحية الآن واستمرت الانشقاقات في داخل كنائس الشيطان مدارس العقائد والطقوس

شاع منها طقس جديد، عرف باسم طقس جماعة "ميشيل الشيطانية" أو جماعة "التحمل الديني" ويقصد بالتحمل التعذيب الذي يلاقيه العضو أو العضوة أثناء الممارسة والتلذذ به.

ويقدر هذا التلذذ وهذا التحمل تعلق مرتبة العضو. وأصدر مؤسس هذه الحركة "ميشيل" إنجيلا شيطانيا لشرح أسلوب التلذذ بالإيذاء الجنسي والبدني الذي تمارسه الجماعة فيما بينها.

وهناك الكنيسة التي أسسها د. لورانس " والتي تستقى معلوماتها من العقائد الإفريقية البدائية.

وتستمر هذه الكنائس في أطوار شاذة من شخص إلى آخر يكون أكثر منه افتتاحا في سلم الفجور، ففي عدد أكتوبر عام 1982 م من مجلة "تايم الأمريكية" (1). أفردت المجلة موضوعا بعنوان "دعوة الشيطان المقدس إلى الولايات المتحدة الأمريكية".

ذكرت العلاقة الوثيقة بين عبادة الشيطان، وممارسة السحر الأسود الذي يقوم به ملايين من الشعب الأمريكي خاصة بين الشباب من الجنسين، ثم ذكرت جانبا من الطقوس التي يقوم بها عبدة الشيطان، وتتم في أجواء خاصة في احتفالات أسبوعية دورية، تبدأ بالرقص العاري، مع الموسيقى الصاخبة، ثم يعلن بعدها البدء في ممارسة الجنس المقدس بصورة جماعية مع استمرار الموسيقى الصاخبة والأصواء المتحركة، إلى أن يصل الجميع إلى حالة من الهستيريا، ترتكب خلالها بعض الجرائم الشاذة والغامضة.

وتواصل المجلة في الحديث عن هذه الممارسات التي تنتشر بشدة في مدينة "أوكلاند" بولاية كاليفورنيا" وأن هناك ما يتراوح ما بين (75) و (100) شخص يجتمعون في ولاية "شيكاغو" أسبوعيا في منزل يطلق عليه "معبد الشيطان المعظم" وفي "ألمانيا" فإن هناك أكثر من مليون شاب وفتاة يمارسون عبادة الشيطان، ويتعاطون العلوم السرية لممارسة طقوس هذه العقيدة الجنسية الشاذة.

وفي "كندا" تعرف هذه العبادة طريقها، فهناك جماعة "أكسيهاوس" لعبادة الشياطين، وقد قامت السلطات بحصر 235 شخصا كنديا يمارسون عبادة الشيطان.

(1) عبادة الشيطان للسيد محروس (ص 855)

وقالت: إنه ربما يكون العدد الحقيقي أكثر من ذلك بكثير.

ولا تنتهي الانقسامات والخلافات الداخلية لأعضاء هذه الكنائس وغالبا ما تنتهي في معظم الأحيان بجرائم قتل بشعة وفي "لوس أنجلوس بالولايات المتحدة". تحدث الإعلام عن رجل أمريكي اسمه "أنطون شاندر" قام ببناء كنيسة للشيطان يتبعها الآن أربعون ألف فتى، وفتاة، تمارس فيها جميع أنواع السحر والشعوذة، وهدفها الأساسي، العمل ضد الكاثوليكية، وتقدم فيها التضحية بقرايين حيوانية، وتمارس فيها أحط أشكال الجنس القذرة، ولها كتاب خاص يحمل جميع تعاليمها.

وقد كان المجرم الشهير (شارلز مانسون) الذي اغتال الممثلة الأمريكية "شارون تيت" ينتمي إلى هذه الكنيسة، والغريب فعلا أن "أنطون ساندر" مؤسس الكنيسة، والغريب فعلا أن "أنطون ساندر" مؤسس الكنيسة كان المستشار الفني - "رومان بولانسكي" زوج هذه الممثلة القتيلة "شارون تيت" أثناء تصويره الفيلم الشهير: "طفل روز ماري" والذي كان يحكي قصة امرأة تلد ابن الشيطان، كما قام "شاندر" أيضا بتجسيد دور الشيطان في الفيلم.

وفي ألمانيا: تزايد هذه الجماعة بصورة أصبحت ظاهرة مقلقة حيث تتبع هذه الجماعة نفس تعاليم كنيسة الشيطان من نبش القبور وتدنيس الكنائس.. الخ

وفي جنوب أفريقيا: عام 1990 قتل أكثر من 12 شخصا كقربان للشيطان، وقد أصدر رئيس وحدة أجرام ما وراء الطبيعة بشرطة جنوب أفريقيا كتابا في عام 1992م: بعنوان "كشف عبادة الشيطان" ذكر فيه أن "جنوب أفريقيا تعاني من مشاكل المخدرات والإيدز والعودة الثورية للشيطان".

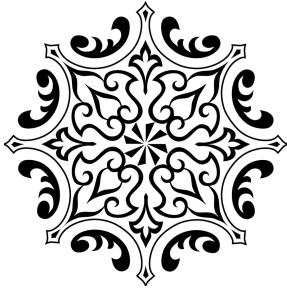
ويرجع كثير من المفكرين والمهتمين بهذه الدراسة إلى أن كثيرا من الطقوس لهذه العبادة أصلها من أفريقيا.

وعرفت هذه العبادة طريقها إلى الجيش فعن نشرة صادرة عن قسم (U.S) داخل الجيش عرضت في كتاب ديني صدر عام 1978م حول هذا الموضوع، وذكر الكتاب

أن هناك ما بين 10 إلى 20 ألف فرد من أفراد الجيش هم أعضاء بالكنيسة الشيطانية، وأن البيانات الحقيقية صعب تقديرها، لأن عددا كبيرا من الأعضاء يحرصون على سرية ممارسة هذه الطقوس.

وفي مقاطعة "ثيومين" في سيبيريا سجلت عشرات الطوائف، ويمارس دعواتها الدعاية لأفكارهم دون حسيب أو رقيب حيث لا يوجد في روسيا قانون يحظر مثل هذه الدعوات، ويتحدث الناس عن وجود طائفة سرية من عباد الشيطان تمارس طقوسها في الخفاء بين الغابات، ويبحثون عن ضحاياهم بين الشباب عادة ممن يسهل التأثير عليهم نفسيا.

وتجتاح روسيا الآن حالة من القلق الاقتصادي الذي أعقبه الاضطراب النفسي، مع الخواء العقدي مما جعلهم لقمة سائغة لمثل هذه العبادة والاعتقاد السريع في السحر والمشعوذين وذوي القدرات الخارقة المزعومة كما في "لوس أنجلوس" بالولايات المتحدة الأمريكية.





فصل: إسرائيل وعبادة الشيطان

عبادة الشيطان في إسرائيل مسألة تشكل كثيراً من الاهتمام في وسائل الإعلام ، لأنها قصة متواصلة الفصول.

فحوادث جماعات عبادة الشيطان الأسبوعية لا تنقطع عن النشر والإعلان عنها في وسائلهم المختلفة، وآخر هذه الأخبار ما ورد في "يديعو" في مانشت عريض "جماعة عبادة الشيطان" تنتهك قبر جندي إسرائيلي اسمه "نيف أموينيل" لإخراج عظام جثته من القبر لاستخدامها في طقوس الطائفة.

وقد نشرت عدد في الصحف⁽¹⁾ متابغة تعداد هذه الطائفة وأهم طقوسها والذعر الذي أصبحت تشيعه في مناطق كثيرة في إسرائيل وهذا موجز لها ليتبين شراسة هذه الجماعة وخطورة غض الطرف عنها في أي مكان: يبلغ أعداد هذه الطائفة طبقاً لإحصائية الكمبيوتر 4500 شخص، وتنتشر الآن كنائسها في جميع أنحاء فلسطين، وأشهرها على الإطلاق كنيسة "تل أبيب" وكنيسة "نتانيا" التي تبعد عنها حوالي 60 كيلو متر.

ومن أهم سمات هذه الكنائس التضحية بالأعضاء الضعفاء في الكنيسة، بقتلهم، وشرب دمائهم، واستخدامها في الطقوس الخاصة بتعميد الأعضاء، ومن أكثر الأماكن ربعا شاطئ بحر "نتانيا"، بعدها انتشر الفرع بين سكان المدينة وامتنعوا من الاقتراب ليلاً من منطقة الشاطئ.

كما أمتدت ظاهرة التضحية بالأعضاء إلى الفتيات العضوات بالكنيسة إذ يتم أولاً اغتصابهن اغتصاباً جماعياً، ثم يطلق سراحهن أو يقتلن أو يؤسرن، حتى يظهر حملهن، وبعد أن تتم عملية الولادة، يقومون بأخذ المولود ثم ذبحة كأضحية في "طقس الهلاكية" حسب الحالة الدينية في يوم تنفيذ الجريمة البشعة، ولا يجوز استخدام المرأة

(1) نذكر منها مجلة روز اليوسف في عددها 97/2/2، وتعتبر هذه المجلة إنها كانت أسبق من أشار إلى هذه الجماعة في مصر ونبه عليها، ورغم التحفظات التي أبدتها بعد ذلك في أسلوب ومنهج التعامل مع هؤلاء الشباب.

نفسها مرة أخرى في هذه الطقوس المقدسة. ولنا وقفة عند القرابين البشرية، والذبايح التلمودية عند اليهود فهم المؤسسون الحقيقيون لهذا الجرم الشنيع.

فإذا كانت الآن إسرائيل وصحفها فزعة من طقوس عبادة الشيطان، فهم الذين أجازوها ومارسوها في كل عصر، وسوف أشير على وجه السرعة على بعض هذه الجرائم التي ارتكبوها من أجل استخدام دماء الضحايا البشرية للطقوس الدينية لديهم، وهناك العديد من النصوص التي تحرم على بني إسرائيل وتحذرهم من أن يسلكوا مسلك الوثنيين ورغم هذا لا يقومون بممارسة طقوسهم الوثنية التي من أشنعها حرق أبنائهم وبناتهم في النار قربانا لأهتهم الوثنية: (1) "لا تعمل هذا للرب إهلك لأنهم قد عملوا لأهتهم كل رجس لدى الرب مما يكرهه إذ أحرما حتى بنيهم وبناتهم بالنار لأهتهم. كل الكلام الذي أوصيكم به احرصوا تعملوه، ولا تزد عليه ولا تنقص منه".

وجاء أيضا في هذا السفر تحذير آخر لليهود من أن يسلكوا مثل الأمم الوثنيين: "حتى دخلت الأرض التي يعطيك الرب إهلك لا تتعلم أن تفعل مثل رجس أولئك الأمم، لا يوجد فيك من يميز ابنه أو ابنته في النار" (2)

ورغم ذلك فننا نجد اليهود لا يلقون بالال لكل هذه المحاذير التوراتية وحفل تاريخهم بقصص القرابين البشرية، سواء للآلهة الوثنية تأثرا بالمناطق التي عاشوا فيها ومحاكاة أهلها دون مراعاة لأوامر الرب، ولا تحذير أنبيائه لهم أو في تاريخهم بين الأمم، وحفلت أسفارهم بفعلهم هذه البشاعة من تقديم البشر قربانين وامتلا سجلهم السياسي بهذا الفعل القبيح في الماضي والحاضر، وبعد أن كتب لهم أخبارهم "التلمود" بأسفارهم التي تحثهم (3): "على ذبح الآدميين من غير بني إسرائيل وتقديمهم قربانا

(1) تثنية / 18 / 9 - 10.

(2) تثنية / 18 / 9 - 10.

(3) استير سفر صغير يشتمل على تسعة إصحاحات تروى قصة "استير" وهي إسرائيلية كانت زوجة لأحد ملوك الفرس وهو "اخشر شيسي". وكان لهذا الملك وزير يسمى هامان. وقد أخذ هذا الوزير يعمل على استصدار أمر من الملك بقتل اليهود. فأحبطت استير كيده، ودبرت هي مؤامرة قضت عليه وعلى أنصاره، ومكنت اليهود من ذبح آلاف من بني قومه، كان منهم كثير من الأطفال والنساء، وساعد في ذلك يهودي =

لإلههم ومزج دمائهم بعجين الفطائر المقدسة التي يتناولونها في أعيادهم وأفراحهم الدينية، وبخاصة عيد الفصح وعيد "استير" ومراسيم ختان الأطفال واستخدام هذه الدماء في طقوس سحرهم وشعوذتهم، وتزعم هذه الأسفار أن ذلك من أفضل ما يتقرب به اليهودي إلى ربه وما تقربه عين إلههم" (1).

ولليهود عيدان لا تتم الفرحة بهما، ولا تكتمل السعادة فيهما، إلا بتناول الفطير المعجون والمزوج بدماء البشر وهما عيد الفصح وعيد البوريم ويستحب أن يكون من المسيحيين أو المسلمين.

يذكر الحاخام "ثاوقيطروس" أن اليهود في عيد الفصح يصنعون الفطير هيئات شيطانية مختلفة الصور، ويصنعون رغيفا خصوصا ملوثا عجينة بقليل من رماد الكتان.

وفي الليلة الأولى من ليالي فصحهم لا بد لكل يهودي - حتى ولو كان حدث السن - من أكل قطعة بقدر حبة الزيتون من هذا الرغيف، ويطلقون على البخز الفطير اسم (اوفيكاويان).

وذبائح هذا العيد - عيد الفصح - يتم اختيارها عادة من الأولاد الذين لا تزيد أعمارهم كثيرا على عشر سنوات، ويمزج دم الضحية بعجين الفطير قبل تجفيفه أو بعد تجفيفه (2).

ومن مراسم الطقوس السحر والشعوذة؛ يذكر الحاخام "ثاوفيطوس" أن اليهود يستخدمون الدماء المستنزفة من الأطفال في الأعمال السحرية كالتعاويد والرقي، ويعتقد الحاخام أن هذا الدم مقبول جدا لدى الشياطين (ويقدمون لهم به البشرية لا البهيمية) (3).

= آخر أسمه "مردخاي" ويحتفل اليهود بذكرى نجاتهم من هذه المذبحة في عيد يسمى عيد "استير" أو عيد "البوريم" ويقع في شهر فبراير أو شهر مارس من كل سنة..

(1) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للدكتور على عبد الواحد (ص 34).

(2) خطر اليهودية العالمية على الإسلام (ص 81).

(3) ثاوفيطوس - إظهار سر الدم المكتوم. (ص: 250).

وقد أعترف المؤرخ اليهودي "برنارد لازار" في كتابه "اللاسامية" بأن عادة ذبح الأطفال ترجع إلى استخدام دم الأطفال من قبل السحرة اليهود في الماضي. ويرى الجنرال "جواد رفعت أتيل خان" في كتابه "البرميل الإبري" أن حوادث الدم البشري مفاهيم انتشرت في عامة الشعب وأنها ليست خرافة، والحقيقة أن جيل الشباب من اليهود يهتم كثيرا بعلوم السحر والشعوذة والتلمود، يبحث عن السحر والشياطين بغموض كبير، ولهذا فإن من الطبيعي أن تستعمل الدماء خلال طقوسهم الدينية. ولا تتم أفراح اليهود في أعيادهم وأفراحهم في ليالي العرس إلا بتناول الفطير الممزوج بدم غير اليهودي.

بعد هذه الوقفة السريعة أمام أهمية الدماء المستنزفة أو المأخوذة من روح إنساني أو حيواني، حيث تمثل هذه الدماء أمراً حيوياً في عقيدة اليهود التلمودية، والتي صدروها عبر طقوس عبادة الشيطان والسحرة والمشعوذين.

ونواصل انتشار جماعة عباد الشيطان في إسرائيل، فقد أعلن سكان وادي عربا، بأن الطائفة الشيطانية، قد أصبح لها تواجد كبير بالمنطقة وقد شوهاوا واجهات المحلات والمدارس بشعاراتهم الشيطانية ومنذ شهرين، صعدوا فوق سطح نادي مركز شباب مستوطنة "عين - يهاف" الصهيونية المجاورة لمستوطنة "حتسابا" وقاموا برسم شعاراتهم بواسطة استخدام البارود، حتى يستحيل مسحها أو إزالتها بعد ذلك فاشتعل مركز الشباب بالكامل.

وكانت شرطة صحراء النقب ومدينة "إيلات" الحدودية مع مصر، قد رصدت في الشهور القليلة الماضية نشاطا موسعا لجماعة عبادة الشيطان بالقرب من منطقة طابا" المصرية، وكانت معلومات سابقة قد أشارت إلى قيام أعضاء عبادة الشيطان في مدينة إيلات بتنظيم رحلات جماعية حولها الشباب الغني في الطائفة إلى جنوب سيناء.

وبطبيعة الحال هناك يحدث الجذب والانجذاب لهذه الفرق الفاسدة لشباب المنطقة من المصريين العاملين أو السائحين. وهذا ما حدث بالفعل ونبهت عليه بعض المجالات مثل "الشباب" وفي شواطئ جنوب سيناء يستباح الكثير من الفساد من مخدرات، وسكر وعردة وموسيقى صاحبة ارتبطت بجماعات عبادة الشيطان.

وقد نهت على ذلك أيضا صحيفة الوفد فقالت في عددها 1997 / 1 / 25 م، أن لإسرائيل باعاً طويلاً في هذه الجريمة، ولا يمكن أن تبرأ ساحتهم في إسرائيل، وتعرف جماعة "إخوة الشيطان"، وتمارس نشاطها في مدن تل أبيب، وإيلات والمناطق الحدودية المصرية - الإسرائيلية "طابا".

وتستخدم النجمة السداسية والصليب المعقوف كشعار لها، وتقيم حفلات تتعاطي فيها المخدرات والجنس الجماعي داخل المناطق المنعزلة أو في الصحراء، أو على شواطئ البحار، وقد عرف عنها في إسرائيل قيامها بإرتكاب العديد من جرائم السرقة والاختطاف والقتل والتعذيب، وبتقديم الكلاب والقطط كقرايين للشيطان وقد قام أحد أفراد هذه الجماعة "بتل أبيب" بمساعدة زملائه بالجماعة، باختطاف والدته والمشاركة في اغتصابها مع كافة أعضاء الجماعة تحت إهداء قيامها بالوفاء للشيطان⁽¹⁾

ولهم فرق موسيقية كثيرة نذكر منها فرقة "الأرض اليتيمة، وفرقة سالم ومن ضمن أغنيات هذه الفرق سورة الحشر من القرآن وقراءة الكتاب المقدس لديهم بالمقلوب". وقد تزايدت الحوادث في باقي المدن الإسرائيلية مثل "يافا" و"رام الله" بالقرب من الحدود المصرية وطابا المصرية أيضا، وقد بدأت تتضح خيوط هذه الجرائم بمساعدة عملاء "الموساد" تكشف كل يوم عن سطر جديد من سطور. المفاجأة التي روعت إسرائيل منذ ذلك الوقت عام 1993 م تسمى هذه الجماعة، جماعة الشيطان، وهي تنتشر في جميع أنحاء إسرائيل الآن⁽²⁾

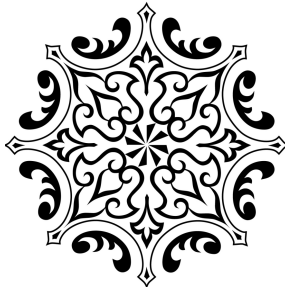
وتواصل المجلة نشر فضائح هذا الفكر الذي وجد لديهم قبل جميع البشر في طقوس التلمود ثم صدوره للعالم، حيث يقتصر القتل عند هذه الجماعة على التضحية بالنساء وعند وجود الحمل تحبس المرأة حتى تضع حملها ويقدم المولود قربانا للشيطان وتذكر المجلة:

(1) وقد تم الاتصال بين بعض شبابنا المنتمين لهذه العبادة بأعضاء من هذه الفرق لكي يأتوا للعزف في مصر من باب التبادل الموسيقي، وبالتلاحم بين هؤلاء الشباب وشبابنا يكمن الخطر حتى ولو كان من باب حب الموسيقى فالمسألة يجرب بعضها البعض. وهكذا تبدأ الأمور!! .

(2) روز اليوسف 97 / 2 / 3 .

حالة سيدة متزوجة قاموا بختفها، واغتصابها، ثم أسرت حتى وضعت حملها، وقدموا المولود قربانا للشيطان، والتضحية للشيطان بالصغار يسعد ذلك كثيرا. واكتشفت الشرطة أنه في يوم الاعتداء على تلك السيدة والتي قتلوا مولودها، أصبحت تلك العملية شائعة ومتكررة. وعن رأيهم في مجال السياسة أنه سوف تقوم حرب عالمية ثالثة سيؤول العالم إلى الشيطان الذي سيتحكم في العالم بأسره ويقوده. وكشفت المصادر المعلوماتية للشرطة أن جماعة إسرائيلية تدعى "اليد - للأخوة" التابعة لمنظمة اليهود المتطرفين في إسرائيل، وتلك الجماعة هي ذراع المنظمة العسكرية التي تطارد الطوائف غير اليهودية.

وتتشكل تلك الطوائف من الشباب في سن 16 - 20 وهم ينتمون إلى طبقة الأغنياء، أو ممن ليس لهم منزل أو ممن هربوا من سوء المعاملة في منزل الأسرة. **وتذكر المجلة:** بأنه في إحدى المرات بعد مراسم التجنيد في الطائفة - تم سؤال العضو الجديد: هل تريد معاقبة أحد من أهلك عما فعلوه بك؟! وطلب الشاب عقاب أمه لأنها عذبتة كثيرا منذ طفولته.. فقام أفراد الطائفة بختفها للشاطئ والاعتداء عليها جماعيا باشتراك الابن، وهي الحالة التي هزت أرجاء المجتمع في إسرائيل، وجعلت "الكنيست" يعقد أكثر من أربع جلسات في إسرائيل، وجعلت "الكنيست" يعقد أكثر من أربع جلسات لمناقشة هذه الظاهرة ويعرف مقر هذه الجماعة بالحدة والشراسة، ويتكتمون على إسرارهم ومن يفشي لهم سرا يكون نصيبه القتل فورا والتمثيل بحثه.





فصل : ظهور عبادة الشيطان في مصر

قال الدكتور: ومصر على مر تاريخها قد ظهرت فيها هذه العبادة بين الحين والآخر، حيث تشير بعض الدراسات أن الإله الفرعوني "ست" كان يعبر عن الشر والشيطان، وعندما دخل الهكسوس مصر تقربوا إليه وأصبح عوناً لهم وإلههم في وقت واحد، وحين تعرضت جماعة عبدة الشيطان إلى الإنشقاق في مايو 1974م تزعم حركة الإنشقاق هذه (مايكل الجينو) وأعلن اعتزازه تأسيس معبد الإله "ست" حيث جماعته بأنه إله أمير، للظلام والشرور وبيارسون طقوساً يقولون عنها فرعونية.

ويرجع بعض المؤرخين ظهور "عبادة الشيطان" في مصر إلى القرن الثاني عشر حيث نادي أحد القساوسة آنذاًن بإحدى الكنائس بالمعادي بإطالة الشعر، وعدم ختان الذكور كما دعا لعبادة الشيطان وقد تم طرده بعد أن كون جماعة أسماها "القطامية".

كما ظهرت هذه العبادة مرة أخرى في مصر في الخمسينات من هذا القرن وقام يومها محمد توفيق وزير العدل والتأمينات الاجتماعية بالقضاء على هذه الجماعة بطرد أعضائها من الأجانب عام 1962م، والقبض على الذين لم يتوبوا ويحدثنا الأستاذ محمد وجدي قنديل في جريدة أخبار اليوم بتاريخ 15 / 2 / 1997م عن رأيه فيما حدث، يقول سيادته.

إن دلت على شيء فإنما تدل على الكثير، أولها: اختراق نسيج المجتمع المصري عن طريق تدمير قيمة وأخلاقه وأعظم طريق لذلك هو الشباب، وإنها ليست المرة الأولى يواجه المجتمع المصري فيها محاولات الاختراق من الجماعات المشبوهة

مثل "عبدة الشيطان" وليست المرة الوحيدة التي تظهر فيها أفكار وافدة من الخارج، وتسعى إلى تشويه الأديان وتحريف الكتب السماوية، وبث تعاليم وأفكار منحرفة، فقد حدث ذلك قبل أربعين عاماً من جماعة أسماها "شهود يهوه" وبالتحديد في عام 1955م وضعت يدي على خيوط النشاط المشبوه التي تقوم به جماعة "شهود يهوه" في القاهرة مقر سرى في عمارة قديمة رقم 153 بشارع رمسيس - الملكة سابقاً - حيث كان أعضاؤها يعقدون اجتماعاتهم لتجنيد أعضاء جدد ونشيطين في الحياة، وبث أفكار يهودية قديمة لتشويه المسيحية وتحريف الإنجيل.

وقتها جاني من يخبرني بأمر الجماعة والاشتباه في نشاطها الذي يتركز في القاهرة، ولكن لم تكن المعلومات كافية ولم تزد عن أنها جماعة تبشيرية تتمسك بتعاليم العهد القديم. وتحاول الطعن في العقائد والأديان السماوية من خلال الدعاوي التي يروجها أعضاء الجماعة بأسلوب ناعم ومهذب لاجتذاب المشاعر، وذهبت إلى المقر السري، ووجدت على باب الشقة لافتة نحاسية باسم "شهود يهوه" وتحايلت على مقابلة رئيس الجماعة وأخفيت عنه صفتي الصحفية، وطلبت منه السماح لي بحضور أحد اجتماعاتهم.

وذهبت إلى مقر الجماعة في الموعد المحدد حيث يجري اجتماعها السري وسط أضواء خافتة في الظلام والنوافذ مغلقة، وفي البداية قرأ زعيم الجماعة أجزاء من كتاب التوراة الذي وضعته للتبشير به وبعدها أصدر الأوامر بمضاعفة النشاط في الدعاية "لشهود يهوه" وشرح كيف أن التعليمات جاءت إليه من "بروكلين - في نيويورك" بالتركيز على الانتشار في مصر.

ويواصل الحديث الأستاذ وجدى في الإشارة إلى ما ورد في تحقيق صحفي في "آخر ساعة" يبين النشاط المشبوه للجماعة، والتي تحركها الصهيونية العالمية وتعمل تحت ستار الماسونية في عام 1964م وتم اعتقال قادتها وترحيل الأجانب منهم، ولكن الجماعة ظلت تحتل نفس الوكر وتمارس نشاطها السري بين المسيحيين والمسلمين وتحرض على عدم الاعتراف بالإنجيل، وعدم الخدمة بالجيش والحكومة، وتدعو إلى التخلي عن الأديان السماوية جميعا، لأنها سبب الصراعات والحروب المدمرة أو الدخول في دين واحد.

أردت أن أسوق جانبا من حديث الأستاذ محمد وجدى قنديل لعله يصل إلى عقول المهنيين مما حدث أخيرا حيث أن أساليب المتربصين بنا كثيرة، ولن تنتهي حيلهم ولا فنونهم في هذا المجال

وقد استخدموا براءة فائقة المناهج المختلفة - خاصة في عصر التكنولوجيا في وسائل التصدير والعرض - بصورة مغرية، واستخدموا كل تجاربهم العلمية وطرائقهم الحضارية في بهرجة ذلك وتدعيمه، وهذا الغزو المنظم المدروس يستخدم

القصة والتمثيلية والمسرح والسينما، والإذاعات بأنواعها، والكتب والمجلات والصور والمقالات حتى الطرائف والملح الشائعة وللشعر نصيب عظيم في هذه المعركة حتى يصل شياطين الغرب والوطن إلى "غسل المخ" و"زرع ذاكرة" جديدة خاوية من ثواب الدين وعظمة القيم والأخلاق إلى الانحلال والتحلل من كل شيء وانتشار "عبدة الشيطان"، للأسف لا يخلو منهم الآن مكان، وعلى اختلاف طبقاتهم وجنسياتهم وأوطانهم فإنهم يتفوقون على تحطيم "التابو" كما صرح بذلك رأس من رؤوس الثقافة الآن في مصر وهذا موضوع حديثي في الصفحات القادمة علنا نبرز جانبا من خطورة هذه الأفكار الرهيبة والتي تترصد مجتمعا وما شابنا عنها بعيد وكم كنت أتمنى أن نمهد الطريق أمام هذا الشباب ونرفع الألغام التي نصبت له لاصطياده علم بذلك أم جهل، حتى لا يمر ما حدث بلا ثمن فبدلا من التمزق والنيل من بعضنا البعض بين أصحاب الفكر المتباين والقلق على شبابنا انقلب الوضع إلى معركة كلامية وتنابد بالألقاب وشحنت لها النفوس وتطايرت العبارات الحادة، وهذا في حد ذاته أمر يدعو للأسف، فتناسينا القضية محور الحوار وانقلبنا إلى التبيكيت والتقريع والتهوين من المسألة بكل أبعادها وكأنها سحابة صيف لم تغسل شجرة ولم ترو أرضا.

طقوس هذه العبادة :

نتكلم عن كنيسة الشيطان الرئيسية في "سان فرانسيسكو" والتي أسسها "أنطون لافي"، وكتب لهذه الطقوس "الانجيل الأسود" ونشره عام 1969م وطبع عدة طبعات بأكثر من لغة.

ومن المعروف أن العدو الأول والأساسي لعبادة الشيطان هم النصارى ومع ذلك نجد كل تعاليمهم هي انعكاس مباشر، وكامل للتعاليم النصرانية بشكلها العلماني الحديث، مع استخدام كثير من المصطلحات والمفردات مع المغايرة للمفاهيم والأخلاقيات التي في النصرانية، وأحسب هذا أنه نوع من التدليس والتلبيس الإبليسى.

وتتكون كنيسة الشيطان الرئيسية في "سان فرانسيسكو" من قاعة الهيكل الهيكل ذات الأثاث القديم، وتابوت حجري يشبه تابوت قدماء المصريين، وكرسي هزاز كان يملكه

الراهب الروسي الشهير "راسبوتين" الذي اشتهر بفسقه وفجوره. وغرامياته التي وصلت إلى زوجة القيصر "نيقولا الثاني" الذي كان يعمل في بلاطه، وقد تم اغتياله على يد بعض النبلاء بزعامة الأمير "يوس بوف"

وفي صدر القاعة يوجد مذبح على شكل شبه منحرف، وسرير على بعد متر أو مترين من قاعدة المذبح، أمام الحائط الغربي، وهو لجلوس الضحية المقدسة التي هي دائماً فتاة شابة ذات جمال واضح رمزا لعقيدة الجسد التي تقوم عليها طقوس الكنيسة. تستلقى الفتاة على السرير، ورقبتها متجهة نحو الجنوب، وعلى يمينها توضع شمعة بيضاء رمزا لعباد الشيطان الصالحين، وعلى يسارها شمعة سوداء تمثل قوة الشيطان القاهرة، والجزء الجميل لمن يجلس قرب الشمعة البيضاء. وغرب منصة المذبح، يوضع ناقوس ومطرقة، تبدأ مراسم التعذيب وتنتهي باستخدام تسع دقات من دقاتها، وكأس قربان، مصنوع من الفضة أو الذهب، وحرية وسيف وبعض التماثيل.

والزي الرسمي لحضور القداس هو: روب أسود وقناع لوجه قبيح بالنسبة للذكور، أما الإناث فتكون ملابسهن ملابس من تتهياً لممارسة الجنس، مع بعض أدوات العنف كالجاناير والسلاسل والشرائط الجلدية والكرابيج. والجميع ذكورا وإناثا يرتدون تعويذة بها رمز الشيطان الخاصة بالكنيسة التي يتبعونها.

وحول قاعة الهيكل توجد عدة ممرات سرية لا يعرف مسارها إلا صفوة الكهنة بالكنيسة واحد من هذه الممرات، يقوم إلى غرفة الكاهن "أنطون لافي" حيث تمارس الطقوس الخاصة بعيدا عن أعين الأعضاء. وفي الكنيسة مكتبة ضخمة تتعلق محتوياتها جميعا بنشاط الكنيسة وممارستها وأسرار عقيدتها وطقوسها.

ويعرف في طقوس هذه الكنيسة ما يعرف ببرنامج القداس الأسود، لا أجد من الضرورة العلمية أن أسود صفحات هذا البحث بالقباح التي تجري فيه وهو لا يخرج عن طقوس جنسية ذميمة فيها كل المهانة لمفهوم الجنس والمرأة، وانحطاط إلى الدرك الأسفل بكرامة الإنسان.

ففي هذه الطقوس التي يرفض قلبي تسطير ما يجري فيها من إطلاق العناق للشهوات

الإنسانية المتدنية بدلا من إتباع فضائل الأديان السماوية التي تنظر للإنسان الذي كرمه الله وسخر له البر والبحر، وذلك بالعلم والعمل والسلوك القويم.

- الشيطان هو مصدر الحنان والعطف لأولئك الذين حرّموا منه وتذهب هذه الطقوس الشيطانية إلى ضرورة تجرع الحب المادي الحسي بدلا من المشاعر الإنسانية الراقية التي يدعون أنها سوف تذهب هباء.

- العلاقة تكون مع الشيطان مباشرة، حيث لا مجال للوساطة في هذه العلاقة.
- الشيطان يجسد قوة الانتقام والثأر في مواجهة مقولة، "من لطمك على خدك الأيسر فأدر له الآخر" فهم يرفضون هذه المقولة المسيحية، ويدعون إلى الانتقام والرد المباشر على الاعتداء دون مراعاة لمبادئ أخلاقية، أو سلطة مدنية في المجتمع⁽¹⁾
- الشيطان هو الملاذ الوحيد لكل من تطلق عليهم كلمة "خطاة" من وجهة نظر الأديان السماوية، وهم يدعون في هذا الشأن أن العلاقة مع الشيطان توفر الإشباع المادي والعاطفي للإنسان.

- الشيطان يمثل العمل الدائم الذي لا ينقطع عمله قط وبالتالي كما يدعون، يمكن الاعتماد عليه لأن عمله لا يتوقف وتنقسم الطقوس عند عباد الشيطان إلى:
الطقوس الجنسية، وذلك لإشباع الرغبة الجنسية.

2- طقوس "الرحمة" والتي يدعون أنها تهدف إلى مساعدة الآخرين على تجاوز المشكلات والعقبات عبر التحرر من جميع القيود والتي هي بالأساس النوازع الأخلاقية.

3- طقوس الغضب، وذلك عبر أفرع ما لدى الاتباع من مشاعر الغضب والكراهية لكل من يقف أمامهم من الأسرة أو غيرها.

(1) ولقد نبه المختصون إلى انتشار هذا الوباء بين الشباب في المجتمع الأمريكي فأنشأوا قرية حديثة تدعى "قرية الحرية الأمريكية" تقوم باستقبال المراهقين من الجنسين ممن وقعوا في شباك عبادة الشيطان، ووضعهم تحت العلاج النفسي فترة من الزمن حتى يستطيعوا أن يمارسوا حياتهم الطبيعية مرة أخرى.
كما ترسل محطات الإذاعة والتلفزيون لبث النصائح والتحذيرات من عبادة الشيطان إلى جميع الولايات الأمريكية، وتدعو الآباء والأمهات لمراقبة أطفالهم، والبحث في غرفهم عن الصور والرموز التي تدل على عبادة الشيطان، حتى يستطيعوا تدارك الأمر قبل فوات الآوان.
هذه الطقوس تم الحصول عليها مع نشر في الصحف.

4- طقوس العضوية، وهي تختلف من كنيسة إلى أخرى ومن مجموعة إلى غيرها، ولكن تنتهي جميعا إلى تفرغ العضو مما يعلق في ذهنه من أي دين أو عقيدة أخرى سابقة وتتم عملية التعميد للعضو.

وتجرى هذه الطقوس في ظل ارتداء ملابس سوداء ورمز الشيطان وسيف وجرس دائري الشكل.

وعادة ما يجتمع الاتباع في أمسيات الجمعة لممارسة الطقوس الجماعية التي يشترط وجود محور للنظر تجرى حوله ممارسة الشعائر الشيطانية واليوم المقدس لهم هو يوم ميلاد كل منهم، حيث أن الإنسان إله في ذاته.

أو يترقى عباد الشيطان إلى درجات تصل إلى الدرجة السابعة ومعيار الترقى من درجة إلى أعلى مرتبط بالاتيان بأحط الأعمال التي تقربه من الشيطان، وقد اعتبر "راسبوتين" في المرتبة السادسة أما السابعة وهي أعلى درجة في درجات كنيسة عبدة الشيطان، ولم يصل إليها من زعماء الكنائس منذ عام 1745 م غير ثلاثة فقط أحدهم من هنغاريا والآخر من أمريكا والثالث من أفريقيا.

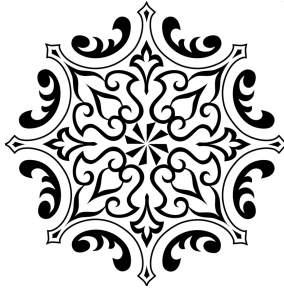
وذهبت إحدى المتخصصات في دراسة مثل هذه الظواهر وهي "اليزابيث باريت" إلى القول: بأن عبادة الشيطان ما هي إلا نموذج عصري للوثنية أو الكفر بوجود الله، وإن هذا الاتجاه ينمو في المجتمعات التي تفتقد البعد الديني الأخلاقي أو بين الشباب صغير السن الذي يعاني الفراغ أو فقدان الرعاية، وغياب الهدف، ولذلك كان منطقيا أن يركز أنطون في كتابه الشيطاني على الشباب في سن المراهقة تحت دعوى أنهم في مرحلة النمو الأسرع وبالتالي يمكن استقطابهم وشحن رؤوسهم بهذه الأفكار الخبيثة. وأسوق نصوص ما سطر تحت الوصايا العشر لمسيح الشيطان.

- 1- الشيطان يحث على الإنغماس في اللذات والأهواء.
- 2- الشيطان يمثل الحياة الواقعية.
- 3- الشيطان يمنحك الحكمة الصادقة بدلا من خداع النفس.

بالأوهام

4- الشيطان يمثل الرحمة ولكن لم يستحقها.

- 5- الشيطان يحث على الأخذ بالثأر لا على التسامح.
- 6- الشيطان يتحمل المسؤولية كاملة عن الذين هم أهل لها.
- 7- الشيطان كالحیوان أو أفضل منه قليلا وغالبا هو أسوأ من ذلك.
- 8- الشيطان يمثل جميع الخطايا التي تقود لإشباع الجسد والعقل.
- 9- الشيطان هو الذي سيحرز النصر على الله في آخر الزمان.
- 10- الشيطان هو أفضل صديق للكنيسة لذا جعلها في عمل دائم وتجارة مستمرة طوال العمر.





فصل : أعياد عبادة الشيطان أربعة

أما عيدهم الأكبر هو المسمى "الهلوين" وموعده في 31 أكتوبر من كل عام، وهو عيد قديم، ويحظى باحتفال يعم فيه الفرح والابتهاج أرجاء أمريكا احتفالاً به. ويعتقد في أن الإله يطلق أرواح الموتى في تلك الليلة لترجع إلى المنازل التي كانت تعيش فيها سابقاً قبل دخول السنة الجديدة مع فصل الشتاء الطويل، حيث تبدأ السنة عندهم في اليوم الأول من شهر نوفمبر، وبما أن اليوم كان يبدأ من غروب الشمس فالعيد يكون عشية 31 أكتوبر. أما أرواح الأشرار فتسجن في أجساد الحيوانات لمدة اثني عشر شهراً وفي ليلة الهلوين يطلق سراحها أسوة بباقي الأرواح، لترجع إلى بيوتها، ويجب على سكان تلك البيوت في تلك الليلة أن يضعوا طبقاً من الطعام لإله الموتى، كي يعفو عن تلك الأرواح ولا يرجعها إلى أجساد الحيوانات مرة أخرى، وإلا فسوف تقوم الروح بسحر البيت، وصب لعناتها على ساكنيه.

ويعد "الهلوين" أفضل أيام السنة عند هؤلاء القوم، وذلك لسهولة الاتصال بالأرواح التي تطوف أصقاع الأرض بعد إطلاق سراحها في تلك الليلة.

7 يناير عيد القديس "ونبلد" طقوس الدماء.

17 يناير عربدة الشيطان طقوس جنسية.

2 فبراير - عربدة الشيطان طقوس جنسية.

25 فبراير عيد القديس والبورجا طقوس الدماء.

1 مارس - عيد القديس "اجتاد" طقوس الدماء.

20 مارس عيد الاعتدال طقوس جنسية.

26 أبريل إلى 1 مايو الفسق العظيم طقوس الدماء.

21 يونيو عيد لانقلاب الشمس طقوس جنسية.

1 يوليو عربدة الشيطان طقوس جنسية.

3 أغسطس عربدة الشيطان طقوس جنسية.

7 سبتمبر تزويج الوحش طقوس جنسية.

20 سبتمبر زائر منتصف الليل طقوس الدماء.

22 سبتمبر عيد الاعتدال طقوس جنسية.

29 أكتوبر مقدمة الهلويين طقوس الدماء.

1 نوفمبر عيد الهلويين طقوس جنسية.

4 نوفمبر عيد عريضة الشيطان طقوس جنسية.

22 ديسمبر عيد لانقلاب الشمس طقوس جنسية.

24 ديسمبر عيد الفسق الأعظم طقوس الدماء.

هذه هي أعيادهم على مدار السنة الميلادية لا تحمل في طياتها إلا الفسق والفجور والجنس والدماء، ولا يمكن لعابد الشيطان أن يكون غير ذلك في طقوسه واحتفالاته. وأسوق بعض الرموز الشيطانية التي تردت كثيرا في الصحف - أشهر كنيسة الشيطان، عبارة عن دائرة داخلها نجمة خماسية تحوى رأس الكبش بأذنيه وقرنيه. وهي تعني عندهم "رأس الإله" الذي هو الشيطان.

ويوجد تحليل لهذا الرمز مرجعه إلى أصول فرعونية، حيث كان يوجد كبش منديس الإله الخاص بالنسل الذي حضر إلى محكمة الآله للفصل بين إله الخير "حورس" وإله الشر "ست" لكي يعطي منصب "أوزوريس" لأحدهما، فوقف الكبش منديس في صف إله الشر "ست" ومنحه المنصب.

الرمز الثاني: الصليب المعقوف:

وهذا الشعار مشترك بين فرق النازية الألمانية وكنيسة عبدة الشيطان، ويرمز إلى الشمس التي سوف تعم العالم، وتغطي الأركان الأربع للكون تحت قيادة الشيطان.

الرمز الثالث: شعار مشترك بين اليهود وعبدة الشيطان:

وتستعمل في الطقوس السحرية وتعرف بنجمة داود.

الرمز الرابع: "الانك" يرجع هذا الرمز إلى أصول فرعونية، باعتباره رامزا للحياة والخلود، ويمثل الجزء العلوي فيه الأنثى والجزء الأسفل منه يمثل الذكر.

الرمز الخامس: المذبح:

ويبنى عادة من الرخام أو الجرانيت، تتوسطه حفرة على شكل نجمة خماسية يتجمع

فيها دم الضحية، وتحوطها الدائرة لحماية الدم من الانسياب، وفي الأركان الأربعة، بعض الأدوات التي تستخدم في طقوس المذبح مثل: الخنجر أو السيف، ذو مقبض أسود، وهو الشعار الذي يرسمونه وشما على أدرعتهم شمعة سوداء. سيخ حديد للتعذيب، كأس من الفضة لشرب الدماء.

وهناك رموز كثيرة غير الذي ذكرت، وقد تختلف هذه الرموز من فرقة شيطانية لأخرى.

وإذا كانوا اختلفوا في الرموز من فرقة لأخرى لكنهم اتحدوا في خصائص تعبدية مثل: انكارهم للديانتين النصرانية والإسلام، وهدم جميع ثوابت الأديان السماوية من فضائل وقيم.

وهناك رموز كثيرة غير الذي ذكرت، وقد تختلف هذه الرموز من فرقة شيطانية لأخرى.

وإذا كانوا اختلفوا في الرموز من فرقة لأخرى لكنهم اتحدوا في خصائص تعبدية مثل: انكارهم للديانتين النصرانية والإسلام، وهدم جميع ثوابت الأديان السماوية من فضائل وقيم.

- امتهان الكتب الدينية بوطئها بالأقدام.

- امتهان حرمة الموتى، تدنيس القبور والعبث برفات الموتى.

- تناول الدماء التي يأتون بها من الحيوان أو الإنسان، وتلطيف أجسادهم والاماكن

التي يتواجدون فيها وهو أمر بعيد كل البعد عما يليق ببني البشر. والمتأمل فيما ورد من بعض نصوص "الإنجيل الأسود" يجد فيه ذلك.

التركيز على الآتي: الحياة هي الملذات والشهوات، والموت هو الذي سيحرمننا

منها، أغتتم الفرصة الآن للاستمتاع بهذه الحياة، فلا حياة بعد الحياة ولا جنة ولا نار.

نحن لم نعد أولئك الناس الضعفاء المتوسلين إلى الله الخائفين منه، إنه لا يهتم بنا

كبشر، سواء عشنا أم متنا، ليس عنده شيء من الرحمة، هذا أن كان يوجد إله كما يدعون.

الحرية هي حرية العقيدة، والوجود هو الوجود الملموس والحكمة ألا تخادع نفسك

أو تنافقها، ولا يعطي الحب لغير مستحقه المحتاجين إليه، والخير هو الانتقام بلا اعتدال، فالإنسان كالحیوان والكل فاسد، وليختر كل واحد الإله الذي يناسبه. الصلاة غير نافعة، ومعطلة للناس عن العمل المقيد، مارس المتعة بارتكاب السبع الموبقات في المسيحية، الكبر، الغيرة والغضب والمتعة الجسدية والشهوة والكسل والجشع، أفعل مع الآخرين كما يفعلون معك، والانتحار عبث. عند الاحتفال بعضو جديد يختار لنفسه أحد أسماء شياطين ثلاثة "لوسوفير" و "بلبال" و "لافيثان".

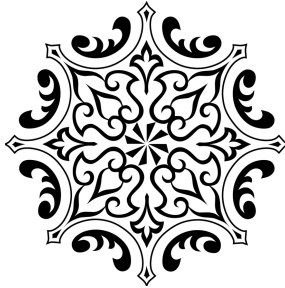
ارتبط مع من تحب جنسيا رغبتك، خذ شهوتك ممن تحب، ليكن تركيزك قويا في استمتاعك، لتكن شهوتك تامة مع نفسك، أو مع آخر، أو مع آخرين، وليكن ذلك بين البالغين.

وهناك الكثير والكثير من تعاليم وطقوس هذه العبادة الدخيلة والعدوة للأديان لقد عف قلمي في سرد الكثير مما وقع تحت أيدينا من طقوس هذه العبادة والتي استحوذ على أصحابها الشيطان فزين وأباح لهم كل شيء.

وتأكد ظهور طائفة من عبدة الشيطان في كينيا تستخدم البشر كقربان للشيطان وأن أتباع المذهب يشربون دماء الضحايا، ويغتصبون الأطفال، وجاء في تقرير اللجنة الحكومية التي قامت بدراسة الظاهرة، وإجراء مقابلات مع أفراد الطائفة والذين مارسوا طقوسها، أن طقوس عبادة الشيطان تضمنت استخدام البشر كقربان للشيطان. أي ذبح البشر وتقديمهم للشيطان، وشرب دماء الضحايا من بني البشر، وأكل لحوم الضحايا والتجرد الكامل من الملابس في أثناء أداء الطقوس الشيطانية، وممارسة الجنس الجماعي، والتركيز على اغتصاب الأطفال والفتيات القاصرات، وتعاطي الحبوب المخدرة بشكل جماعي وممارسة الطقوس في وجود أنواع مختلفة من الشعابن.

وإذا أردنا في ختام هذه الجولة في طقوس وعبادة هؤلاء الشياطين أن نضع لهم بعض المفردات ماذا سنجد؟ انفلات، جنس محموم وشاذ ومريض، غرائز بهيمية لا يمكن أن ترقى للإنسانية، قرابين حيوانية وأدمية، دماء تستخدم في أغراض شتى في طقوسهم،

انكار للأديان، وبالتالي للقيم والفضائل، البعد عن كل الصفات الكريمة التي يتخلى بها مفهوم الإنسانية،
 تعذيبات بشعة في ممارستهم لحياتهم الجنسية، موسيقى صاخبة لا ترقى بذوق ولا
 تؤدي إلى تربية، وغاب من قاموس حياتهم مفردات القرب من الله، وحل مكانة
 مفردات الشيطان التي تقود إلى كل فجور وعصيان من مخدرات.





فصل : الموسيقى ودورها في هذه العبادة

الموسيقى التي أتكلم عنها، موسيقى الفساد للأذن والنفس والمثيرة للشباب الذي لا تنقصه الإثارة، فالشباب بطبيعته لديه الطاقات، ولديه الجنوح، ثم نضيف له هذا البنزين الذي اسمه "الديث والبلاك ميتال"، وموسيقى "الروط" والفرقة الموسيقية التي تدعي "Deicide" (أي قاتل الإله)، وفرقة "كراك أوف دوم" وموسيقى الهيفي ميتال، و"الهارد روك" فهذه الموسيقى تتميز بالصخب والسرعة والإثارة، وتعد إحدى الروابط القوية التي تربط عباد الشيطان بعضهم ببعض في الأماكن المختلفة.

والزواج والأمريكيون هم أول من أسس ما يعرف بموسيقى "البلوز" في الولايات المتحدة في الأربعينيات من هذا القرن، وهذه الموسيقى ارتبطت من البداية بالتائم والأدعية السحرية الشيطانية المأخوذة من الديانات الأفريقية الوثنية وامتزجت هذه التائم والشعائر بالشعوذة الأوربية، والاستعانة بالشيطان من التقاليد التي تحارب الديانة المسيحية مثل شرب الدماء والصليب المقلوب، ونجد التعاطف مع الشيطان، وهذا واضح في كلمات قصائدهم وأسلوب حياتهم وأغاني مطربهم.

ولعباد الشيطان شعراء متخصصون في كتابة الكلمات التي تعظم الشيطان وتثير الغرائز، وقد استعملت في ذلك أرقى القواعد والأساليب العملية والنفسية لدفع الشباب نحو الثورة على واقعهم وبيئتهم وأمهاتهم وأبائهم ثم على قيم ومعتقدات قيمهم وبالتالي تكون النتيجة الطبيعية في تهيتهم للقيام بالأعمال الاجرامية.

وبجانب شعرائهم هناك الملحنون الذين ينظمون هذه الكلمات ومعانيها والمفاهيم السوداء، التي تحويها بالموسيقى الصاخبة ذات الإيقاع السريع التي أصبحت من سمات هذا العصر. ونظرة فاحصة على أسماء هذه الفرق نجدها جميعاً شجرة خبيئة تطرح حولها الخبث والشياطين.

وللأسف أن هناك كثيراً من الشياطين والشابات كانت لغة وكانت هي المدخل للإنجازات الذي حدث بين أولاد الاسكندرية والقاهرة، وبعد مرحلة الجذب الموسيقي تتوالى طقوس عبادة الشيطان. والتي وجد منها هؤلاء الصبية شيئاً جديداً وغريباً

ومبهورا، فهي للأسف كانت بداية الطريق التي جمع رفاق السوء في الحفلات الماجنة والتي لم ينكرها أحد من أسر هؤلاء الشباب ولم يستنكروا ما ارتكب فيها من فساد للشباب وتجهيهم للقيم والأخلاق، وسوف تنصب الصفحات التالية على ما أصاب هؤلاء الأولاد. ومنافذ الخطر وكيف الخروج من هذا المأزق⁽¹⁾.

وأخيراً فقد عادت هذه العبادة من جديد عن طريق السينما والمسرح والأسطوانات، والديسكات، والنت، ولأنه ليس عليه رقيب فأصبح الوسيلة التي تمثل الخطر الحقيقي الدايم الذي يدخل في غفلة الآباء والأمهات إلى البيوت ومراكز النت المنتشرة في كل مكان، وهي وإن لم تلق رواجاً عن الفقراء والجهلة والعوام، لكن لقيت رواجاً عن المترفين كما قال تعالي وهو يبين أن من أسباب هلاك الأمم والقري والبلاد تسلط المترفين عليها فقال سبحانه: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: 16] وقرأ بعضهم (أمرنا) فعندما ظهرت هذه العبادة مؤخراً وبالتحديد في أوائل عام 1997 م، ظهرت في "المهندسين" معقل المترفين، وكانت الحكومة المصرية لها بالمرصاد - والحمد لله - واعتقلت أفراد هذه الطائفة الإبليسية، لكن بعدها بعشرة أعوام أو يزيد وفي منتصف شهر رمضان الماضي 1429 هـ، أي في شهر 9 / 2008، ظهرت مرة أخرى، ونشرت الجرائد والصحف المصرية عن إعتقال بعض أفرادها مرة أخرى.

ولقد ورد في تحقيقات جريدة الأهرام بتاريخ 31 / 1 / 1997 م تحقيق بعنوان من أخطر الحقائق التي يتكشفت أمام أجهزة الأمن قد أكدت أن الأفكار المسمومة التي انساقوا وراءها - كانت تروج لها مجموعة أسطوانات الليزر وشرائط الكاست، وقد اعترف أحد هؤلاء الشباب. بمراسلة الشركات التي تروج لهذه الأفكار من الخارج عن طريق الكمبيوتر، وقام بتخزين 15 صورة من صور الشيطان تمهيداً لتوزيعها على الأعضاء داخل الجماعة بعد حصوله عليها كما اعترف أحد المتهمين بأنه سافر مع والده

(1) من كتاب العبادة الشيطانية وجذورها التاريخية للدكتورة أمنة محمد نصير، من جملة إصدارات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. وكتاب اليزيدية للإستاذ أحمد تيمور. وكتاب عبدة الشيطان للأستاذ عبد الرازق الحسني وكتاب اليزيد به للدملوجي.

السفير لأستراليا وهناك أطلع على أفكار "عبدة الشيطان" وحمل على شرائط كاست وأسطوانات ليزر لتوزيعها على الجماعة، ولم يقف عن ذلك، بل إنه تبادل المطبوعات وطقوس هذه العبادة من وسائل الاتصالات. المستمرة بين هولاء الشباب وأصحاب عقيدة "عبدة الشيطان" وفي أهرام 3 / 3 / 1997 م تحت عنوان (السينما وعبادة الشيطان) لجنة البحث البرلمانية للفيديو بربطانيا أصدرت تقريراً بأنه هناك أكثر من 40٪ من الأطفال والشباب. يميلون لمشاهدة أفلام الخيال والعنف والشرور وهم في تزايد مستمر ومن هنا ازدهر في الجرائم وخاصة ما تحمله هذه الأفلام من طرق القتل، وكذلك جرائم الكمبيوتر مثلما شاهدنا في فيلم الشبكة.

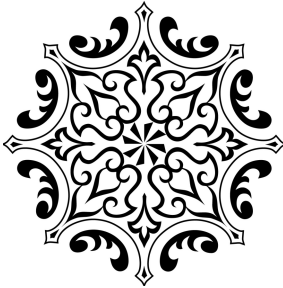
وقد زادت نسبة الجرائم بربطانيا بنسبة قدرها 38.9٪ وفي نيويورك إلى 44٪ وتعتبر باريس أقلها 34.4٪ وقالوا عنها يوماً أن شباباً قطرياً دخل بعض الأماكن الخربة فوجد الشيطان على صورته الحقيقية، وكان معه كميرة تصوير، فصوره ثم مات!!!! ثم نسي الناس ما حدث. وفي ذات الوقت كانت القناة الثانية المصرية تزيح مسلسلاً أجنبياً لا أدري ما أسمه الآن لكن بطله اسمه "هرقل" وبطلته تسمى "زينا" وكان شبه عرايا، كما هو الحال في جميع أفراد المسلسل، وهو يمثل هذه المعتقدات الشيطانية وكنت تمشي في الطرقات ساعة إزاعة هذا المسلسل نجد الشوارع خالية من الناس، ووسائل المواصلات سهلة جداً، لأن جميع الناس، إلا من رحم أمام هذا المسلسل الذي يمثل جزء من عبادة الشيطان، وومتقدات هذه الجماعة، ومن دون شك فقد تأثر كثير من الناس صغاراً وكباراً بهذا المسلسل، حتى أن شركات "الشبسي" و"الكارتية" أخرجت لنا نوعان منها باسم هرقل وقد تصدرت صورته الكرتونية التي تحمل المنتج، وكذلك صورة "زينه" وهم عراة!!.

هذا بخلاف أفلام الرعب التي تسيطر الآن على القنوات، وأفلام الكرتون، وعالم سمسسم وهو في الحقيقة "سم × سم".

ولو هناك باحث منصف يجلس لهذه القنوات، لاستخرج منها الوسائل التي وصلت من خلالها عبادة الشيطان إلى بلادنا - ولا وجد أن ثلثي ما يبث في هذه القنوات عبادة شيطانية - والله المستعان.

فإلي الأب الأمين ، وإلي الأم الأمينة ، نقول :

يجب مراقبة النت ، والكمبيوتر ، والتلفاز ، والشرائط وجميع الأجهزة التي تقرب العالم من بعضه حتى التلفون المحمول وغيره - كل هذه الأجهزة يجب مراقبتها ، قبل أن تصبح يوماً فتجد ابنك ساجد للشيطان ، أو يعبد صنماً ، أو كلاباً ، أو خنزيراً ، أو امرأة ، إلخ !!! .



(25)



صد الشيطان

الصد يأتي على معاني منها :

الضحك : قال الخليل بن أحمد ، تقول : صد يصد صدًا ، وهو شدة الضحك والجلبة ، قال الله تعالى ﴿ إِذَا قَوْمٌ مِّنْهُ يَصُدُّونَ ﴾ [الزُّخْرُف: 57] أي : يصدون ويضحكون .
ويعنى : عدلته عنه : قال : وصددته عن كذا صده صدا ، أي عدلته عنه وصدت عنه بنفسه صدوداً⁽¹⁾ .

ويعني الضَّبْح والعج ، قال في " المحكم " (8 / 173) :

" وصد يصد صدًا ، ضَحَّ وَعَجَّ ، وفي التنزيل : ﴿ إِذَا قَوْمٌ مِّنْهُ يَصُدُّونَ ﴾ فيصدون : يضْبُحون ، يصدون : يعرضون .
والصدد : الصدُّ : الإِعْرَاضُ وَالصُّدُوفُ .
صدَّ عنه يصدُّ وَيَصُدُّ صَدًّا ، وَصَدَّدًا : أَعْرَضَ ويقال : صَدَّه عن الأمر يَصُدُّه صَدًّا : منعه وصرفه عنه وفي " التنزيل : ﴿ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ ﴾ [النمل: 24] أي : صرفه والصد : الهجران ، ومنه " فيصد هذا ويصد هذا " أي : يعرض بوجهه عنه . راجع اللسان مادة (صدد) .

والصد ورد في كتاب الله تعالى في واحد وأربعين موضعاً ، في ثلاث وعشرين سورة . والصد لم يختص به الشيطان فحسب ، بل هناك من يستخدم الصد ، لصراف الناس عن الإيِّان مثل الكفرة والمشركين وعُبَاد الأَصْنَام . وهذا الصد الذي كان يستخدمه أهل الشرك والكفر ، أكثر ما ذكر في القرآن ، فقد ذكر صد الكفار في أكثر من خمسة وعشرين موضعاً ، أما صد الشيطان فقد وقع في القرآن في أربعة مواضع فقط ، وإن كان الصد كله بأشكاله وطرقه من الشيطان . وهذا بيان تفصيلي لما ورد عن " الصد " في القرآن الكريم .

أولاً : صد استخدمه الشيطان ، وورد في أربعة مواضع .

(1) كتاب العين للخليل بن أحمد (2 / 382) مادة " صدد " .

ثانياً: صد المنافقين وورد في القرآن في نحو خمسة مواضع .

ثالثاً: صد المشركين وورد في نحو خمسة وعشرين موضعاً .

رابعاً: صد فرعوني ، استخدمه فرعون وقد ورد في موضع واحد .

خامساً: صد ممدوح وقد وقع مرة واحدة ذلك من نبي الله سليمان عليه السلام من قوله تعالى:

﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُونَ اللَّهَ ^ط﴾ [النمل:43]

والصد الذي وقع من هولاء قديماً - دون الخامس - وقع بأساليب مختلفة منها:

الصد المالي لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ

فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾

[الأنفال:36] وقد أخرج ابن إسحاق (3 / 3) بتحقيقي ، وعنه ابن جرير في " تفسيره

" (16077) وفي " تاريخه " (2 / 500) " لما أصيبت قريش يوم بدر ، ورجع فلهم إلى

مكة ، ورجع أبو سفيان ، بعيره ، مشي عبد الله بن أبي ربيعة ، وعكرمه بن أبي جهل ،

وصفوان بن أمية ، في رجال من قريش أصيب أبأؤهم وأبنأؤهم وإخزانهم بدر ، فكاموا

أباسفان ابن حرب ، ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة ، فقالوا : يا معشر

قريش ، إن محمداً قدو تركم ، وقتل خياركم ، فإعينونا بهذا المال على حرب ، لعلنا أن

ندرك منه ثأراً بمن أصيب منا ! ففعلوا . قال : ففيهم - كما ذكر ابن عباس - أنزل الله عز

وجل الآية . ونقل الحافظ ابن كثير ذلك في " تفسير " (4 / 57) وقال :

وهكذا روي عن مجاهد ، وسعيد بن جبير ، والحكم بن عتيبة ، والسدي وابن أبي

أبزي : أنها نزلت في أبي سفيان ونفقته الأموال في أجدٍ لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم - ثم قال :

رحمه الله :

" فقد أخبر الله تعالى أن الكفار ينفقون أموالهم ليصدوا عن اتباع طريق الحق ،

فسيفعلون ذلك ، ثم تذهب أموالهم ﴿ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ [الأنفال:36] أي :

ندامة ، حيث لم تجد شيئاً لأنهم أرادوا إطفاء نور الله ، وظهور كلمتهم على كلمة الحق ،

والله متم نوره ولو كره الكافرون ، وناصر دينه ، ومعلن كلمته ، ومظهر دينه على كل دين ،

فهذا الخزي لهم ، في الدنيا ، ولهم في الآخرة عذاب النار ، فمن عاش منه أي بعينه وسمع

بأذنه ما يسوؤه، ومن قتل منهم أو مات فيالي الخزي الأبدي، والعذاب السرمدي، ولهذا قال: ﴿فَسَيَنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال:36] قلت: من تأمل هذه الآية حق التأمل وجد أن أكثر أهل الأرض صادون عن سبيل الله ومن جميع الملل والنحل، وهم لا يشعرون.

اما أهل الكفر والإلحاد فمعروف ما عندهم، وما يمكرونه ضد الإسلام وأهله، وما يجندونه من أموال وطاقات للصد عن سبيل الله. لكن المصاب الأعظم هو أن تجد أهل الإسلام يصدون بأموالهم عن سبيل الله.

فبناء المسارح، والسينمات، والملاهي، وصناعة السياحة ومصانع الخمر، والسجائر، والملاهي الليلية، وبناء الكنائس والأندية الكروية، والأموال التي تنفق على أهل العفن الفني، وغيرها شاهدة على هذا الواقع المر، ومبرهنه على الصد الحقيقي عن دين الله. والأموال التي تبذل من قصور الثقافة على طبع الكتب والروايات التي تشيع الفاحشة في مجتمع المسلمين.

وليست مكتبة الإسرة عنا ببعيد؟! .

في الوقت الذي لا يجد فيه عالم من أعلام المسلمين ما ينفقه لطبع كتاب ينفع الإسلام والمسلمين.

حتى بيوت الأيتام التي في أيدي سفهاء لا يحسنون التصرف في أموال الأيتام، فيأتون بالمغنين والراقصات وينفقون عليهم أموال الأيتام لأحياء ليلة للأيتام! . ومنذ أيام قلائل طالعتنا جريدة الجمهورية عن إعلان في مساحة نصف صفحة كلف الآف، وذلك لدعوة الأغنياء لحضور الحفل السنوي لدار أيتام في مدينة دمنهور التابعة لمحافظة البحيرة ويحي هذه الليلة المغني فلان الذي حصل على 75 ألف جنيه فقط، وترك باقي أجره للأيتام!!!! .

هولاء، وهولاء صادون عن سبيل الله تعالي من غير شك .

الرجل الذي اشترى لأولاده جهاز تلفاز من ماله، فقد أنفق ماله ليصد عن سبيل الله. والذي بني محلا لبيع السجائر وخلافه، صاد عن سبيل الله .

والذي بني محلاً لحلق اللحي وتنميص الرجال ، صاد عن سبيل الله والذي بني محلاً لبيع أشرطة الفيديو ، والغناء ، هو الآخر من أكبر الصادين عن سبيل الله .

وحصر الذين يصدون عن سبيل الله وهم لا يشعرون عسير جداً ولم يكن الصد بالمال عن سبيل الله هو الأول والآخر ، بل هناك صد بالكلمة ، وصد بالاستهزاء والسخرية والضحك ، أما الصد بالدعوات الباطلة فهو على قدم وساق .

فالمذاهب الفكرية المعاصرة ، والأحزاب المناهضة للإسلام ، الداعين لها ، والمدافعين عنها ، والذين ينفقون أموالهم لترويجها ، صادون عن سبيل الله .

العالمانية: أو اللادينية ، ويهتفون بالحكم والمرجع إلى العلم ، أي الدنيوي لا العلم الشرعي ، ويقومون بنشر هذا المذهب داخل الجامعات حتى الإسلامية ، وعلى قنوات الإباحة ، هولاء صادون عن سبيل الله ، الديمقراطية : وهي حكم الشعب بالشعب وللشعب ، ويحاول أصحابها إرساءها في بلاد المسلمين ، وصنعوا للديمقراطية تماثيل ، وجعلوا منها دين ، يدان به الله تعالى !! .

واتباعها يتشدقون بها ليل نهار ، وصباح مساء ، لا يفتر ولا يصابون بالملل ، وعندهم همة عالية في إشاعة مذهبهم ، ولو بالسلاح والقهر والظلم ، وسخروا كل طاقاتهم ، وأسلحتهم لتمكين مذهبهم في البلاد - والعجب أنهم يقولون : هذا شيء والإسلام شيء آخر !! .

والشيوعية التي تحطمت صنمها وانهارت في جميع بلاد الغرب حتى التي تأسست فيها ونشأت بها الشيوعية ، لكن مازالت موجودة ولها اتباع في البلاد الإسلامية ، وأقلامهم المسمومة تكتب عنها ليل نهار ، هولاء وغيرهم من أكبر الصادين عن سبيل الله تعالى .

والشيعة ، بكل فرقهم صادون عن سبيل الله ، وأظهروا للعالم الغربي المتعطش للدين الحق على أن الإسلام ما هو إلا إراقة دماء ، وضرب الرؤوس بالسيوف ، والسجود على التربة الطاهرة ، وذم الصحابة ، وتأليه بعض أهل البيت ، هولاء من أعظم الصادين عن سبيل الله تعالى .

وغيرهم - من أصحاب الملل والنحل ، والمذاهب والفرق ، والأحزاب التي تخالف منهج أهل السنة - كلهم صادون عن سبيل الله تعالى :

أما عن صد المنافقين ، وهم الذين ابطنوا الكفر وأظهروا الإسلام فيأتي على صور ، وكلها ترجع إلى تشوية صورة الإسلام ، واحتقار المتمسكين به ، ومعاداة أهل السنة ، ورميهم بأبشع التهم ، والألقاب - مثل الإرهاب ، الخوارج -

المتصوفة : عباد القبور ، وأصحاب . الموالد ، الداعين إلى الشرك ، المتقربين إلى غير الله تعالى ، المهتمين بالشطح والنطح ، ومخالفة الدين الحق - هو لاء من أعظم الصادين عن سبيل الله تعالى .

الممثلين والمغنيين ، الذين يشيعون الفاحشة في مجتمع المسلمين ، من أكبر الصادين عن سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ! وقس على ذلك كل من استخدم وقته وقلمه وماله ولسانه لغير الله تعالى ، أو لخدمة دين الله تعالى والدفاع عنه ، فهو من الصادين عن سبيل الله تعالى .

وكل هؤلاء من جنود إبليس ، ودعاة الشيطان ، الذين استخدمهم الشيطان للصد عن دين الله تعالى ، فهم يعملون لحساب إبليس وباعوا أنفسهم للشيطان ، وسخروا أموالهم وأوقاتهم وما يملكون لخدمة الشيطان وإظهار دين إبليس على دين الله تعالى ! .
أما صد الشيطان فقد ورد في هذه الآيات .

الأولي قوله تعالى ﴿ وَجَدْتَهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ [النمل: 24]
قال القرطبي : رحمة الله :-

" فصدهم عن طريق التوحيد ، وبين بهذا أن ما ليس بسبيل التوحيد فليس بسبيل ينتفع به على التحقيق ﴿ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ إلى الله وتوحيده " (1) .

قال ابن كثير - رحمة الله :-

فصدهم عن السبيل " أي " : لا يعرفون سبيل الحق التي هي إخلاص السجود له وحده دون ما خلق من شيء من الكواكب وغيرها " (2) .

(1) تفسير (1687)

(2) تفسير (6 / 201)

الآية الثانية: قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ [المائدة: 91] وسبق أن تكلمنا عن هذه الآية ، والمقصود أن الشيطان يصد أهل الكفر عن سبيل الحق ، فلا يرونه ، ويرونه باطلاً ، فيمنع أهل الكفر من قبول الحق ، ومن رؤية الحق ، والدخول في الإسلام . ويصد أهل الإيمان عن ذكر الله ، وعن الصلاة ، إما أن ينسيهم ذلك ، أو يستخدم أشياء أخرى للصد ، مثل أن يدهم على الخمر ، أو يلهيهم بأداوت اللهو الكثيرة المختلفة عن ذكر الله وعن الصلاة إن تركهم يصلون ، فيشغلهم في الصلاة ، ويصرفهم عن الخشوع ، إن أحسنوا الخشوع والركوع والسجود فيكون ذلك للرياء ، فهو لا ينام ، ولا يرتاح ، ولا يهدء ، ولا يكل ولا يمل ، حتى يفسد على العبد صلاته وعبادته بكل وسائل الفساد - لعنه الله - بصد المرأة عن قبول الحق ، فلا يدعها إلا متبرجة ، أو سافرة ، وتقول الإسلام شيء ، والحرية الشخصية شيء آخر !! .

الآية الثالثة قوله تعالى :

﴿ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ [النمل: 24] في هذه الآية استخدم التزين للصد عن سبيل الله ، فهذا نوع آخر من الصد ، وياليهم كانوا قد وقعوا في التزين وهم جهلة لا يسلمون ، لكن وقعوا في التزين وقبلوا الصد وهم بصراء بالحق كما قال مجاهد ، عالين به ، وهو ما زاد من الخطب .

الآية الرابعة قوله تعالى :

﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفِضَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: 36، 37] .

ابن الجوزي - رحمه الله - في " زاد المسير " (7 / 315) : قوله (ومن يعش) فيه ثلاثة أقول :

أحدها : يعرض ، قاله الضحاك عن ابن عباس ، وبه قال : قتادة ، والفرء والزجاج .
والثاني : يعم ، روي عن ابن عباس أيضاً ، وبه قال عطاء ، وابن زيد والثالث : أنه البصر الضعيف ، حكاه الماوردي .

وقال أبو عبيدة : تُظلم عينه عنه .

وقال الضراء : من قرأ " يَعِشُ " فمعناه : يُعرض . ومن نصب الشين " يَعِشُ " أراد يَعْمَ عنه .

قال ابن قتيبة : لا أري القول إلا قول أبي عبيدة ، ولم يز أحداً يجيز " عشوت " عن الشيء : أعرخت عنه ، إنما يقال " تعاشيت عن كذا " أي : تغافلت عنه ، كأني لم أره ، ومثله : تعاميت والعرب تقول : " تموت إلى النار " إذا استدلل إليها ببصر ضعيف .
قال المضرون : " وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ) فلم يَخْفَ عقابه ولم يلتفت إلى كلامه (نقيض له) أي : نسب له (شيطاناً) فنجعل ذلك جزاءه (فهو له قرين) لا يفارقه (وإنما) يعني الشياطين (ليصدونهم) يعني الكافرين ، أي : يمنعونهم عن سبيل الهدي وإنما جمع ، لأن " مَنْ " في موضع جمع (ويحسون) يعني كفار بني آدم (أنهم) على الهدي .
قال الرجّاج : " أن من أعرض عن القرآن وما فيه من الحكمة إلى أباطيل المضلين نعاقبه بشيطان نقيضه له حتى يضلّه ويلازمه قريناً فلا يهتدي ، مجازاة له حين أثر الباطل على الحق المبين " (1) .

قال ابن عطية - رحمة الله - :

فالمعني في الآية : " ومن يقل نظره في شرع إليه ويغمض جفونه عن النظر في ذكر الرحمن ، أي فما ذكر به عباده ، فالمصدر إلى الفاعل (نقيض له شيطاناً) أي نيسر له ، ونعد ، وهذا هو العقاب على الكفر بالحثم وعدم الفلاح ، وهذا كما يقال : إن الله يعاقب على المصيبة بالتزديد في المعاصي ، ويجازي على الحسنة بالتزديد من الحسنات (2)

قال القرطبي : رحمه الله - :

" فمن يعش عن ذلك الذكر بالإغراض عنه إلى أقول بل المضلين وأباطيلهم (نقيض له شيطاناً) أي : نسب له شيطاناً جزاء له على كفر (فهو له قرين) قبل : في الدنيا ، يمنعه من الحلال ، ويبعثه على الحرام ، وينهاه عن الطاعة ، وبأمره بالمعصية .

(1) معاني القرآن (ص 200) وتقله الواحد في " الوسيط (4 / 72)

(2) المحرر الوجيز (5 / 55)

وقيل : في الآخرة إذا قام من قبره ، قاله سعيد الجريري ، وفي الخبر : أن الكافر إذا خرج من قبره يشفع بشيطان لا يزال معه حتى يدخل النار ، وأن المؤمن يشفع بملك حتى يقضي الله بين خلقه .

وقوله ﴿ **وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ** ﴾ [الزُّخْرُفُ: 37] أي: وإن الشياطين ليصدونهم عن سبيل الهدي

وقوله ﴿ **وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ** ﴾ [الزُّخْرُفُ: 37] وقيل : ويجسب الكفار أن الشياطين مهتدون فيطبعونهم " (1) .

قلت : ليس ببعيد أن يكون جمال البنا وأمثلة معهم جملة من هولاء الشياطين ، وذلك بقدر الغناء الذي يخرج من ألسنتهم !! لهذا قال النيسابوري :

" ثم بين أن مادة كل الآفات وأصل البليات هو السكون إلى الدنيا والركون إلى أهلها ، فإن ذلك بمنزلة الرمذ للبصر ، ويصير بالتدريج كالعشي ، ثم كالعمي ، فقال ﴿ **وَمَنْ يَعْسُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ** ﴾ [الزُّخْرُفُ: 36] أي عن القرآن يعرف أنه الحق ولكنه يتجاهل (2)

وفي الآية الخامسة ، قال الله تعالى : ﴿ **وَلَا يَصُدُّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ** ﴾ [الزُّخْرُفُ: 62]

قال القرطبي : " أي : لا يغتروا بوساوسة وشبه الكفار المجادلين ، فإن شرائع الأنبياء لم تختلف في التوحيد ولا فيما أخبروا به من علم الساعة وغيرها بما تضمنته من جنة أو نار " (3)



(1) تفسير القرطبي (8 / 400)

(2) غرائب القرآن (10 / 108)

(3) القرطبي تفسير (8 / 415)

(26)



أولياء الشيطان

الولاية: النصرة .

وقبل : السلطان

وقيل : الولي المتصرف في الأمور

والولي : الذي يلي الأمور والكفالة .

ولها معان كثيرة ، فراجع اللسان مادة " ولي "

ولقد جاء في القرآن ولاية الشيطان في عشرة مواضع ، نذكرها ونذكر معها أقوال أهل العلم ، ثم نلخص هذه الولاية وعواقبها . الآية الأولى ، قوله تعالى .

﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: 175]

قال ابن الجوزي في " الزاد " :

قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ ﴾ قال الزجاج : معناه : ذلك التخويف كان فعل الشيطان سوّله للمخوفين .

وفي قوله تعالى ﴿ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ﴾ قولان :

أحدهما : أن معناه : يخوفكم بأوليائه ، قاله الفراء ، واستدل بقوله تعالى : ﴿ قِيمًا

لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا ﴾ [الكهف: 2] : أي ببأس ، وبقوله تعالى ﴿ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴾ [غافر: 15]

أي : بيوم التلاق .

وقال الزجاج : معناه : يخوفكم من أوليائه ، بدليل قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا ﴾

وهذا قول ابن عباس ، وسعيد بن جبير وعكرمة وإبراهيم ، وابن قتيبة .

والثاني : أن معناه : " يخوف أوليائه المنافقين ، ليقعدوا عن قتال المشركين ، قاله

الحسن ، والسدي ، وذكره الزجاج "

وقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ ﴾ يعني : أولياء الشيطان " وخافون في ترك أمري "

وقال ابن عطية في المحرر" (1 / 5431 - 544)

" مقتضي (إنما) في اللغة الحصر ، هذه منزع المتلكم بها من العرب ، ثم أنظر مقتضاها عقلاً - وهذا هو نظر الأصوليين فهي تصلح للحصر وللتأكيد الذي يستعاد له لفظ الحصر ، وهي في هذه الآية حاصرة ، والإشارة بـ (ذلكم) إلى جميع ما جري من أخبار الركب العبديين عن رسالة أبي سفيان من تحميل أبي سفيان ذلك الكلام ، ومن جزع من ذلك الخبر من مؤمن أدمتزدد و (ذلكم) في الإغراب ابتداء ، و (الشيطان) مبتدأ آخر ، و ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ خبر عن الشيطان والجملة خبر الابتداء الأول ، وهذا الإغراب خير في تناسق المعني من أن يكون (الشيطان) خبر (ذلكم) لأنه يجي في المعني استعارة بعيدة و (يخوف) فعل يتعدي إلى مفعولين - لكن يجوز الاقتصار على أحدهما إذا الآخر مفهوم من بنية هذا الفعل ، لأنك إذ قلت : خوفت زيداً فمعلوم ضرورة أنك خوفته شيئاً حقه أن يخاف ، وقرأ الجمهور ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ فقال قوم المعنى : يخوفكم أيها المؤمنون أوليائه الذين هم كفار قريش ، فحذف المفعول الأول ، وقال قوم : المعنى : يخوف المنافقين ومن في قلبه مرض وهم أوليائه ، فإذا لا يعمل فيكم أيها المؤمنون تخوفه ، إذ لثم بأوليائه ، والمعنى : يخوفهم كفار قريش ، فحذف المفعول الثاني ، واقتصر على الأول ، وقرأ ابن عباس فيما حكى أبو عمرو الداني " يخوفكم أوليائه " والمعنى : يخوفكم قريش ومن معهم ، وذلك بإضلال الشيطان لهم وذلك كله مضمحل ، وبذلك قرأ النضعي وحكي أبو الفتح بن جني عن ابن عباس أنه قرأ " يخونكم أوليائه " فهذه قراءة ظهر فيها المفعولات ، وفسرت قراءة الجماعة ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ قراءة أبي بن كعب (يخوفكم بأوليائه) والضمير في قوله (فلا تخافوهم) لكفار قريش وغيرهم من أولياء الشيطان ، حقر الله شأنه وقوي نفوس المؤمنين عليهم وأمرهم بخوفه هو تعالي وأمثال أمره ، من الصبر والجلد .

أما القرطبي فقال :

قال ابن عباس وغيره : " المعنى يخوفكم أوليائه أي : بأوليائه أو من أوليائه أي :

يخوف المؤمنين بالكافرين .

أما الحسن والسدي فقالا : المعني : يخوف أولياء المنافقين ليقعدوا عن قتال المشركين فأما أولياء الله فإنهم لا يخافونه إذا خوفهم "

وأنا أرجح الثاني لغماً ومعناً وسنداً ، فإن تفسير ابن عباس رواه عنه ابن جرير (4 /

122) بسند ضعيف مقطوع ، وإن كان له وجه في اللغة لكنه مرجوح ، والله أعلم .

ثم قال القرطبي : قوله تعالى (وخافون) أي : خافون في ترك أمري إن كنتم

مصدقين بوعدتي ، والخوف في كلام العرب الذعر ، وخاوفني فلان فخفته: أي : كنت أشد خوفاً منه "

ثم قال " ففرض الله تعالى على العباد أن يخافوه فقال ﴿ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل

عمران:175] (1) .

قلت : الجزء من جنس العمل ، فمن اتخذ غير الله ولياً عوقب بهذا الخوف ولأن

ولاية غير الله مذلة ومهانة ، فكان الخوف الذي ينتظر كل من اتخذ الشيطان ولياً من دون الله تعالى .

أما ولاية الرحمن فتكسب صاحبها عزة وكرامة، ثم أمناً في الدنيا والآخرة قال تعالى:

﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [يونس:62] فمن اتخذ الله

ولياً فهو في أمن ولا يلحقه خوف في الدنيا والآخرة ، بخلاف من اتخذ الشيطان

ولياً يلحقه الخوف ، ويدركه الحزن ، وتسيطر عليه الوسوس والأوهام ، جزاءً وفقاً .

الثانية قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِنُّونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقِنُّونَ فِي سَبِيلِ

الطَّاغُوتِ فَتَقِنُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء:76]

قال الواحدي في " الوسيط " (81/2) :

" قوله عز وجل ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِنُّونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ في نصره دين الله وهو سبيله

الذي يؤدي إلى ثوابه ورحمته ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ يعني : المشركين واليهود والنصاري

﴿ يُقِنُّونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ ﴾ في طاعة الشيطان ﴿ فَتَقِنُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ ﴾ قال ابن

عباس عبدة الأصنام ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ﴾ سعيه في إيقاع الضرر بالمؤمنين على جهة الاحتيال ﴿كَانَ ضَعِيفًا﴾ يعني : خذل لأنه إياهم يوم قتلوا ببدر .
والتفاسير على كثرتها لم تروظمى ، ولم تشف غليلي في توصيح المعنى وبعضهم لم يتكلم عنها بشيء ! .

ومن التعليقات الجياد على هذه الآية قول البقاعي في " نظم الدرر (2 / 281) :
ولما أخبر عن افتقارهم إلى الأنصار وتظلمهم من الكافر ، استأنف الإخبار عن الفريقين فقال مؤكداً للترغيب في الجهاد ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي صدقوا في دعواهم الإيثار ﴿يُقِنُّونَ﴾ أي تصديقاً لدعواهم من غير فترة أصلاً ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي : الذي له الإحاطة بجميع صفات الكمال قاصدين وجهة بحماية الذمار وغيره ، وأما من لم يصدق دعواه بهذا فما آمن ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقِنُّونَ﴾ أي كذلك ﴿فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾ فلا ولي لهم ولا ناصر .

لما كان الطاغوت الشيطان أو من زيَّنه الشيطان ، وكان كل من عصي الله منه وممن أغواه حقيراً ، سبب عن ذلك قوله ﴿فَقَنَّبُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ﴾ ثم علل الجرأة عليهم بقوله ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ﴾ أي الذي هو رأس العصاة ﴿كَانَ﴾ جبلة وطبعاً ﴿ضَعِيفًا﴾
أقول والله أعلم :

قوله تعالي ﴿فَقَنَّبُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ﴾ أي من ينوب عنه ، ويقوم مقامه ، ويتكلم بلسانه ، من الأولياء والأتباع ، سواء كانوا كفاراً أو نصاري ، أو يهود ، أو حتى من المسلمين الذين يدعون للأحزاب الشيطانية ، كالعلمانية ، والشيوعية ، والديموقراطية ، والشيوعية ، وغيرها من الأحزاب المناهضة للإسلام ، هؤلاء جميعاً دعاة علي أبواب جهنم ، ودعاة للشيطان المرید ، فأمر الله تعالي المؤمنين بأن يقاتلوا أولياء الشيطان والدعاة إلى سبيله ، في كل مكان وزمان .
ومن يتخلف عن مقاتلة أولياء الشيطان وأتباعه ، والدعاة له ، فقد ترك ما أمر به ، ووقع فيما نهى عنه ، والله أعلم .

وكل داع إلى دين غير دين الإسلام ، وكل داع إلى منهج غير منهج أهل السنة ، فهو متبع لسبيل الشيطان ، وولي من أوليائه ، بل أحد دعواته المخلصين !! يجب مقاتله ، وبيان ضلاله للناس ، وتحذر الخلق منه ، وبيان حاله ، وعدم السكوت عنه .

الآية الثالثة : قوله تعالى :

﴿ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾

[النساء:119]

بين الله تعالى في هذه الآية أن من اتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر الخسران الأكبر ، وضاع الضياع المحقق .

ووضح الله الأمر وجلاه لأصحاب البصائر فقال تعالى : ﴿ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ

﴿ ٢ ﴾ كُنِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ [الحج:3،4]

فإن أتباع الشيطان وحاملي لواءه ، والذين يتولونه ، يضلهم الشيطان ويهديهم في الآخرة إلى عذاب السعير ، فإذا كانت هذه نهاية ولاية الشيطان ، وما صنع بأتباعه وأصحاب .. ولايته ، فهل بعد هذا بيان ... والله يقول : أن الشيطان يهدي أوليائه إلى النار ، وهم بهذه الولاية خاسرون ، ضالون ، ويقول أن ولايته سبحانه تهدي إلى الجنة والمغفرة ، فهل بعد هذا البيان تستبدل ولاية آخرها الفردوس ، ورضا الرحمن ، بولاية عاقبتها الضلال والخسران والسعير .

قال البقاعي ، رحمة الله :-

﴿ كُنِبَ ﴾ أي قضي وقدر على سبيل الحتم الذي لا بد منه ، تعبير باللازم مع الملزوم

﴿ عَلَيْهِ ﴾ أي على ذلك الشيطان ﴿ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ ﴾ أي : يفعل معه فعل الولي وليه ، باتباعه والإقبال على ما يزينه ﴿ فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ ﴾ بما يبغض إليه " من الطاعات فيخطيء سبيل الخير " (1) .

وقال تعالى على لسانه إبراهيم : ﴿ يَتَّابِتْ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ

فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴾ [مريم:45]

قال ابن الجوزي في "الزاد" (5 / 236):

﴿فَتَكُونُ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ : أي : قربناً في عذاب الله ، فجرت المقارنة مجري الموالاه .
وقال القرطبي (6 / 102) : (يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن) أي :

إن مت عل ما أنت عليه ويكون بمعنى : أعلم ، ويجوز أن يكون ﴿أخاف﴾ على بابها فيكون المعنى : إني أخاف أن تموت على كفرك فيمسك العذاب ﴿فَتَكُونُ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ أي : قربناً في النار .

ثم قال تعالي موضحاً أن ولاية الشيطان سبياً في تسلطة على العبد ، ويصبح الشيطان عليه سلطان ، يخافه ويهابه من دون الله ، بل ويأمره وينهاه فقال تعالي :

﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل: 99، 100] فقد بين العزيز الجليل ذو السلطان الغالب الذي لا يقهر أن للشيطان سلطان لكن هذا السلطان على الذين تولوا الشيطان وأشركوا بذي الجلال والإكرام ، أما الذين آمنوا بالله تعالي وأحسنوا التوكل عليه فلا سلطان عليهم البتة ، لأنه سبحانه قد أمنهم . منه ، وأجارهم بحوله وقوته من سلطانه وعداوته .

ثم بين الحكيم العليم في كتابه العظيم أن الشيطان قد زين للأمم السابقة عبادة غير الله ، وأمرهم بالتمرد على الله وعلى رسل الله تعالي فهو اليوم - أي القيامة ، يوم الحساب والجزاء ، وليهم ، من دون الله ، فهل تنفعهم هذه الولاية ؟ وهل هو ناصرهم حقاً ، وهل سيسفح لهم في هذا الموقف ؟ أم أنهم كغيرهم لن يجدوا شفعاء لأنهم اتخذوا الشيطان ولياً من دون الله ، قال تعالي ﴿ تَأْتِيهِمْ لِقَاءُ أُولَئِكَ فِي ظُلُمٍ لَّيْلٍ فَأُرْسِلُ فِيهَا الصَّاعِقُ مُمْسِكًا بِسُيُوفِهِمْ فَسُحْقًا ﴿٦٣﴾﴾ [النحل: 63]

أي : لن تجدي هذه الولاية ، ولن تنفعهم بشيء ، ولهم العذاب المحقق ، والعقاب الموعود ، والله أعلم .

ثم وضع الله تعالي في كتابه العزيز أنه جعل الشيطان أولياء للذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ولا يؤمنون بالجنة ولا بالنار فقال تعالي ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: 27] .

ثم قال مبيناً أن الذين اتخذوا الشيطان ولياً من دون الله ضل طريق الهداية وأصيب بالغواية ، فظن الباطل حقاً ، والحق باطلاً ، وسول له الشيطان أنه على الهدى المبين فقال تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴾

[الأعراف:30]

وبعد عمر مضى المضل الذي تولى الشيطان ، وأصبح رأساً عند الشيطان ، وسار جنداً له ، ومتابع لأمره ، وأصبح قريباً منه ، ومن أخص أولياء أصبح الشيطان يخصه من دون غيره بمزيد من القرب ، ومزيد من الحب ، فأوحى إليه ، وتنزل عليه ، فقال الله تعالى ﴿ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُوحِيَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَدِّدَ لَكُمْ ۖ وَإِنَّا نَظُنُّهُمْ لَكُفْرًا لَم بَآءُوا اللَّهَ لَأَن يُضِلَّهُمْ إِفْكًا وَمُنَافِقًا ۖ فَذَلِيلٌ يُجْرَبُونَ ﴾ [الأنعام:121]. وسيأتي الكلام على وحي الشيطان إن شاء الله تعالى

وتخلص منهذه الولاية الشيطانية بالآتي :

- 1- الضلال والهداية إلى السعير الذي ينتظر كل ولي للشيطان .
 - 2- أن ولي الشيطان خاسر خسراناً مبيناً ، ولعل هذا الخسران هو حرمانه من ولاية الرحمن ، ثم دخول النار .
 - 3- أن ولي الشيطان دائماً في خوف مستمر ، وفزع دائم .
 - 4- أن ولي الشيطان أعطي للشيطان التسلط عليه والتحكم فيه .
 - 5- وعلى كل ولي لله تعالى محاربة أولياء الشيطان ومطاردتهم في كل مكان .
 - 6- ثم الاستبدال الذي استبدله ولي الشيطان حينما أمن بوحى الشيطان وكفر بوحى الله تعالى وهو القرآن .
- فهل بعد ذلك يبقى للعاقل حجة في ترك ولاية الله ، والتمسك بولاية الشيطان ؟ !!



(27)



وحي الشيطان

الْوَحْيُ: الإشارة والكتابة والرّسالة، والإلهام، والكلام الخفيّ وكلُّ ما ألقتهُ إلى غيرك .

يقال: وَحَيْتُ إليه الكلام وأوحيتُ . وَوَحَى وحيًا وأوحى أيضاً: أي: كتب .

وأوحى إليه بعثه . وأوحى إليه : ألهمه . وفي التنزيل ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّعْلِ ﴾ [النحل:68] وفيه ﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ﴾ [الزلزلة:5] أي: إليها، فمعني هذا أمرها . وَوَحَى إليه وأوحى . كلمة بكلام يخفيه من غيره .

وَوَحَى إليه وأوحى : أوما وفي التنزيل ﴿ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ [مريم:11] قال الفراء : فأوحى إليهم : أي أشار إليهم .

وأوحى الله إلى أنبيائه ، وأوحى إلي عبده : كلم عبده بلا رسول . وقال تعالى ﴿ يُوحَى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ [الأنعام:112] معناه : يسر بعضهم إلى بعض .

وقوله ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرَسُولِي ﴾ [المائدة:111] .

قال بعضهم : ألهمتهم كما قال تعالى ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّعْلِ ﴾ وقال بعضهم : ﴿ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ ﴾ [المائدة:111] أمرتهم (1) .

قال ابن عباس : هما وحيان ، وحي الله ، ووحى الشيطان ، فوحى الله إلى محمد ﷺ ووحى الشيطان إلى أوليائه ثم قرأ ﴿ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُؤْخِنَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ ﴾ [الأنعام:121] (2) قلت : وهي أول الآيات في هذا الفصل ، وتحت هذا العنوان . فوحى الشيطان يلقبه إلى أوليائه ، ويوحى به إلى أتباعه ، والخواص من المقربين إليه .

وأخرج الطبري (12 / 88) أن رجلاً قال لابن عمر : إن المختار يزعم - وهو ابن أبي عبيد الكذاب - أنه يوحى إليه ؟ قال : صدق ، ثم تلا هذه الآية .

(1) اللسان مادة " وحي " .

(2) أخرجه الطبري (8 / 16) وابن أبي حاتم ، كما في تفسير ابن كثير (3 / 368)

وأخرج ابن جرير (8 / 16) عن أبي زميل قال : كنت قاعداً عند ابن عباس - رضي الله عنه - ووحى المختار بن أبي عبيد ، فجاءه رجل فقال : يا ابن عباس ، زعم المختار أنه أوحى إليه الليلة ؟ فقال ابن عباس : هما وحيان ، وحي الله ، ووحى الشيطان ، فوحى الله إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، ووحى الشيطان إلي أوليائه ثم قرأ هذه الآية .

والشيطان يوحى لأوليائه من العرافين والدجالين ، ويتنزل عليهم ، بقصد إضلال البشر ، وغواية العباد ، والتلبس عليهم فعن عائشة رضي الله عنها قالت :

سأل ناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكهّان فقال : " ليس بشيء " فقالوا : يارسول الله : إنهم يحدثوننا أحياناً بشيء فيكون حقاً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " تلك الكلمة من الحق يخطفها الجنى فيقرها في أذن وليه ، فيخلطون معها مائة كذبة " . (1)

قال أبو سليمان الخطّابي رحمة الله :

" إن الجن كانوا يصعدون إلى جهة السماء فيركب بعضهم بعضاً إلى أن يدنوا الأعلى بحيث يسمع الكلام فيلقيه إلى الذي يليه إلى أن يتلقاه من يلقيه في أذن الكاهن فيزيد فيه " (2) .

وقال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ [الأنعام: 112]

أخرج ابن جرير (12 / 52) عن عكرمة قال : ليس في الإنس شياطين ، ولكن شياطين الجن يوحون إلى شياطين الإنس ، وشياطين الإنس يوحون إلى شياطين الجن "

وأخرج أيضاً (12 / 52) عن عكرمة قال : للإنس شيطان ، وللجنى شيطان فيلقي شيطان الإنس شيطان الجن ، فيوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً .

وعنه قال أيضاً : أما شياطين الإنس فالشياطين التي تضلل الإنس وشياطين الجن الذين يضلون الجن ، يلتقيان ، فيقول كل واحد منهما لصاحبه : إني أضللت صاحبي بكذا وكذا ، فأضلل أنت صاحبك بكذا وكذا ، فيعلم بعضهم بعضاً .

قال ابن كثير - رحمة الله - :

" ففهم ابن جرير من هذا أن المراد بشياطين الإنس عن عكرمة والسدي : الشياطين

(1) أخرجه البخاري (5762) ومسلم (4 / 1750) وأحمد (6 / 87)

(2) فتح الباري (11 / 6931)

من الجن الذين يضلون الناس ، لا أن المراد منه شياطين الإنس منهم . ولا شك أن هذا ظاهر من كلام عكرمة ، وأما كلام السدي فليس مثله في هذا المعنى ، وهو محتمل . وقد روي ابن أبي حاتم نحو هذا عن ابن عباس من رواية الضحاك عنه قال : إن للجن شياطين يضلونهم مثل شياطين الإنس يضلونهم ، قال : فيلتقي شياطين الإنس وشياطين الجن ، فيقول هذا لهذا أضلله بكذا ، أضلله بكذا فهو قوله تعالى ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: 112] ⁽¹⁾ وعلى كل حال فالصحيح من حديث أبي ذر : إن للإنس شياطين منهم ، وشيطان كل شيء ماردة ، ولهذا جاء في صحيح مسلم عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال " الكلب الأسود شيطان " ⁽²⁾ ومعناه : شيطان في الكلاب . وقال ابن جريح : قال مجاهد ، في تفسير هذه الآية : كفار الجن شياطين ، يوحون إلى شياطين الإنس ، كفار الإنس ، زحزف القول غروراً ⁽³⁾ أخرجه ابن جرير (55 / 12) .

وعن عكرمة قال : قدمت على المختار فأكرمني وأنزلني حت كاد يتعاهد مبيتي بالليل ، قال : فقال لي : أخرج إلى الناس نمحذ الناس . قال : فخرجت فجاء رجل فقال : ما تقول في الوحي ؟

فقلت : الوحي وحيان ، قال الله تعالى : ﴿بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ [يوسف: 3] . وقال تعالى ﴿شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: 112] قال : فهموا بي أن يأخذوني ، فقلت : مالكم ذاك إني مفتيكم وصنيفكم فتركوني . وإنما عرض عكرمة بالمختار - وهو ابن أبي عبيدة قبحة الله ، وكان يزعم أنه يأتيه الوحي ، وقد كانت أخته صافية تحت عبد الله بن عمر ، وكانت من الصالحات ، ولما أخبر عبد الله أن المختار يزعم أنه يوحى إليه قال : صدق ، قال الله تعالى : " وإن الشياطين ليوحون إل أوليائهم " وقوله تعالى ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: 112] أي : يلقي بعضهم إلي بعض القول المزين المزخرف ، وهو المزوق الذي

(1) فيه ضعف وانقطاع ، الضحاك لم يسمع من ابن عباس غير أنه منزوك

(2) أخرجه مسلم (1 / 365) وأبو داود (7020)

(3) تفسير ابن كثير (3 / 359 - 360)

يفتر سامعه من الجهلة بأمره " (1) .

قلت : وهذا حال كل مدعي للنبوّة ، إن الشياطين يوحون إليهم القول المزخرف ، والكلام المعسول المزين ، وذلك لإغراء البشرية وإيقاعها في المهلكات .

ومن جملة أولياء الشيطا الذي يوحى إليهم ، كل قائل بباطل ، وداع له ، كالذي يدعو إلى الأحزاب العلمانية ، والدعوات الشركية ، فإن الشيطان يوحى إليهم الكلام المزخرف وذلك لجمع الناس إليهم . والوقوع في شركهم .

فأنا أقول لشباب المسلمين ، لا تغتروا بالشعارات الحزبية ، والوعود الوردية ، والأحلام الهولامية التي ترفعها الأحزاب الموجودة عندنا ، فما هي إلا أحلام كاذبة ، ووعود أشد كذباً .

ولقد زم الله جميع الأحزاب إلا حزباً واحداً فقط ، وهو حزب الله وعلّق الفلاح في الأنصواء تحت لواءه فقال تعالي ﴿ **أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [المجادلة:22] فإذا كان حزب الله هو المفلح فقط فغيره غير مفلح والإسلام ليس فيه أحزاب ، كما ليس فيه ديموقراطية ، ولا رأسمالية ، ولا قومية ، ولا غيرها من الأحزاب التي تخرج علينا كل يوم فهذه الأحزاب جميعها إلا حزب الله تابعة للشيطان ، واستقاءهم الأفكار منه ، وترتيب أمورهم عن طريقه ، فهو مصدر رئيس لهذه الأحزاب ، ومصدر وحيهم ، ومهد دراستهم ، فإياك أخي الحبيب أن تغتر بمعسول القول ، او تخدع بمثلهم ، إن اللبيب بمثلهم لا يخدع .

وقال الله تعالي ﴿ **هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٣٣١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٣٣٢﴾ يُلْقُونَ**

السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَذِبُونَ ﴾ [الشعراء:221،223]

" يقول تعالي (مخاطباً لمن زعم من المشركين أن ما جاء به الرسول ليس حقاً ، وأنه شيء أفتعله من تلقاء نفسه ، أو أنه أتاه به رائي من الجن ، فنزه الله ، سبحانه ، جناب رسوله عن قولهم وافترائهم ونبه أن ما جاء به إنما هو الحق من عند الله ، وأنه تنزيله ووحيه ، نزل به ملك كريم أمين عظيم ، وأنه ليس من قبيل الشياطين ، فإنهم ليس لهم رغبة في مثل هذا

القرآن العظيم ، وإنما ينزلون على من يشاكلهم ويشابههم من الكهّان الكذبة ، ولهذا قال إليه (هل أنبأكم) أي : أخبركم (على من تنزل الشياطين بتنزل على كل أفك أثيم) أي : كذوب في قوله ، وهو الأفك ، الأثيم أي : الفاجر في أفعاله . فهذا هو الذي تنزل عليه الشياطين كالكهان بما يجري مجراه من الكذبة الفسقة ، فإن الشياطين أيضاً كذبة فسقة .

(يلقون السمع) أي : يسترقون السمع من السماء ، فيسمعون الكلمة من علم الغيب ، فيزيدون معها مائة كذبة ، ثم يلقونها إلى أوليائهم من الإنس فيتحدثون بها ، فيصدقهم الناس في كل ما قالوه ، بسبب صدقهم في تلك الكلمة التي سمعت من السماء ، كما صح بذلك الحديث ، كما أخرج البخاري من حديث الزهري أخبرني يحيى بن عروة بن الزبير ، أنه سمع عروة بن الزبير يقول : قالت عائشة ، رضي الله عنها ، سألت ناس النبي صلى الله عليه وسلم عن الكهان ، فقال : " إنهم ليسوا بشيء " قالوا : يا رسول الله فإنهم يحدثون بالشيء يكون حقاً ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم " تلك الكلمة من الحق يخطفها الجنى ، فيقرقها في أذن وليه كقرقرة الدجاجة ، فيخلطون معها أكثر من مائة كذبة " (1) .

وعن أبي هريرة أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : " إذا قضى الله الأمر السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله ، كأنها سلسلة على صفوان ، حتى إذا أفرغ عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا للذين قال الحق وهو العلي الكبير ، فيسمعها مسترقو السمع ، ومسترقو السمع ، هكذا بعضهم فوق بعض . ووصف سفيان فحرفها ، وبدد بين أصابعه " فيسمع الكلمة ، فيلقيها إلى من تحته ، ثم يلقيها الأخر إلى من تحته ، حتى يلقىها على لسان الساحر - أو الكاهن - فربما أدرك الشهاب قيل أن يلقىها وربما ألقاها قبل أن يدركه ، فيكذب معها مائة كذبة . فيقال : أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا : كذا وكذا ؟ فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت في السماء " انفرد به البخاري (4800) والترمذي (3223) وقال البخاري (3288) عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " إن الملائكة تحدث في العنان - والعنان - الغمام - بالأمر يكون في الأرض ، فتسمع الشياطين الكلمة ، فتقرقها في أذن الكاهن كما تقرق القارورة ، فيزيدون معها مائة كذبة " .

(1) أخرجه البخاري (7561)

(28)



إخوة الشيطان

الله سبحانه وتعالى غرس في نفوس البشر بالفطرة حب الأخ لأخيه ، كما غرس بالفطرة أيضاً حب النوع لنوعه ، ولا يتحول عن هذه الفطرة إلا من انتكست فطرته وتغيرت حلقتة .

وكون الحب يكون بين متماثلين ، أو بين نوعين من الخلق فهذا طبيعي ، كما هي الفطرة التي فطر الناس عليها ، أو فطر الخلق عليها ، لكن حينما يقع الحب ، أو الأخوة بين متعاديين ، مثل الثعبان والقط ، أو القط والكلب ، فهذه الأخوة تحول عن الفطرة ، وتغير في الطبيعة التي خلق الله تعالى الخلق عليها .

لكن قد تقع المصالحة بين المتعاديين إن كانوا من جنس واحد ، أو من نوع واحد ، أما إذا وقعت المصالحة بين من غرز الله تعالى بينهما العدو ، فهذا مخالف للنوا ميس الكونية . وإن وقعت المصالحة والأخوة بين متعاديين من الحيوانات فلن تقع المصالحة والأخوة بين متعاديين عداوتها أزلية ، لأن العداوة بين الإنسان والشيطان عداوة أزلية ، غير أنها فطرية ، والله تعالى جبل الخلق على بغض الشيطان ، وفطرهم على عداوته ، فإذا ما وقعت إخوة بين الإنسان وبين الشيطان ، لاشك في أن واحداً منها مستخلي عن أصوله ومبادئه ، إما أن يتخلى الشيطان عن شيطنته ، أو الأدمي عن آدميته ، ومن العسير جداً ، بل من المحال أن يتخلى الشيطان عن شيطنته ومبادئه وأصوله التي أقسم بين يدي الله عليها الله سبحانه ، لكن قد يتخلى عن مبادئه وأصوله هو الإنسان ، فحينئذ سوف يتحول الإنسان في مبادئه وأصوله وأخلاقه إلى شيطان ، وإن بقي على خلقته .

إذا حينما يتخذ الإنسان الشيطان أخ له ، سوف يتحول إلى شيطان ، وبعد التحول الأخلاقي والأحولي ، يتحول معه علي دينه واعتقاده كما أخبر العزيز الحميد بذلك فقال تعالى ﴿ إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ ۗ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ۗ ﴾ [الإسراء: 27] وهذه الآية معناها أشبه بالمسائل الحسابية ، التي فيها " بما أن وإذا ، فيما أن المبذر أخو للشيطان ،

والشيطان كان لربه كافوراً ، إذا المبذر مثله كان لربه كافوراً - لكن قد يكون الكفر هنا كفر نعمة ، هذا إذا كانت الأخوة القدر المشترك فيها التبذير فقط ، أما إذا كانت الأخوة هنا أخوة كاملة ، انسلخ فيها الإنسان من إنسانيته ودينه ، فيكون الكفر هنا ، كفرأ كلياً ، لما هو حال الشيطان مع ربه عز وجل .

ولقد ذكر الله تعالى الأخوة والأخوة ، والأخ والأخت ، والإخوة بجميع مراتبها في نحو من خمسة وتسعين موضعاً .

ذكر فيها الأخوة الفاسدة ، التي تؤدي إلى فساد الحال ، وفساد الدين ، ويقوم الأخوة الفاسدين بإمداد الصالحين بالفساد حتي يكون أمثالهم ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثَمَّ لَا يَقْصِرُونَ ﴾ [الأعراف: 201، 202]

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله : -

وقوله : ﴿ وَإِخْوَانُهُمْ ﴾ أي : وإخوان الشياطين من الإنس كقوله ﴿ إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ ﴾ وهم أتباعهم والمستمعون لهم القابلون لأوامرهم : ﴿ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ﴾ أي : تساعدهم الشياطين على فعل المعاصي ، وتسهلها عليهم وتحسنها لهم . وقال ابن كثير القارئ " المد " الزيادة ، يعني : يزيدونهم في الغي : الجهل والسفه . ﴿ ثَمَّ لَا يَقْصِرُونَ ﴾ قيل معناه : إن الشياطين تمد الإنسان لا تقصر في أعمالهم بذلك ، كما قال ابن عباس : لا الإنس يقصرون عما يعملون من السيئات ولا الشياطين تمسك عنهم . وقيل معناه عن ابن عباس أيضاً : هم الجن يوحون إلى أوليائهم من الإنس : ﴿ ثَمَّ لَا يَقْصِرُونَ ﴾ لا يسأمون .

ولا تسام من إمدادهم في الشر لأن ذلك طبيعة لهم وسجبة ﴿ ثَمَّ لَا يَقْصِرُونَ ﴾ لا تفترو ولا تبطل عنه كما قال تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيْطَانَ عَلَى الْكَافِرِينَ نُوْزُهُمْ أَرْسًا ﴾ [مريم: 83] قال ابن عباس وغيره : تزعجهم إلي المعاصي إزعاجاً . (1)

أما أقول أهل العلم على قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء: 27].
أخي الرجل مؤاخاة وإخاء ووخاء .
والعامّة تقول : واخاه .

وهذا رجل من آخائي ، أي من إخواني .
وتأخيت وأخيت وأخوت تأخو أخوة وتأخيا ، وتأخيت أخاً أي : اتخذت أخاً ،
والنبي ﷺ : أخي بين المهاجرين والأنصار " أي ألف بينهم بأخوة الإسلام والإيمان " (1)
وفي معنى الأخوة سئل أبو سليمان محمد بن طاهر السجستاني فقال له جل : إني أري
بينك وبين ابن سيار القاضي ممازجةً نفسيةً ، وصدقة عقلية ، ومساعدة طبيعية ، ومواتاة
خلقية فمن اين هذا ؟ وكيف هو ؟ .

فقال : يا بني ! أختلطت ثقتي به بثقته بي ، فاستفدنا طمأنينة وسكوناً : لا يرثان على
الدهر ، ولا يجولان بالقهر ، ومع ذلك نبيننا بالطالع ، ومواقع الكواكب مشاكلةً عجيبةً ،
ومظاهرةً غريبةً حتى أنا نلتقي كثيراً في الإرادات ، والأختيارات ، والشهوات ، والطلبات ،
وربما تزاورنا فيحدثني بأشياء جرت له بعد أفتراقنا من قبل ، فأجدها شبيهة بأمر حدثت
لي في ذلك الأوان ، حتى كأنها قائم بيني وبينه ، أو كاني هو فيها ، أو هو أنا ، وربما حدثته
برؤيا فيحدثني بأختها فنزاهها في ذلك الوقت أو قبله بقليل أو بعده بقليل " (2) .

قال ابن كثير رحمه الله : ﴿إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ أي : أشباههم في ذلك .

قال ابن مسعود : التبذير الإنفاق في غير حق . ومثله قال ابن عباس ، وقال مجاهد : لو
أنفق إنسان ماله كله في الحق ، لم يكن مبذراً ، ولو أنفق مُدًّا في غير حقه كان تبذيراً وقال
قتادة : التبذير في معصية الله ، وفي غير الحق وفي الفساد . وقوله : ﴿إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا
إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ أي : في التبذير والسفه ، وترك طاعة الله وارتكاب معصية ، ولهذا

(1) الصدقة والصديق (ص 28 - 29) .

(2) اللسان ماله " أخو " .

قال: ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ أي: جحوداً لأنه أنكر نعمة الله وارتكاب معصيته، ولم يعمل بطاعته، بل أقبل على معصيته ومخالفته " (1).

وقال ابن عطية - رحمة الله -

(إخوان) يعني: "أنهم في حكمهم، إذا المبذر ساع في فساد، والشيطان أبداً ساع في فساد، ثم ذكر كفر الشيطان ليقع التحذير من التشبه به في الإفساد مستوعباً بيننا" (2).

وقال العلامة الألويسي، رحمة الله -

﴿إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ﴾ تعليل للنهي عن التبذير ببيان أنه يجعل صاحبه ملزوماً في قرن الشياطين، والإخوان جمع أخ، والمراد به المماثل مجازاً (3) أي أنهم مماثلون لهم في صفات السوء التي من جملتها التبذير، أو الصديق والتابع حجازاً أيضاً أي: أنهم أصدقاؤهم وأتباعهم فيما ذكر من التبذير والصراف في المعاصي فإنهم كانوا يتحرون الإبل ويتياسرون عليها ويزرون أموالهم في السمعة وسائر ما لا خير فيه من المناهي والملاهي أو القرين كما سبق أيضاً أي: أنهم قرناؤهم في النار على سبيل الوعيد. ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ من تنمة التعليل، أي: مبالغاً في كفران نعمة الله تعالى لأن شأنه صرف جميع ما أعطاه عليه تعالى من القوي والقدر إلى غير ما خلقت له من أنواع المعاصي والإفساد في الأرض وإضلال الناس وحملهم على الكفر بالله تعالى وكفران نعمة الفائضة عليهم وصرفها إلى غير ما أمر الله تعالى به (4).

قال العلامة القاسمي رحمة الله:

﴿إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ﴾ أي: أمثالهم في كفران نعمة المال بصرفه فيما لا ينبغي. وهذا غاية المذمة لأنه شر من الشيطان.

(1) تفسيره (5 / 71 - 72)

(2) المحرر الوجيز (3 / 450).

(3) هذه الكلمة فيها نظر ولقد كررها كثيراً في تفسيره، ولعله تأثر بالزنجشري رأس المعتزلة.

(4) تفسيره روح المعاني (15 / 87 - 88)

أوهم إخوانهم أتباعهم في المصادقة والإطاعة. كما يطيع الصديق صديقه والتابع متبوعه، أوهم قرناؤهم في النار على سبيل الوعيد، والجملة تعليل المنهى عنه عن التبذير، ببيان أنه يجعل صاحبه مقروناً معهم.

وقال تعالى: ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ من تنمة التعليل. (1)

قال أبو السعود، رحمة الله؛ أي: مبالغاً في كفران نعمته تعالى، لأن شأنه أن يصرف جميع ما أعطاه الله تعالى من القوى، إلى غير ما خلقت له من أنواع المعاصي، والإفساد في الأرض، وإضلال الناس، وحملهم على الكفر بالله وكفران نعمه الفائضة عليهم، وصرها إلى غير ما أمر الله تعالى به. ونخصيص هذا الوصف بالذكر من بين سائر أوصافه القبيحة غير مصرها، من باب الكفران، المقابل للشكر الذي هو عبارة عن صرفها إلى ما خلقت هي له، والتعرض لوصف الربوبية للإشعار بكمال عتوه، فإن كفران نعمته الرب، مع كون الربوبية من أقوى الدواعي إلى شكرها، غاية الكفران ونهاية الضلال والطغيان. (2)

أقول: بعدما حذر الله تعالى من إتخاذ الشياطين أخوة عن طريق فعل المعاصي وترك الواجبات، وأول المعاصي الشرك بالله، وصولاً إلى إهدار المال في غير حقّه، وإنفاقه في غير ما أمر العبد به، حصر الله تعالى الأخوة في أهل الإيمان فقال مفتتحاً الآية بالحصر والقصر ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: 10] فحصر الأخوة في أهل الإيمان دون غيرهم فخرج بذلك أهل المعاصي ولو كانوا على الإسلام، وخرج من باب أولى غير المسلمين من اليهود والنصارى وغيرهم من الملل والنحل الأخرى. فلا أخوة بين المسلمين والنصارى عبّاد الصليب، ولا أخوة بين المسلمين واليهود أعداء الله والدين.

ولا أخوة بين أهل الطاعة وأهل المعصية ولو جمعهم دين. وبعدهما حصر الأخوة في أهل الإيمان، وأمرهم بتعاطي ما يصلح هذه الأخوة، أما ما يفسدها فأكثر من خمسين سبباً لإفساد الأخوة، وأما يصلح فأكثر ثلاثين سبباً، وسأفرد ذلك بالتصنيف إن شاء الله تعالى.

(1) تفسير القاسمي (6/ 475).

(2) تفسير أبو السعود (5/ 168).

(29)



طائف الشيطان

لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَئِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ

مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: 201]

الطَّيْفُ وَالطَّيْفُ: الخيالُ نَفْسُهُ .

وَالطَّيْفُ: المَسُّ من الشيطان وقرئ قوله تعالى ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَئِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ﴾ وطائفٌ من الشيطان وهما بمعنى وقد أطاق وتطيَّفَ .

وقوله طيفٌ من الشيطان كقولهم: لمَّ من الشيطان وأنشد بيت أبي العيال

الهمزلي:

فإذا بها وأبيك طيف جنون

ومن حديث المبعث: " فقال بعض القول: قد أصاب هذا الغلام لم أو طيف من

الجن، أي: عرض له عارض منهم .

وأصل الطيف الجنون، ثم استعمل في الغضب ومس الشيطان. يقال: طاف يطيف

ويطوف طيفاً وطوفاً، فهو طائف، ثم سمي بالمصدر، ومنه طيف الخيال الذي يراه النائم .

وفي الحديث " فطاف بي رجلٌ وأنا نائمٌ " .

قال الصَّوَّاءُ: الطائفُ والطيفُ سواء، وهو ما كان كالخيال، والشيء يُليِّمُ بلك .

وروي عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَئِفٌ﴾ قال: الغضبُ وروي ذلك

أيضاً عن ابن عباس .

قال أبو منصور: الطيف في كلام العرب الجنون .

وقيل: للغضب طيف، لأن عقل من استفزه الغضب يعرب حتى يصير في صورة

المجنون الذي زال عقله .

قال الليث: كل شيء يغشي البصر من وسواس الشيطان فهو طيفٌ⁽¹⁾

(1) اللسان مادة " طيف " و " طوف " .

وأما تفسير كلمة " طائف " فقد سبق أن نقلنا عن جل المفسرين أنه المس ، وراجع
فقرة " مس الشيطان " .

ولقد ورد في القرآن الكريم هذه الكلمة على عدة معاني .

فقد جاء قوله تعالى ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾ [القلم:19] قيل الطائف هنا :
العذاب .

وقال الزجاج : تعريضاً بما ناله من النائة

وقيل : أرسل الله عليها بالليل ناراً فأحرقتها .

" وكل هذه المعاني متقاربة ، وهو أن عذاب الله الذي هو عبارة عن نار من السماء
طافت الحديقة فأحاطتها جميعاً فأحرقتها فلم تبق فيها شيئاً . وهناك الطائف وهو
الطواف حول الكعبة لقوله تعالى : ﴿ طَهَّرْنَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ ﴾ [البقرة:125] .

وهناك الخدم لقوله ﴿ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ [النور:58]

ومنه قوله ﷺ (إنها من الطوافين عليكم والطوافات) ⁽¹⁾ أي بمثابة الخدم ، وكقوله

تعالى : ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴾ [الإنسان:19] .

والطوفان : المتعارف عليه في الماء المتناهي في الكثرة لأجل أن الحادثة التي نالت قوم

نوح كانت ماء لقوله تعالى : ﴿ فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ ﴾ [العنكبوت:14] . ولقوله :

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ ﴾ [الأعراف:133] ⁽²⁾

والطائفة الجماعة لقوله تعالى : ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ ﴾ [الحجرات:9] .



(1) أخرجه مالك وأحمد والأربعة وابن حبان والحاكم ومعن أبي قتادة . وله شاهد من حديث عائشة عند أبي
داود والبيهقي وهو صحيح .

(2) راجع مفردات القرآن (مادة : طوف)

(30)



همزات الشيطان

قال تعالي : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾ [المؤمنون: 97] قوله ﴿ هَمَزَاتِ ﴾ جمع همز ، والهمز : همزه يهمزه همراً أي ضغط وتحميل عليه كأنه يعصره ويضغط عليه . أي أن الهمز العصر والضغط والخنق والضيق والتضييق . (1)

وهمز الشيطان الإنسان همزاً : " همس في قلبه وسواساً وهمزات الشيطان : خطرته التي يخطر بها بقلب الإنسان وفي حديث النبي ﷺ :

" الله إني أعود بك من الشيطان الرجيم من همزة ونفته ونفخه ! قيل : يا رسول الله ! ما همزة ونفته ونفخه ؟

قال : أما همزه فالموثة ، وأما نفخه فالكبر ، وأما نفته فالشعر " (2) قال أبو عبيد : الموتة الجنون . قال : وإنما سماه همزاً لأنه جعله من النخس والغمز . وكل شيء دفعته فقد همزته قال الليث : الهمزة القصر يقال همزت رأسه وهمزت الجوز بكفي .

والهمز : النخس والغمز .

والهمز مثل : اللمز . وهمز : دفعه وضربه . وهمزته ولمزته ولهزته ونهزته إذا دفعته . (3)

ونقل ابن الجوزي عن ابن قتيبة أنه قال : همزات الشياطين هو نخسها وطعنها .

ونقل عن ابن فارس أنه قال : الهمز كالعصر ، يقال : همزت الشيء في كفي ، ومنه الهمز في الكلام ، لأنه كأنه يضغط الحرف .

وقال غيره : الهمز في اللغة : الدفع ، وهمزات الشياطين : دفعتهم بالإغواء إلى المعاصي (4) .

وأقول : جل كلام أهل التفسير يدور وأهل اللغة على هذه المعاني : العصر أو الخنق ، أي أن الشيطان يعصر الإنسان ، وهو عدوه ، والعداوة بينها بالغة العداوة ، فإذا تمكن

(1) معجم مفردات القرآن (2 / 611)

(2) صبح وسيأتي تحريجه .

(3) اللسان مادة همز .

(4) زاد المسير (5 / 489) .

منه الشيطان همزه وعصره ثم خنقه وربما أدي إلى القتل ومما يؤيد هذا ما رواه مسلم (2236) عن مولي هشام بن زهرة (أبو السائب) أنه دخل على أبي سعيد الخدري في بيته ، قال فوجدته يصلي ، فجلست انتظره حتى يقضي صلاته ، فسمعت تحريكاً في عراجين في ناحية البيت ، فالتفت فإذا هي حية ، فوثبت لأقتلها ، فأشار إلي : أن اجلس ، فجلست فلما انصرف أشار إلى بيت في الدار فقال : أترى هذا البيت ، فقلت : نعم قال : كان فيه فتى من حديث عهد بعرس . قال : فخرجنا مع رسول الله ﷺ إلى الخندق ، فكان ذلك يستأذن رسول الله ﷺ بأنصاف النهار فيرجع إلى أهله ، فأستأذنه يوماً ، فقال له رسول الله ﷺ " خذ عليك سلاحك ، فإني أخشي عليك قريظة . فأخذ الرجل سلاحه ، ثم رجع فإذا امرأته بين البابين قائمة ، فأهوي إليها الرمح ليطعنها به ، وأصابته غيرة ، فقالت له .

اكفف عليك رمحك ، وأدخل البيت حتى تنظر ما الذي أخرجني ، فدخل فإذا بحية عظيمة منطوية على الفراش ، فأهوي إليها بالرمح فانظمتها به ، ثم خرج فركزه في الدار ، فاضطربت عليه ، فما يدري أيهما كان أسرع موتاً . الحية أم الفتى ؟

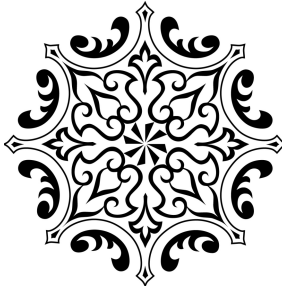
قال فجننا إلى رسول الله ﷺ فذكرنا ذلك له ، وقلنا : ادع الله يحييه لنا ، فقال : " استغفروا لصاحبكم " ثم قال : " إن بالمدينة جنأ قد أسلموا ، فإذا رأيتهم منهم شيئاً فأذنوه ثلاثة أيام ، فإن بدالكم بعد ذلك فأقتلوه ، فإنما هو شيطان " وسيأتي بطريقة في باب " السنة " .

وقال الشيخ أبو بكر الجزائري - رحمة الله - في كتابه " عقيدة المؤمن " (ص 177) " كانت لي أخت أكبر من تدعي (سعديه) وكنا يوماً ونحن صغار نرفع عراجين التمر من أسفل البيت إلى سطحه بواسطة حبل يربط به القنوق (العرجون) ونسحبها إلى السطح ونحن فوقه فحصل أن أختي سعديه جرت الحبل فضعفت عنه فقلبتها فوقعت على الأرضي على أحد الجنون - جمع جن - فكأنها بوقوعها عليه أذته أذي شديداً فأتقمت منها ، فكان يأتيها عند نومها في كل أسبوع مرتين أو ثلاثاً أو أكثر فيخنقها فترفس المسكينة برجليها وتضطرب كالشاة المذبوحة ولا يتركها إلا بعد أن تصبح كالشاة الميتة ونطق مرة على لسانها مصرحاً بأنه يفعل بها هذا لأنها أذته يوم كذا

في مكان كذا، وما زال يأتيها ويعذبها بصرعة تأتيها عند النوم فقط حتى قتلها (خنقاً) بعد نحو عشر سنوات من العذاب الذي لا يطاق، فصرعها ليلة على عادته فما زالت ترفس برجليها وتضطرب حتى ماتت، غفر الله لها ورحمها.

قلت: ولقد وقع معي نحو ذلك، ففي صيف عام 1994م، جائي رجل معه ابنة أخت وكانت في نحو السابعة عشر خريفاً، وكانت تصرع، ثم تخنق خنقاً شديداً، وكان تضع يدها حول رقبتها لكي تتقي هذا الخنق، ولكنها لا تفعل إزاء هذا الخنق شيئاً، بعد فترة تقدر بساعة أو أكثر، يتركها جثة هامدة، وكنت أقرأ عليها سورة البقرة، فكان يتكلم على لسانها بصوت أجش، لا ولن أخرج - لماذا؟ لأني أحبها، فأظل أقرأ طوال الليل حتى إذا أصابني الإعياء واسترحت عاودها الخنق، واستعنت بالله كثيراً، وسألته العون على إخراج هذا الشيطان من بدن هذه المسكينة - فكان يخرج ثم بعد أيام يعود إليها بأشد مما كان، وفي مساء ذات يوم، قالت المسكينة أمام أبايها وخالها وبعض الحاضرين: لا تجهد نفسك، لأن هذا العاتي أخبرني أنني مقتولة غداً عند الصباح، وحاولت بكل جهدي مستعيناً بالله بأن أمنع هذا الخنق فلم أستطيع، وفي الصباح وقبل موعد الساعة السابعة ظل يخنق فيها وهي تستغيث..... حتى تركها مقتولة - وماتت المسكينة بخنق الشيطان لها.

وأخر لما علم ذهابي له قام بشنقه الشيطان ومات مشنوقاً ومخنوقاً.
وكم خنق الشيطان من جنين في رحم أمه، وهو على وشك الخروج للدنيا.
وفي خلال ربع قرن من علاج المسحورين والملبوسين رأيت من ذلك.



(31)



حضور الشيطان موت العبد

قال تعالي : ﴿ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴾ [المؤمنون: 98]

فسرها جماعة ، بأن الشيطان يحضر عند موت العبد ، حتى يتخبطه ويجعله يموت على غير الإسلام ، أو يموت دون أن ينطق بالشهادتين لهذا جاء بعدها ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ ﴾ [المؤمنون: 99] ومما يؤيد هذا التفسير دعاؤه ﷺ ربه أن لا يحضره الشيطان عند الممات فصح عنه ﷺ أنه قال :

" اللهم إني أعوذ بك من الهدم ومن الغرق ، وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الممات " (1)

وعن ابن عمرو رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يعلمنا كلمات يقولهن عند النوم من الفرع " باسم الله أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه ، ومن شر عباده ، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون " فكان عبد الله بن عمرو يعلمها من يبلغ من ولده أن يقولها عند نومه ، ومن كان منهم صغيراً لا يعقل أن يحفظها ، كتبها له ، فعلقها في عنقه " (2) .

ولهذا يستحب أن يكون عند رأس المحتضر الذي حضره أجله جماعة من الصالحين ، حتى يلقنوه الشهادتين ، وأن يموت وهو محسن الظن بربه .

لهذا قال ﷺ " لقتنوا موتاكم لا إله إلا الله " (3) .

وكذلك أمر رسول الله ﷺ من حضره أن يقول خيراً وأن يدعو للميت فقال ﷺ " إذا حضرتم المريض أو الميت ، فقولوا خيراً فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون " .

ولهذا لما حضر موت عم النبي ﷺ - أبو طالب - جماعة من المشركين على رأسهم

(1) أخرجه أحمد (3 / 427) وأبو داود (1552) والنسائي (8 / 678) والحاكم (1 / 531) وقال :
صحيح الإسناد ، وصححه الألباني .

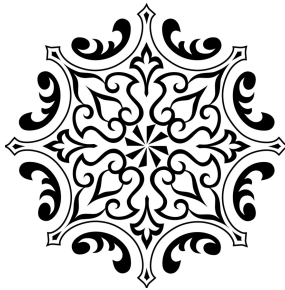
(2) أخرجه أحمد (2 / 181) وأبو داود (3893) والترمذي (3528) والحاكم (1 / 548) وحسنه
المنذري والألباني .

(3) صحيح - راجع أحكام الجنائز (ص 19)

صاحب اللعنات المسمي بأبي جهل ، وأراد أن ينطق بالشهادة تحت إلهام النبي ﷺ ، قال له أبو جهل - الشيطان الأكبر - أترغب عن دينك ودين آبائك وأجدادك - فمات دون أن يقوله ومات مشركاً .

فلاشك في أن الشيطان يحضر عند موت العبد ليثنيه عن دينه ، وبمنعه من الشهادات لأنه يعلم - لعنه الله - إن مات العبد على الشهادات فقد نجي منه ، ولا يستطيع إغوائه أو إضلاله بعد موته .

ولعل هذا هو السر في قوله تعالى ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُؤُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102] والله أعلم .



(32)



حزب الشيطان

قال تعالي ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَسِرُونَ﴾ [المجادلة:19] لقد ذكر الله تعالي في كتابه حزبين ، حزب ينتمي له سبحانه ويعمل بطاعته وينتهي بنهيته ، ويدافع عن دينه ، ويذب عن بيضة الإسلام ، يعيشون على هذا الإنتماء ويموتون عليه ، وهو حزب المفلحين .

وحزب آخر ينتمي للشيطان يحملون رابته ويدافعون عنه ، ويدعون أمثالهم للأنضواء تحته ، وهذا الحزب خاسر ، قد تحقق له الخسران المبين .

وحزب الله هم - أهل السنة والجماعة لا يتفرقون ولا يختلفون وليس لهم إلا منهج واحد ومصدر تلقى واحد ، ومصدرهم الكتاب والسنة وبفهم سلف الأمة .

وحزب الشيطان ، دائماً مفترقين ، ودائماً مختلفين ، ودائماً منقسمين إلى فرق وأحزاباً . فكل حزب منشق على أهل السنة والجماعة ، تابع لحزب الشيطان ، فتحت حزب الشيطان مجموعة أحزاب ، وكل حزب بما لديهم فرحون . قال تعالي عن حزب الله ، وأقصد حزب الله هنا - أهل السنة والجماعة ، وليس حزب اللات اللبناني الذي يرأسه ذلك الشيعي البغيض الهالك حسن نصر اللات - فقال الله تعالي عن حزب الله ، حزب رسول الله ﷺ ، التابع له أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والعشرة المبشرين وأصحاب بدر ، وأصحاب بيعة الرضوان ، وفتح مكة ، ومن كان على دربهم - ﷺ - ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [المائدة:56]

وقال تعالي ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [المجادلة:22]

وقال الله تعالي عن حزبه ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة:221]

أما الشيطان وحزبه فقال الله تعالي عنه ﴿ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَسِرُونَ ﴾ .

وغير أنه خاسر: هم خاسرون ، فهو يدعوهم إلى النار والعذاب وشر المال ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [فاطر:6] فانظر يرحمك الله ، إلى هذا البيان والايضاح من ذي الجلال والأكرام فهو يخبرك بصفات حزب الشيطان ، ثم يخبرك بالخسران الممين إذا تابعت حزبه ، تم يوضح لك أنه يدعو حزبه للسعير والنار . وبين لك أن حزبه فالح ، وأنه يدعو حزبه للجنة ويهب عليهم المغفرة والرحمة من فضلة .

والحزب : جماعة الناس ، والجمع أحزاب والأحزاب . جنود الكفار ، تألبوا وتظاهروا على حزب النبي ﷺ هم قريش وغطفان وبنو قريظة .
وقوله تعالى : ﴿ يَنْقُومُ آتِي أَخْفَ عَلَيْكُمْ مَثَلُ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴾ [غافر:30] والأحزاب ههنا : قوم نوح وعاد وثمود ، ومن أهلك بعدهم .

والمناققون والكافرون حزب الشيطان ، وكل قوم تشاكت قلوبهم وأعمالهم فهم أحزاب ، وإن لم يلق بعضهم بعضاً بمنزلة عاد وثمود وفرعون أولئك الأحزاب : (وكل حزب بما لديهم فرحون) كل طائفة هواهم واحد .

والحزب : الصنف من الناس . قال ابن الأعرابي : الحزب : الجماعة والحزب : الطائفة . والأحزاب : الطوائف التي تجتمع على محاربة الأنبياء ﷺ .

وحازت القوم وتحزبوا : تجمعوا وصاروا أحزاباً ، وحزبهم جعلهم كذلك . وحزب فلان أحزاباً ، أي : جمعهم .

وفي الحديث " اللهم أهزم الأحزاب وزلزلهم " الأحزاب : الطوائف من الناس ⁽¹⁾
قال البقاعي رحمه الله - (والنك) أي : الذين أحلوا أنفسهم أبعد منزل (حزب الشيطان) أي : أتباع وجنده وجماعته وأصحابه والمحدثون به ، والمتحيزون إليه لدفع ما حزبه ، أي : نابه واشتد عليه ، المبعدون المحترقون لأنهم تبعوه ولم يخافون في مجازيته وإنفاذ ما يريد لومة لائم ، مع أنه كله نقائص ومعائب ، وهم مطبوعون على بغضه ، وتركوا من له الكمال كله ، وذكر وجهه مركز في فطرهم ، فلذلك كانت ترجمة هذا

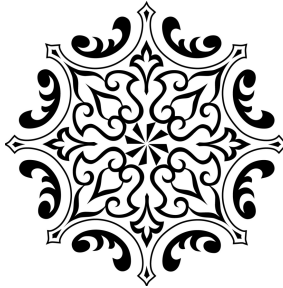
(1) اللسان مادة " حزب " ومفردات الراغب (مادة : حزب)

ونتيجته. قوله (ألا) وأكد لظنهم الريح بحالهم في الدنيا من الكثرة وظهور التعاضد والاستدراج باليسط والسعة فقال: "إن حزب الشيطان" أي: الطريد المتحرق (هم) لأنهم لم يظفروا بغير الطردو الاحتراق⁽¹⁾.

قال العلافة الألويس - رحمة الله :-

(أولئك) الموصوفون بما ذكر من القبائح ﴿ حِزْبَ الشَّيْطَانِ ﴾ أي : جنوده وأتباعه. ﴿ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخٰسِرُونَ ﴾ أي : الموصوفون بالخسران الذي غاية وراءه حيث فوتوا على أنفسهم النعيم المقيم ، وأخذوا بدله العذاب الأليم⁽²⁾ . فكل حزب غير حزب الله الموصوفين في كتاب الله بالتقوي والذكر العمل الصالح ، التاركين للمعاصي ، المنتزهين عن المحرمات - أي حزب غيرهم فليس بحزب الله ، إنما هو حزب الشيطان ومن اتباع الشيطان وأوليائه ونصرائه ، الذين ينصرون مذهبه ، ويتبعون أثره .

جعلنا الله تعالي وسائر إخواننا الموحدين من من حزبه وأوليائه .



(1) نظم الدرر (7 / 505)

(2) روح المعاني (28 / 306)

(33)



كفر الشيطان

قال تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة:102]. وقال تعالى: ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء:27]. وقال تعالى على لسان إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿يَأْتِي لَّا تَعْبُدُ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ [مريم:44]. وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:34] فأول من أظهر الكفر هو إبليس، ولم يكن يُعرف قبل ذلك، فكل من كفر من البشر فله كفل منه، كما أن كل مقتول في الدنيا على ابن آدم الأول حظ من إثمة، كما في الصحيح " ما من نفس تقتل ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول حظ منها" وقد سبق.

فكذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم كل من أهتدى بهديه، وآمن بما جاء به، وصدق بما أنزل عليه، وكل عابد، وكل قارئ للقرآن وكل طائف حول الكعبة، وكل صائم، وكل متصدق، وكل عالم، فالرسول الله صلى الله عليه وسلم نصيب من ذلك لأنه سبب هدايته. فكل كافر بالله، فللشيطان حظ من كفره، لأنه أول من سنَّ الكفر، وأول من كفر وأعرض وأبى واستكبر. وكفر الشيطان كفر إباء واستكبار واستعلاء على أمر الله تعالى. ولأن الإنسان هو سبب كفره، فهو لا يرضي منه دون الكفر، كما قال تعالى ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الحشر:16] ويهمس له، ويوسوس له، ويخاطر له، ويدعوه للكفر، ويأتي في كل لحظة وبخاصة عند فتوره وضعفه فيقول له: "من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول له: من خلق ربك؟" (1)

(1) أخرجه البخاري (3276) ومسلم (134).

وللشيطان طرق وأساليب كثيرة لا تنتهي في تكفير العبد ، حتى إذا بلغه للكفر، قال :
 إني أخاف الله رب العالمين !!! .
 قال ابن القيم - رحمة الله تعالى عند ذكر أجناس الشر التي يدعو إليها إبليس
 قال:

الشر الأول : " شر الكفر والشرك ومعاداة الله ورسوله، فإذا ظفر بذلك من ابن آدم
 برد أنينه ، واستراح من تبعه معه ، وهو من جنده وعسكره، واستنابه على أمثاله،
 وأشكاله فصار من دعاة إبليس ونوابه " (1)

وأما قوله تعالى ﴿إِلَّا إِلَيْسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكٰفِرِينَ﴾ [ص:74]
 فللعلماء في معنى " كان " أقوالاً.

الأول : " كان " بمعنى " صار " ومنه قوله (فكان من المغرقين).

وقال ابن جرير: " ومعنى قوله : ﴿وَكَانَ مِنَ الْكٰفِرِينَ﴾ أنه كان حين أبي السجود من
 الكافرين حيثئذ " (2) .

قال الزمخشري : " أريد وجود كفره ذلك الوقت وإن لم يكن قبله كافراً، لأن
 " كان " مطلق في جنس الأوقات الماضية فهو صالح لأيها شئت " (3)

قال الألويسي: (كان) أي: وصار منهم باستكبار. وتعاضمه على أمر الله " (4)
 ومن قال ذلك من السلف: قتادة (5)
 وذكره الواحدي " كان " صار.

وذكره ابن عطية في " المحرر الوجيز " (1 / 125) ثم قال :

وقال ابن فوروك : " وهذا خطأ ترده الأصول.

القول الثاني : " كان " في الآية بمعنى الماضي ، أي كان في علم الله - تعالى كافراً،
 قاله مقاتل وابن الأنباري .

(1) بدائع الفوائد (1 / 260)

(2) تفسير الطبري (1 / 228).

(3) الكشاف (3 / 382)

(4) روح المعاني (1 / 104)

(5) تفلته عنه ابن الجوزي في زاد المسير (1 / 65).

ونقل الواحدي والبغوي أن هذا اختيار أكثر المفسرين (1)
وأخرج ابن المنذر - كما في الدر المنثور - عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ﴿وَكَانَ مِنَ
الْكَافِرِينَ﴾ قال: " جعله كافراً لا يستطيع أن يؤمن " (2)
وأخرج ابن أبي حاتم عن محمد بن كعب القرظي قال: " ابتداءً الله خلف إبليس
على الكفر والضلالة ، وعمل بعمل الملائكة ، فصيره إلى ما به إليه خلقه من الكفر " (3) .
وقال البقاعي: " كان " أي في أصل جبلته بما أفهمه الاستكبار من نسبتنا إلى ترك
الحكمة إما جهلاً أو جوراً في أمرنا بسجوده لآدم وهو علي زعمه خير منه " (4) .
وقال أبو حيان " أي كان في علم الله ، لأنه لا خلاف أنه كان عالماً بالله قبل كفره ،
فالمعنى: أنه كان في علم الله سيكون من الكافرين " (5)
ونقل القرظي عن جمهور المتأولين قولهم: " المعنى: أي ما كان في علم الله تعالى
أنه سيكفر ، لأن الكافر حقيقة والمؤمن حقيقة هو الذي قد علم منه الموافاة " (6) .
قال القرظي: " وما صيح لقوله صلى الله عليه وسلم في " صحيح البخاري " إنما الأعمال بالخواتيم " (7) .
وقال ابن عطية: " وجمهور المتأولين: معنى ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ أي في علم الله تعالى
أنه سيكفر ، لأن الكافر حقيقة والمؤمن حقيقة هو الذي علم الله منه الموافاة " (8) .
وقال: " وذهب الطبري إلى أن الله أراد بقصة إبليس تقريع أشباهه من بني آدم وهم
اليهود الذين كفروا بمحمد - صلى الله عليه وسلم مع علمهم بنبونه ومع تقدم نعم الله عليهم وعلي
أسلافهم واختلف هل كفر إبليس جهلاً أو عناداً على قولين بين أهل السنة ، ولاخلاف
أنه كان عالماً بالله قبل كفره ، فمن قال إنه كفر جهلاً قال: إنه سلب العلم عند كفره .

(1) الواحد (1 / 120) والبغوي (1 / 82) وزاد المسير (1 / 65) والمحزر الوجيز (1 / 26)

(2) الدر المنثور (1048) .

(3) تفسير ابن كثير (1 / 78) .

(4) نظم الدور (1 / 93) .

(5) البحر المحيط (1 / 154) .

(6) تفسر القرظي (1 / 297)

(7) صحيح البخاري (6493)

(8) المحزر الوجيز (1 / 126)

ومن قال كفر عناداً قال : " كفرو معه علمه " قال : " والكفر عناداً مع بقاء العلم مستبعد ، إلا أنه عندي جائز لا يستحيل مع خذل الله لمن شاء ، ولا خلاف أن الله تعالى أخرج إبليس عند كفره ، وأبعده عن الجنة ، وبعد إخراجة قال لأدم أسكن " (1).

واستدل قوم على أن " من " في الآية للتبعض ، واستدل على أن إبليس لم يكن أول الكافرين ، بل كان هنا كفار قبله ، وهذا خلط ، فلم يثبت من دليل صحيح أن هناك كفار قبل إبليس ، بل أن إبليس هو أول من سن الكفر ، وهو أول من كفر . وقال ابن كثير - ذهب أكثر أهل العلم إلى أن إبليس أول من كفر بالله " ثم رد حديث ابن عباس وقال لا يحتج به .

وذهبت الخوارج إلى أن كفر إبليس بترك السجود ولأمر الله وكل معصية كفر ، وهذا مردود بالكتاب والسنة وإجماع الأمة (2).

وتكلم أهل العلم في كفر إبليس هل هو كفر معصية ، أم كفر إباء واستكبار وعناد . قال شيخ الإسلام - رحمة الله - " وكفر إبليس وفرعون واليهود ونحوهم لم يكن أصله من جهة عدم التصديق والعلم ، فإن إبليس لم يخبره أحد بخبره ، بل أمره الله بالسجود لأدم فأبى واستكبر وكان من الكافرين ، فكفره بالإباء الاستكبار وما يتبع ذلك " (3) وكفر إبليس كفر عناد لأنه لم يكن عن جهل ، بل كان عن علم بالله تعالى .

قال الرَّجَّاجُ : " قوله تعالى ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾ [الأعراف:12] قال : فأعلم الله - جل ثناؤه - أن معصية إبليس معاندة وكفر ، وقد أعلم الله أنه من الكافرين فقال ﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكٰفِرِينَ ﴾ [ص:74] (4) وقال الفخر الرازي في قوله تعالى - ﴿ لَا فَعْدَنَ لَهُمْ صِرٰطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الأعراف:16] " إن هذه الآية تدل على أنه - أي إبليس - كان عالماً بالدين الحق ، والمنهج الصحيح لأنه قال : ﴿ لَا فَعْدَنَ لَهُمْ صِرٰطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ وصرط إليه المستقيم هو دينه الحق " (5).

(1) المحرر الوجيز (1 / 126).

(2) الفتاوى (7 / 501) و (7 / 534).

(3) الفتاوى (7 / 501) و (7 / 534).

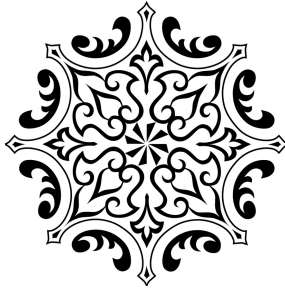
(4) معاني القرآن (2 / 322).

(5) التفسير الكبير (14 / 38).

ومن سبّر آيات القرآن التي ذُكر في خلق إبليس يجد أنه كان على علم بالله تعالى، وخبير بصفاته وأسماءه، حيث أقسم بعزة الله، وطلب إمهاله ليوم البعث فكان علماً بالبعث والنشور، وكان عالماً بالقياس، لكن كان قياسه فاسداً فقال " أن خير منه " فهو أول من سنّ القياس الفاسد، وأول من سنّ الكفر، وكان عالماً بالجنة والنار، وغير ما اكتسبه من مخالطته للملائكة، فهذا وغيره يدل على أنه كان عالماً بالله، فكان كفره، كفر إباء واستكبار وعناد، والله أعلم .

ولقد صرح القرآن في غير ما موضع منه أنه كان مستكبراً .

فقال ﴿إِلَّا إِلَهٌ إِلَّا إِبْلِيسَ ابْنِي وَأَسْتَكْبَرُ﴾ [البقرة:34] وقال تعالى ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [الأعراف:13] .



(34)



الشيطان يدعو للكفر

قال تعالى ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الحشر: 16].

كما يدعو حزه ليكونوا من أصحاب السعير كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [فاطر: 6].

ويريد أن يوقع العداوة بين الناس والبغضاء كما قال تعالى ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ ﴾ [المائدة: 91] ويصد عن الحق كما قال تعالى ﴿ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [الزُّحُرْفُ: 62].

وقعد لابن آدم على كل طريق وأقسم على ذلك فأخبر الله عنه فقال ﴿ قَالَ فِيمَا أُغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الأعراف: 16] ثم أخبر أنه سيأتي للعبد من كل اتجاه ومن كل مكان لغوايته وإضلاله وتكفيره وإهلاكه فقال تعالى: ﴿ ثُمَّ لَأَنبِئَهُمْ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا يَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ [الأعراف: 17] قال القرطبي " قوله تعالى: ﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ أي: بالصد عنه، وتزيين الباطل حتى يهلكوا كما هلك، أو يضلوا كما ضل، أو يخيبوا كما خيب - وقال: والصراط المستقيم هو الطريق الموصل إلى الجنة" (1).

وقعد لابن آدم بكل طريق حتى يصدّه عن الخير، فقال ﷺ " إن الشيطان قعد لابن آدم باطرقه " الحديث - وسيأتي مطولاً

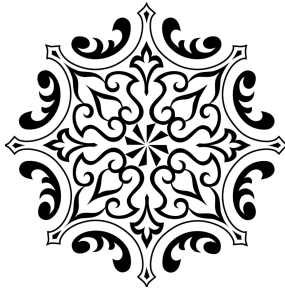
قال ابن الجوزي: " كم خطر على قلب يهودي ونصراني حُب الإسلام فلا يزال إبليس يثبطه ويقول له: لا تعجل وتمهل في النظر، فيسوّفه حتى يموت على كفره، وكذلك يسوف العاصي بالتوبة فيجعل له غرضه من الشهوات ويمنّيه الإنابة.

(1) تفسير القرطبي (7 / 175)

كما قال الشاعر:

لا تعجل الذنب لما تشتهي وتأمل التوبة من قابل

وكم من عازم على الجذ سَوَّفه ، وكم ساع إلى فضيلة ثبطه، فريما عزم الفقيه على إعادة درسه فقال : استرح ساعة ، أو انتبه العابد في الليل يصلي فقال : عليك وقت ، ولا يزال يجب الكسل ويسوّف العمل ويسند الأمر إلى طول الأمل " (1).



(1) تلبس إبليس ص 486 .

(35)



القرين من الشيطان

قال في اللسان: قارن الشيء الشيء مقارنةً وقراناً " اقترن به وصاحبه. واقترن الشيء بغيره وقارنته قراناً : صاحبتة .

وقرنت الشيء بالشيء : وصلته .

والقرين : المصاحب .

وفي الحديث " ما من أحدٍ إلا وكَلَّ به قرينه " أي مُصاحبه من الملائكة والشياطين. وكلُّ إنسانٍ، فإنَّ معه قريناً منها فقرينه من الملائكة يأمره بالخير ويحثه عليه .

ومنه الحديث الآخر: " فمقاتله فإنَّ معه القرين " .

والقرين يكون في الخير والشر .

والقرين: صاحبك الذي يقارنك، وقرينك : الذي يقارنك ، والجمع قرناء.

وقرينه الرجل: امرأته لمقارنته إياها . (1)

والقرين في القرآن والسنة على أربعة أصناف، قرين من الجن وقرين من الإنس،

وقرين سائق وشهيد، وقرين من الملائكة قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ

شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ [الزخرف: 36] .

فالصنف الأول : قرين الجن .

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ [الزخرف: 36]

قال الواحدي: " ومن يعرض عن القرآن، يقال: عشوت إلى النار أعشو عشواً، أي :

قصدتها مهتدياً بها. وعشوت أعرضت عنها. كما تقول: عدلت إلى فلان، وعدلت عنه ،

وملتُ إليه ، وملتُ عنه " . (2)

قال الزجاج: والمعنى: أن من أعرض عن القرآن وما فيه من الحكمة إلى إباطيل

(1) اللسان مادة قرن.

(2) تفسيره (4 / 72).

المضلين نعاقه بشيطان نقيضه له حتى يضلّه ويلازمه قريناً له فلا يهتدي ، مجازاة له أثر الباطل على الحق المبين " (1).

قال الواحدي: (فهو له قرين) صاحب له يزيّن له العمي ، ويخيّل إليه أنه على الهدى وهو على الضلالة ، وذلك قوله ﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ ﴾ [الزُّخْرُف: 37] وإن الشياطين ليمنعوهم عن سبيل الهدى " (2).

قال ابن عطية: " ومن يقل نظرُه في شرع الله ويغمض جفونه عن النظر في ذكر الرحمن ، أي فيما ذكر به عباده ، فالمصدر إلى الفاعل (نقيض له شيطاناً) أي : نيسر له ونُعد ، وهذا هو العقاب على الكفر بالحتم وعدم الفلاح ... وقال : وقرأ الجمهور " نقيض " بالنون وقرأ الأعمش " يقيض " بالياء " شيطاناً " أي يقيض إليه. وقرأ ابن عباس : " يقيض له شيطاناً " بفتح الياء الثانية وشدها ورفع النون من " شيطان " .

والضمير في قوله : " إنهم " عائد على الشياطين . وفي (يصدونهم) على الكفار و(السبيل) هي سبيل الهدى والفوز ، والضمير في (يحسبون) للكفار " (3).

أما ابن كثير فقال : (ومن يعش) أي : يتعامى ويتغافل ويعرض ﴿ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ ﴾ [الزُّخْرُف: 36] والعشا في العين : ضعف بصرها ، والمراد ها هنا : عشا البصيرة . ﴿ نَقِيضٌ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ [الزُّخْرُف: 36] كقوله تعالى ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ عَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۖ جَهَنَّمَ سَاءَتْ مَصِيرًا ﴾

[النساء: 115] وكقوله ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ [الصف: 5] وكقوله ﴿ وَقِيصْنَا لَهُمْ قُرْآنًا فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴾ [فُصِّلَتْ: 25] ولهذا قال ها هنا ﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ

عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴾ [الزُّخْرُف: 37] أي : هذا الذي تغافل عن الهدى نقيض له من الشياطين من يضلّه ويهديه إلى صراط الجحيم ، فإذا وافى الله يوم القيامة

(1) معاني القرآن ص 200

(2) الواحدي (4 / 72).

(3) المحرر الوجيز (5 / 55)

يتبرم بالشيطان الذي وَّكَّلَ به، ﴿يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَسَّ الْقَرَيْنُ﴾ [الرَّحُف:38] أي: فبئس القرين كنت لي في الدنيا، وقرأ بعضهم: "حتى إذا جاءنا" يعني القرين والمقارن".⁽¹⁾

وأخرج عبد الرزاق في "تفسيره" (2767) عن سعيد الجري قال: بلغنا أن الكافر إذا بُعث من قبره يوم القيامة سفح بيده شيطان فلم يفارقه، حتى يصيرهما الله تعالى إلى النار، فذلك حين يقول ﴿يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَسَّ الْقَرَيْنُ﴾. قال ابن عباس - رضي الله عنهما - ومجاهد وقتادة وغيرهم: هو الشيطان الذي وكل به، يقول عن الإنسان الذي قد أوفي القيامة كافراً تبرأ منه شيطانه فيقول: ما أضللتك، بل كان هو في نفسه ضالاً قابلاً للباطل معانداً للحق كما أخبر سبحانه تعالى.

قال ابن كثير - رحمة الله (لا تختصمو لدي) يقول الرب عز وجل للإنسي وقرينه من الجن، وذلك أنها يختصمان بين يدي الحق تعالى فيقول الإنس، يارب هذا ضلني عن الذكر بعد إذ جاني، ويقول الشيطان ﴿رَبَّنَا مَا أَطَعْنَاهُ، وَلَكِنْ كَانِ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ [ق:27] أي: عن منهج الحق.⁽²⁾

قال مجاهد في قوله تعالى ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾ [الصفات:51] يعني شيطاناً وقال مجاهد والسدي في قوله تعالى ﴿وَقِيضْنَا لَهُمْ قُرْنَاءً﴾ [فصلت:25]. قال: شياطين. ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ﴾ [ق:23] أي الشيطان، رداً لقوله ربنا أطعاني شيطاني (ربنا ما أطعته ولكن كان في ضلال مبين).

فأعنته عليه بالإغواء، والتزيين من غير قسر له ولا إلقاء"⁽³⁾.

قال ابن الجوزي (قال قرينه) هو الشيطان وهذا قول الجمهور. وقال: وفي الكلام اختصار تقديره: إن الإنسان أدعى على قرينه من الشياطين أنه أضله فقال ﴿رَبَّنَا مَا أَطَعْنَاهُ﴾ [ق:27] أي: لم يكن لي قوة على إضلاله بالإكراه، وإنما

(1) تفسير ابن كثير (7 / 228 - 229).

(2) تفسير ابن كثير (4، 286 - 287).

(3) صفة البيان (ص 663).

طغي هو بضالاه . (1)

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : " إن وسواس الرجل يخبر وسواس الرجل ومن ثمّ يفسوا الحديث " (2) .

وأخرج مسلم في " صحيحه (2815) عن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من عندها ليلاً قالت : فغرت عليه قالت : فجاء فرأى ما أصنع فقال : " مالك يا عائشة أغرت ؟ " فقلت : ومالي لا يُغار مثلي على مثلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أفأخذك شيطانك ؟ " فقلت : يا رسول الله أو معي شيطان ؟ قال " نعم ، ومع كل إنسان " قلت : ومعك يا رسول الله ؟ قال " نعم ، ولكن ربي عز وجل أعانني عليه حتى أسلم " وفي لفظ آخر " أعاني عليه فأسلم " وأخرجه أحمد (6 / 115) والنسائي (72 / 7)

قال أبو سليمان الخطابي - رحمه الله - :

" عامة الرواة يقولون : فأسلم على مذهب الفعل الماضي يريدون أن الشيطان قد أسلم " .

روي مسلم (2814) عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " مامنكم من أحد إلا وقد وُكِّلَ به قرينه من الجن " قالوا : وإيّاك ؟ يا رسول الله ! قال : " وإيّاي ، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم ، فلا يأمرني إلا بخير " .

قوله " فأسلم " برفع الميم وفتحها . وهما روايتان مشهورتان . فمن رفع قال : معناه أسلم أنا من شره وفتنته ، ومن فتح قال إن القرين أسلم ، من الإسلام ، وصار مؤمناً لا يأمرني . إلا بخير .

واختلفوا في الأرجح منهما . فقال الخطابي : الصحيح المختار الرفع ، ورجح القاضي عياض الفتح ، وهو المختار لقوله صلى الله عليه وسلم : فلا يأمرني إلا بخير .

واختلفوا على رواية الفتح . قيل : أسلم بمعنى استسلم وانقاد . وفي رواية غير

مسلم

(فاستسلم) وقيل : معناه صار مسلماً مؤمناً . وهو الظاهر .

(1) زاد المسير (8 ، 18) .

(2) غرائب الجن (ص 208)

قال القاضي : وأعلم أن الأمة مجتمعة على عصمة النبي ﷺ من الشيطان في جسمه وخاطره ولسانه .

وفي هذا الحديث إشارة إلى التحذير من فتنة القرين ووسوسته وإغوائه . فإعلمنا بأنه معنا: لنحترز منه بحسب الإمكان " (هامش صحيح مسلم) .

وأخرجه مسلم عن عائشة رضي الله عنها **قالت** : فقدت رسول الله ﷺ وكان معي على رأسي فوجدت رسول الله ﷺ ساجداً راصاً عقبه مستقبلاً بأطراف أصابعه القبلة فسمعتة يقول : " أعوذ بالله من سخطك وبعفوك من عقوبتك ، وبك منك ، لا أبلغ كل ما فيك "

فلما انصرف قال : " يا عائشة : أخذك شيطانك " . فقالت : " أملك شيطان ؟ " قال : " ما من أدمي إلا وله شيطان " فقلت : وأنت يا رسول الله ؟ قال : وأنا ولكني دعوت الله تعالي فأعاني عليه فأسلم "

فهذه الروايات وغيرها مما لم نذكرها ، وسوف نذكرها في باب السنة ، تدل على وجود قرين لكل إنسان ، وهذا القرين كافر بالإجماع ، ما خلا قرين النبي ﷺ . وهذا القرين الشيطاني يأمر بالكفر ، ويدعو العبد إليه ، ويمشي في دمه ، ويخالط شحمه ولحمه ، ويسيطر على العقول ، والقلوب وهو يَضنع خطمه على قلب ابن آدم ، فإن ذكر الله خنس ، وإن نسي ذكر الله التقمه الشيطان .

وهذا القرين بخلاف ما يوسوسه للعبد ، ويزينه له ، ويلبس عليه ، إلا أنه يتعاون من السحرة والدجلين علي إغوائه أكثر ، كما سبق بيانه .

قال الشيخ حامد الفقي - رحمة الله -

" الواقع أن ذلك من تألف روح الشيطان القرين مع روح قرينه الإنسان الخبيث فيتناجيان ، ويتكلم الشيطان مع قرينه بما يجب من الأخبار التي يتلقاها الشيطان عن الشيطان الآخر قرين الإنسان الآخر ، وهكذا ، فإن لكل إنسان قريناً من الشيطان كما جاء ذلك في القرآن والسنة فيخبر شيطان الإنس بما أوحى إليه شيطان الجن من أخبار السائل وأحواله في منزله ، وخصوصية نفسه مما ألقاه إليه الشيطان القرين ، فيظن الجهلة والمغفلون أن ذلك عن صلاح وتقوي وكرامات ، وأنه بصلاحه قد كُشف الحجاب عنه ،

وهذا من أضل الضلال، ومن أعظم الخدلات، وإن اعتقده وخذع به كثير ممن ينتسب إلى ظاهر العلم والصلاح " (فتح المجيد : ص 155).

الثاني : القرين من الإنس :

قال تعالي ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴾ [الصفات: 51]

وقال تعالي ﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ [فُصِّلَتْ: 25]

قال ابن عباس - رضي عنه - " إن الرجل المشرك يكون له صاحب من أهل الإيوان في الدنيا في قوله تعالي ﴿ كَانَ لِي قَرِينٌ ﴾ .

وقال ابن كثير - رحمة الله - " إن الشيطان يكون من الجن فيوسوس في النفس ويكون من الإنس فيقول كلاماً تسمعه الأذنان وكلاهما يتعاونان " وقال أيضاً : " يذكر الله تعالي هو الذي أضل المشركين ، وأن ذلك بمشيئته وكونه وقدرته وهو الحكيم في أفعاله بما قَيَّضَ لهم من القرناء من شياطين الإنس والجن " (1).

ثالثاً : قرين الملائكة :

قال رسول الله ﷺ " ما من أحد منكم إلا وقد وُكِّلَ به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة " الحديث وقد سبق .

وعن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ " ما منكم من أحد إلا ومعه قرينه من الجن وقرينه من الملائكة " . رواه مسلم وقد سبق .

وقرين الملائكة يأمر بالخير، كما أن قرين الجن يأمر بالشر، فقرين العبد من اللائكة يعاونه على الخير، ويحثه على فعل الطاعات، وربما حذره من فعل المعاصي، ويأخذ بناصية إلى الله تعالي . بخلاف قرين الجن الذي يأمر بالشر، ويحث العبد على فعل المعاصي ويقوّي فيه الرغبة إلى المعصية، ويدفعه إليها، ويزيد من عزمه، ويعلي همته، ويزعجه إلى فعلها .

وقرين العبد من الملائكة يدعوهُ إلى مصاحبة الأخيار، كما أن قرينه من الجن يدعوهُ إلى مصاحبة الأشرار .

(1) تفسير ابن كثير (4 / 9)

قرين العبد من الملائكة يدعوه إلى التوبة من جميع الذنوب، ويأمله ويدفعه، إلى الله تعالى ويشرح صدره للتوبة والرجوع إلى الله تعالى، أما قرينه من الجن، فيأسه من التوبة، ويضعه في خندق الذنب ولو كان صغيراً ثم يهيل التراب عليه، ويقنطه من رحمه الله تعالى.



(36)



الشيطان المارد

ذكر الله الشيطان المارد في كتابه في ثلاثة مواضع ، الموضع الأول: في قوله تعالى

﴿ وَحَفِظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴾ [الصفات:7]

وفي قوله تعالى ﴿ وَبَتَّعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴾ [الحج:3]

وفي قوله تعالى ﴿ وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴾ [النساء:117]

الماردُ : العاتي.

مَرْدٌ علي الأمر بالضم، يَمْرُدٌ مروداً ومرادةً، فهو مارد ومريدٌ، وتمردَ: أقبل وعتا، وتأويلُ المرد أن يبلغ الغاية التي تخرجُ من جملة ما عليه ذلك الصنف .

والمارد من الرجال : العاتي الشديد، وأصلُهُ من مَرْدَةِ الجنِّ والشياطين ومنه حديث رمضان " وتصفد فيه مردة الشياطين " جمع مارد.

والمردُّ على الشيء: المرون عليه ، ومرد علي الكلام : أي مرن عليه لا يعأبه، قال تعالى ﴿ وَمَنْ أَهْلُ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النَّفَاقِ ﴾ [التوبة:101].

قال الضراء:

يريد : مَرْنُوا عليه وجَرَبُوا كقوله تمرّدوا.

وقال ابن الأعرابي : المردُّ التناول بالكبر والمعاصي، ومنه قوله تعالى " مَرَدُوا عَلَى النَّفَاقِ " أي: تناولوا . والمرادةُ: مصدر المارد والمريدُ: من شياطين الإنسن والجن ، وقد تمرّد علينا أي : عتا. ومرد علي الشرِّ وتمرد ، أي عتا وطغي.

والمريدُ: الخبيث المتمردُ الشرير . وشيطانُ ماردٌ ومريدٌ واحدٌ.

وقال ابن سيده: والمريد يكون من الجن والإنسن وجميع الحيوان (1).

أما قول تعالى ﴿ وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴾ .

(1) اللسان مادة " مرد "

قال ابن عطية - رحمة الله -

"مریداً" معناه: عاتياً صليماً في غوايته، وهو فعيل من مرد: إذ عتا وغلا في إنحرافه، وتجرد للشرّ والغواية" (1).

قال الزجاج: "المريد" المارد، وهو الخارج عن الطاعة، ومعناه: أنه قد مرد في الشرّ، يقال: مرد الرجل يُمرد مروداً: إذا عتا، وخرج عن الطاعة. وتأويل المروود: أن يبلغ الغاية التي يخرج بها من جملة ما عليه ذلك الصنف، وأصله في اللغة: املساس الشيء، ومنه قيل للإنسان: أمرد، إذا لم يكن في وجهه شعر، وكذلك يقال: شجرة مرداء: إذا ناثرت ورقها، وصخرة مرداء، إذا كانت ملساء" (2).

وقال في "نظم الدرر" (2/ 320):

(مريداً) أي عاتياً صليماً عاصياً ملازماً للعصيان، مجرداً من كل خير، محترقاً بأفعال الشر، بعيداً من كل أمن - ومرد - عبر بصيغة فعيل التي هي للمبالغة في سياق دمهم تنبيهاً على أنهم يعبدوا لما لا إلياس في شراراته، لأنه شر كله، بخلاف ما في سورة الصافات، فإن سياقة يقتضى عدم المبالغة" (3).

الآية الثانية: قوله ﴿وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾ [الحج: 3]

قال البقاعي: "ويتبع بغاية جهده في جداله ﴿كُلَّ شَيْطَانٍ﴾ أي: محترق بالشر فُبعد باللعن.

ولما كان السياق لذم التبعة، أشار إلى أنه لا قصد له في إتباعه إلا الشرّ، لأنه لا ليس في أمره بصيغة المبالغة كما مضى في "النساء" ويأتي في "الصافات" فقال (مريد) أي متجرد للنساء لا شغل له غيره، فهو في غاية الضراوة عليه. قال البيضاوي: وأصله من العري" (4).

(1) الممر الرجيز (2، 1114)

(2) زاد المسير لابن الجوزي (2/ 204) وتفسير القرطبي (2/ 337).

(3) نظم الدرر للبقاعي (2/ 320).

(4) نظم الدرر (5/ 133).

قال الزجاج: أصل المرید والمارد المرتفع الأملس، وفيه معنى التجرد والتعري، والمراد به إما إبليس وجنوده، وإما رؤساء الكفرة الذين يدعون من دونهم إلى الكفر⁽¹⁾

وأما قوله تعالى ﴿ وَحَفَظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴾ [الصفات: 7]

قال ابن كثير: "المتنرد العاتي إذا أراد أن يسترق السمع أتاها شهاب ثاقب فأحرقه"⁽²⁾ ومن الأدلة السننية لوجود الشيطان المارد:

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: "أتاكم شهر رمضان، شهر مبارك، فرض الله عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب الجنة، وتُغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه مردة الشياطين وفيه ليلة هي خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم"⁽³⁾

قال الحلبي - رحمه الله -:

"وتصفيد الشياطين في شهر رمضان يحتمل أن يكون المراد به أيامه خاصة، وأراد الشياطين التي هي مسترقة السمع، ألا تراه قال "مردة الشياطين" لأن شهر رمضان كان وقتا لنزول القرآن إلى سماء الدنيا وكانت الحراسة قد وقعت بالشهب كما قال تعالى ﴿ وَحَفَظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴾ [الصفات: 7] فزيد في التصفيد في شهر رمضان مبالغة في الحفظ والله أعلم"⁽⁴⁾

قال القاضي أبو يعلى - رحمه الله - الشياطين مردة الجن وأشرارهم، وكذلك يقال

في الشرير: مارد وشيطان من الشياطين وقد قال تعالى ﴿ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴾ .

وقال ابن عقيل - رحمه الله - "والشياطين العصاة من الجن وهم ولد إبليس والمردة

أعتاهم وأغواهم، وهم أعوان إبليس ينفذون بين يديه في الإغواء كأعوان الشياطين".

وقد ابن عبد البر - رحمه الله - "الجن عند أهل الكلام والعلم باللسان منزلون

على مراتب فإن خبث وتعزم فهو شيطان، فإن زاد على ذلك فهو مارد"⁽⁵⁾ وسيأتي مزيد

من أخبار الشيطان المارد في باب السنة إن شاء الله تعالى، ووظيفته.

(1) معاني القرآن (3/ 333) والمحزر الوجيز (4/ 107) وروح المعاني للألوسي (9/ 147).

(2) تفسير ابن كثير (6/ 7)

(3) صحيح - أخرجه أحمد والنسائي وابن خزيمة والبيهقي - صحح الجامع (55).

(4) هامش صحيح الترغيب (5/ 516).

(5) غرائب الجن (ص 24).

(37)



إرسال الشياطين

قال تعالى: ﴿الْمَرَّتْ رَأَانَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكٰفِرِينَ تَوۡزُهُمۡ أَزًّا﴾ [مريم: 83].

قال الزجاج: في معنى هذا الإرسال وجهان:

أحدهما: خليتنا بين الشياطين وبين الكافرين، فلم نعصمهم من القبول منهم.

والثاني: وهو المختار: سَلَطْنَاهُمْ عَلَيْهِمْ وَقِيضْنَاهُمْ لَهُمْ بِكُفْرِهِمْ. ﴿تَوۡزُهُمۡ أَزًّا﴾ أي:

تزعجهم إزعاجاً يركبوا المعاصي. وقال الفراء: تزعجهم إلى المعاصي، وتغريهم بها.

قال ابن فارس: يقال: أزه على كذا: إذا أغراه به، وأزّت القدر: غلت (1).

قال ابن عطية - رحمة الله -:

(أرسلنا) معناه: سَلَطْنَا أَوْ لَمْ نَحُلْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ، فكله تسليط وهو مثل قوله (نقيض

له شيطاناً) وتعديته بـ (على) دال على أنه تسليط.

(تَوَزَّهُمْ) معناه: تغلبهم وتحركهم إلى الكفر والضلال.

قال قتادة: تزعجهم إزعاجاً.

قال ابن زيد: تشليهم أشلاء، ومنه: أزيز القدر، وهو غليانه وحركته (2).

قال القرطبي - رحمه الله -:

﴿الْمَرَّتْ رَأَانَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ﴾ أي: سلطناهم عليهم بالإغواء وذلك حين قال إبليس

﴿وَأَسْتَفْزِزُ مِنْ أَسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾ [الإسراء: 64] قيل: ﴿أَرْسَلْنَا﴾ أي: خليتنا. يقال:

أرسلت البعير، أي: خليته، أي خليتنا الشياطين وإياهم ولم نعصمهم من القبول منهم.

وقال الزجاج: قيضنا ﴿تَوَزَّهُمْ أَزًّا﴾ قال ابن عباس - رحمته - تزعجهم إزعاجاً من

الطاعة إلى المعصية.

وعنه قال: تغريهم إغراء بالشر. أمضى أمضى في هذا الأمر حتى توقعهم في النار.

(1) معاني القرآن (3/ 345) وابن الجوزي في "الزاد" (5/ 312).

(2) المحرر الوجيز (11/ 56) وتفسير الطبري (16/ 95) والماوردي (2/ 537).

حكى الأول الثعلبي، والثاني: الماوردي. والمعنى واحد، وقال الضحاك: تغويهم

إغواء (1)

قال قتادة: تشليهم إشلاء. (2)

وأصله من الحركة والغليان ومنه الخبر المروى عن النبي ﷺ "قام إلى الصلاة ولجوفه

أزيز كأزيز الرجل من البكاء" (3)

واقتزت القدر اثتزازاً اشتد غليانها، والأز التهييج والإغراء قال تعالى (ألم ترأن

أرسلنا) الآية - أي: تغريهم على المعاصي، والأز الاختلاط، وقد أوزت الشيء أوزة

أزاً، أي: ضمت بعضه إلى بعض "قاله الجوهري.

ومثله قوله تعالى: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٣١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٣٢﴾

[الشعراء: 221، 222]

وقد سبق الكلام على التنزيل.

فالناظر إلى الآيات وذكرها لحال الشياطين تجد أن الله تعالى ذكر تسليطها على العباد

بكل طرق التسليط، والإغواء.

فذكر "نقيض له شيطانا" وذكر "إرسال الشياطين" وذكر "إغواء الشياطين" وذكر

"طائف الشيطان" وذكره "وحي الشيطان" وذكر "تخويف" و "تخزين" واستهواء

الشيطان" و "استفزاز الشيطان" و "إغراء الشيطان" وكل ما ذكرنا من حاله، ليحفظ

العبد، ويتسلح من عدواته له، ويأخذ حذره منه، حتى لا يقع فريسة لعداوته ثم يكون

من حزبه، ثم يكون من أصحاب السعير.

قال القضاعي - رحمه الله -.

(ألم ترأنا) بما لنا من العظمة (أرسلنا الشياطين) الذين خلقناهم من النار، إرسالاً

مستعلياً بالإبعاد والإحراق (على الكافرين) أي العريقين في الكفر (تؤزهم أزا) أي :

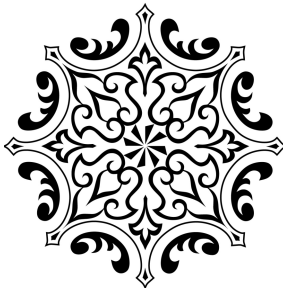
تحركم تحريكاً شديداً، وترزعجهم في المعاصي والدنيا التي لا يشكون في قباحتها وعظيم

(1) تفسير الطبري (95 / 16).

(2) أخرجه أحمد (26، 25 / 4) وأبو داود (904) والنسائي عن مطرف عن أبيه وهو حديث صحيح.

(3) الصحاح للجوهري (864 / 3) وتفسير القرطبي (137 / 6) وابن كثير (370 / 4).

شناعتها وهم أشد الناس عيبا لفاعليها، وذما لمرتكبيها إزعاجا عظيمة بحيث يكونون في تقبلهم ذلك مثل الماء الذي يغلي في القدر، ومثل الشرر المتطاير الذي هو أشد شيء منافاة لطبع الطين وملاءمة لطبع النار، فلما ثبت بذلك المدعي، تسبب عنه النهي عما اتصفوا به من خفة السفه وطيش الجهل فقال: (فلا تعجل عليهم) بشيء مما تريد به الراحة منهم" (1).



(38)



اتباع الشيطان

قال الزجاج: تبع: يقال: تبعه وأتبعه: قفا أثره، وذلك تارةً بالجسم، وتارةً بالارتسام والانتثار.

وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 38].

وقال تعالى: ﴿قَالَ يَنْقُورِ أَتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ أَتَّبِعُوا مِنْ لَّا يَسْئَلُكُمْ أَجْرًا﴾

[يس: 20، 21].

وقوله: ﴿فَمَنْ أَتَّبَعَ هُدَاىَ﴾ [طه: 123] ﴿أَتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: 3].

وقوله: ﴿وَاتَّبَعَكَ الْأَرْدَلُونَ﴾ [الشعراء: 111] ﴿وَأَتَّبَعْتَ مَلَءَاءِ أَبَايَ﴾ [يوسف: 38]

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: 18]

﴿وَأَتَّبِعُوا مَا نَتَلُوا الشَّيْطَانُ﴾ [البقرة: 102] ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ الشَّيْطَانِ﴾ [البقرة: 168]

﴿إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ﴾ [الدخان: 23] ويقال: أتبعه: إذ لحقه قال تعالى: ﴿فَأَتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ﴾

[الشعراء: 60] ﴿ثُمَّ أُنْبِئْ سَبَبًا﴾ [الكهف: 89] ﴿وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا﴾ [القصص: 42]

﴿وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ [القصص: 42] ﴿فَأَتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾ [الأعراف: 175]

﴿فَأَتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا﴾ [المؤمنون: 44] يقال: أتبعته عليه، أي: أحلت عليه، ويقال: أتبع

فلان بهال، والتبع: رجل الدابة⁽¹⁾

وفي "اللسان": تبع . تبع الشيء تبعاً وتباعاً في الأفعال، وتبعته الشيء تبعاً: سرت

في أثره، وأتبعته وأتبعته وتتبعته قفاه وتطلبته متبعاً له.

واتبعه الشيء: جعله له تابعا، وقيل: اتبع الرجل سبقة فلحقه. وتبعه تبعاً واتبعه: مر

به فمضى معه.

واستتبعه: طلب إليه أن يتبعه.

(1) مفردات ألفاظ القرآن (ص: 162 - 163) مادة "تبع"

وتبعت الشيء وأتبعته؛ مثل ردفته وأردفته ومنه قوله تعالى ﴿إِلَّا مَنْ خِطَفَ الْخَطْفَةَ فَاتَّبَعُهُ﴾ [الشافات:10] قال أبو عبيد: اتبعت القوم مثل أفعلت إذا كانوا قد سبقوك فلحقهم قال: واتبعتهم تبعاً مثله. ويقال: ما زلت أتبعهم حتى اتبعهم: أي حتى أدركتهم.

قال الضراء: اتَّبَعَ أَحْسَنُ مَنْ اتَّبَعَ، لَأَنَّ الْاِتِّبَاعَ أَنْ يَسِيرَ الرَّجُلُ وَأَنْتَ تَسِيرُ وِرَاءَهُ، فَإِذَا قَلَّتْ اِتِّبَعْتَهُ فَكَأَنَّكَ قَفْوَتَهُ. قال لليث: تبعْتُ فلانا وأتبعته وأتبعته سواءً. واتَّبَعَ فلانٌ فلاناً إذا تَبَعَهُ يُرِيدُ بِهِ شَرًّا كما أتبع الشيطان الذي أنسخ من آيات الله فكان من الغاوين. **وأما التتبع:** فأن تتبَّع في مهلة شيئاً بعد شيء، وفلانٌ يتبَّع مساوئ فلان وأثره، ويتتبَّع مداق الأمور ونحو ذلك.

وَاتَّبَعَ الْقُرْآنُ: اتَّهَمَ بِهِ وَعَمَلَ بِمَا فِيهِ

والتابعت: الرئي من الجن، الحقوه الهاء للمبالغة أو لتشنيع الأمر، أو على إرادة الداهية.

والتابعت: جنية تتبع الإنسان.

وفي الحديث: أوّل خير قدم المدينة، يعني من هجرة النبي ﷺ امرأة كان لها تابع من الجن، التابع ههنا: جنى يتبع المرأة يحبها. والتابعة: جنية تتبّع الرجل تُحبه. وقولهم: معه تابعة أي من الجن (1)

وكما أن هذه المادة كثيرة جداً في اللغة، فهي كذلك في القرآن والسنة، وفي هذه العجالة نحاول استقصاءها على قدر الإمكان مع شيء من البيان والتوضيح. والمتتبع لهذه الكلمة في كتاب الله تعالى يجد عجباً، فقد ذكرت في كتاب نحو من مئتي موضع. وأكثر هذه المواضع استخداماً في "اتبع الهوى" و"اتباع الشيطان" و"اتباع الهدى" و"اتباع الرسل" ومواضع أخرى.

أما اتباع الهوى؛ فقد ذكر الآيات والمراد منها في "موضع سابق" ونذكر هنا الآيات التي نهى الله عباده فيها عن اتباع الهوى تذكيراً لأولى الألباب، وتنبهها لأولى الأفهام.

(1) اللسان مادة (تبع) وراجع هذه المادة في اللغة لأنها واسعة جداً يتعذر تتبعها الآن.

قال تعالى: محذراً نبيه - ﷺ - من إتباع أهواء أهل الكتاب اليهود والنصارى وغيرهم ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهَدَىٰ وَلَئِنْ آتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: 120] قلت: إذا كانت العقبة لمن أتبع أهواء اليهود والنصارى في حق خير خلق الله - ﷺ - كما أخبر الله تعالى، برفع الولاية الربانية ونصرته عن أحب خلق الله إلى الله، فكيف بمن دونه؟ وإتباع اليهود والنصارى من الحكام والأمراء والسلاطين على قدم وساق!! وقال تعالى: ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَٰ أَنْ تَعْدُوا﴾ [النساء: 135] لأن إتباع الهوى يميل بالعبد فينصرف عن العدل، فهو ضد العدل، ولا يتفق إتباع الهوى والعدل معاً.

وحذر نبيه ثانية فقال له ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: 48] وحذره أخرى فقال له: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرَهُمْ أَنْ يُفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: 49] فإذا خاف الله تعالى على نبيه من الفتنة في إتباع أهواء اليهود والنصارى، فما قدر الفتنة التي تنتظر غيره، من غير المعصومين؟ وإذا كان إتباع الهوى بالنسبة للنبي - ﷺ - يفتن عن بعض ما أنزل إليه، فهل سيبقى من ديننا شيء عندنا إذا اتبعنا أهواء هؤلاء اليهود والنصارى!!

ثم حذرة أخرى فقال: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: 77] يا أهل ملتي، يا من على دين النبي وأصحابه! حذرننا الله، ونهانا عن إتباع أهواء الذين حُكم عليه بالضلال في الماضي والحاضر والمستقبل، فهل يُعقل أن يتبع أهل الهدى والحق والنور، أهل الضلالة والكفر والإلحاد؟ وقال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: 56] وقال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايِنِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: 150] كل من جعل مع الله إلهاً آخر، فهو كذاب، وكل من لم يؤمن بالآخرة وما فيها فهو كافر كذاب، وكل من عدل بالله وعنه

فهو كافر كذاب.. هؤلاء جميعاً نهانا الرب سبحانه عن إتباع أهواءهم - وما اليهود والنصارى إلا من جنس هؤلاء الكذبة.

وقد ضرب الله مثلاً لمن أتبع هواه وأخلد إلى الأرض كالكلب، إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث قال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ﴾ [الأعراف:176] وقال الله سبحانه لنبيه - ﷺ: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف:28].

فكل من ترك الذكر، ولم يتبع كتاب الله تعالى، وغفل عن منهج الله، فهو يتبع هواه ولا شك.

وقال له أيضاً ربه سبحانه وتعالى: ﴿فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ فَتَرَدَّى﴾ [طه:16].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون:71] فإن الفساد الذي عم البلاد وطم، سببه إتباع الهوى وعدم إتباع شرع الله تعالى. وقال لنبيه ﷺ: ﴿وَلَيْنِ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ [الرعد:37].

وقال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوْنَهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ [القصص:50]. وأخبر عن الظالمين ومن هم؟ فقال تعالى: ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِّن نَّاصِرِينَ﴾ [الروم:29] ولقد أمر الله نبيه داود عليه السلام بأن يحكم بين الناس بالحق ولا يتبع الهوى حتى لا يضل عن سبيل الله فقال تعالى: ﴿فَأَحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص:26]. ثم أمر نبيه ﷺ بإتباع شريعته وعدم اتباع الهوى فقال: ﴿جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجمانية:18].

وقال في سورة محمد أن من زين سوء عمله أتبع هواه، وأهواء الضالين من البشر فقال: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِۦ وَأَتَّبَعُواٰ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [محمد:14]. وهؤلاء المتبعين لأهوائهم قد طبع الله على قلوبهم فقال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُواٰ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [محمد:16].

وأخبر عن الكافرين أن من أخص خصائصهم أنهم يتبعون أهواءهم فقال تعالى: ﴿وَكَذَّبُوا۟ وَاتَّبَعُوا۟ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [القمر:3]. فهذه أخبار أهل الهوى والمتبعين للهوى، وكيف أن الهوى هوى بهم في النار.

أما أهل الحق والمتبعين للهدى والرضوان فهذه أخبارهم. قال تعالى: وهو يخبر أن من أتبع هداه فهو من الآمنين الذين لا يخفون إذا خاف الناس، ولا يجزنون إذا حزن الناس. ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:38] أي: لا خوف عليهم في الدنيا أو لا هم يجزنون في الآخرة.

وأخبر أن الهدى هو هدى الله فقط، سواء كان في اتباع كتاب الله أو اتباع سنة النبي ﷺ فقال تعالى: ﴿قُلْ إِيَّاكَ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ﴾ [البقرة:120]. وقال تعالى: ﴿فَأَنقَلِبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّسْهُمُ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا۟ رِضْوَانًا﴾ [آل عمران:174]. وقال تعالى: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [المائدة:16]

وقال تعالى: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ﴾ [طه:47] وقال وهو يخبر عن حال المتبعين لهدى ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه:123] لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [يس:11]. والملائكة تستغفر لمن اتبع سبيل الرسل، واتبع هدى الله فقال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر:7].

وأخيرًا ، فإن جزاء من اتبع الإيمان كما أخبر الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ الْحَقِّنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلْتَهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: 21] * وهناك مسالك كثيرة في قضية الإلتباع أكثرها شيطانية.

لقد فضح الله تعالى اليهود والنصارى مرارًا في القرآن، وكشف عن مكنون قلوبهم فقال منبهاً عباده الموحدين: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ حَتَّىٰ تَبْعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ﴾ [البقرة: 120] وقال تعالى: ﴿وَقَالَتْ طَآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَأَمْنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَأَمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكَفَرُوا ءَاخِرَهُ ءَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تَتُومِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾

[آل عمران: 72، 73]

وقال تعالى عن أهل الكتاب: ﴿وَلَيْنَ آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ [البقرة: 145]. إلتباع كل جبار عنيد من صفات الذين جحدوا بآيات الله قال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [هود: 59] وقال تعالى ﴿فَاتَّبِعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ [هود: 97].

النهي عن إلتباع سبيل المضسدين قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: 142].

النهي عن إلتباع السبل والأمر بإلتباع سبيل الله الواحد ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: 153].

النهي عن إلتباع سبيل غير سبيل المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: 115]

النهي عن إلتباع السحرة قال تعالى: ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحْرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾ [الشعراء: 40] النهي عن إلتباع الظن، قال تعالى: ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحْرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾ النهي عن إلتباع الظن، قال تعالى: ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: 148].

وقال تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: 116].

وقال تعالى: ﴿وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: 36].

وقال تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [يونس: 66].

وقال تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾ [النجم: 23].

وقال تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [النجم: 28].

النهى عن اتباع سنة الأباء، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلَوْكَاتٍ ءَابَاءُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: 170].
 ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوْلَوْكَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [لقمان: 21] حال الذين أتبعوا الجهلة والظلمة في الموقف وحالهم في النار.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوْلَوْكَاتٍ ءَابَاءُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بَكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 170، 171].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوْلَوْكَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [لقمان: 21]. حال الذين أتبعوا الجهلة والظلمة في الموقف وحالهم في النار، قال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿٣١٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَدْرِكُهُمْ لَسَخَّطْنَا لَهُمْ عَنَّا مَتَدِينًا فَمَا كَانَ مِنَ السَّخَّاطِ لَهُمْ شَيْئًا فَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَذَلِكُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ [البقرة: 166، 167].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّكَ اللَّهُ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿[غافر: 47، 48]

قول الظلمة عندما تدعوهم إلى الهدى، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا إِن نَّبِيعَ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُخَطِّفُ مِنْ أَرْضِنَا﴾ [القصص: 57]. وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعون الداعي له، فقال الله مخبرا عنهم ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سِوَاءَ عَلَيْكُمْ أَدْعَوْتُهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَمِيمُونَ﴾ [الأعراف: 193].

وقالوا: ﴿فَقَالُوا أَبَشْرًا مِمَّا وَجَدْنَا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ وَسُعْرٍ﴾ [القمر: 24]

النهى عن إتباع الشهوات، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 27].

وقال تعالى: ﴿خَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيَا﴾ [مريم: 59].

أهل الكفر يتبعون الباطل دائما، وأهل الحق يتبعون الحق دائما، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾ [محمد: 3]

كما أن من صفات أهل الباطل أنهم يتبعون من يسخط الله قال الله عنهم: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسَخَطَ اللَّهُ وَكَرَهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: 28]. وأهل الغواية يتبعون الشعراء كما قال تعالى: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ [الشعراء: 224].

وأهل الكفر دائما يريدون من أهل الإيـمان إتباعهم على باطلهم قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلنَحْمِلَ خَطِيئَتَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [العنكبوت: 12]

صور من الإلتباع الصحيح :-

اتباع الكتاب المبارك المنزل من عند الله قال تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: 155].

قال الله على لسان نبيه وصفيه ﷺ: ﴿إِنْ أَتَيْتُمْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: 50]

وقال تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ [الأعراف: 3]

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّي﴾ [الأعراف: 203].

وقال للمسلمين أتباع النبي الكريم - ﷺ: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: 3].

وقال ﷺ: ﴿إِنْ أَتَيْتُمْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيْكُمْ﴾ [يونس: 15] وقال له ربه: ﴿وَأَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصِرَّ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [يونس: 109].

وقال تعالى: ﴿وَأَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [الأحزاب: 2] وأمر الله سبحانه نبيه بإتباع شريعته قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: 18].

وقال النبي ﷺ: ﴿إِنْ أَتَيْتُمْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيْكُمْ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأحقاف: 9].

وفي إتباع الرسول أنزل الله الأمر بذلك فقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾ [طه: 134].

وقبل أن تقع الندامة بسبب مخالفة الرسول ﷺ أمرنا الله تعالى باتباعه فقال: ﴿وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُمْ مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص: 47].

وليعلم العبد أن من علامات محبة الله متابعة الرسول ﷺ قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: 31] وعلق

الله الفلاح والنجاح في متابعة الرسول ﷺ فقال: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: 157].

أتباع الأنبياء جعل الله تعالى في قلوبهم الرأفة والرحمة قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَرِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ [الحديد: 27].

أما الذين اتبعوا نهج السلف، واقتفوا أثر الصحابة من المهاجرين والانصار فقد قال الله تعالى في حقهم ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: 100].

وأمر الله تعالى نبيه - ﷺ - بإتباع ملة أبيه إبراهيم عليه السلام في مواطن كثيرة منها قوله تعالى: ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: 95].
ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [البقرة: 130].

ومنها قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: 123] وأوصانا الله تعالى بإتباع سبيل التابيين فقال الله ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان: 15].

وهناك آيات أخرى في إلزام الموحدين وغيرهم بإتباع سبيل المرسلين، وهذه الآيات تحتاج إلى من يرتبها ويستخرج معانيها ويجعلها في مصنف فهي جديرة بإفراد التصنيف.

(39)



التحذير من إتباع الشيطان

ها قد وصلنا إلى المراد في هذا التبويب، وهو التحذير من إتباع الشيطان ومسالكة وخطواته، وخطراته، وإغراءته، ووساوسه، ووحيه، وكل ما يستخدمه للفتك بالبشر. ولقد ورد التحذير منه ومن إتباعه في ثلاثة عشر موضعا من كتاب الله تعالى.

الموضع الأول: التحذير من إتباع الخطوات، فقال تعالى: ﴿يَتَّبِعُهَا النَّاسُ كُلُّهُمْ مِمَّا فِي

الْأَرْضِ حَلَالًا طَيْبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: 168].

وقال تعالى: ﴿يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوبَ الشَّيْطَانِ

فَأِنَّهُ يُؤْمَرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [النور: 21].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [الأنعام: 142].

وقال تعالى: ﴿يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا

خُطُوبَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: 208]. فالموضع الأول لتحذير من

إتباع الخطوات.

الموضع الثاني: أن من أتبع الشيطان فإن جزائهم جهنم قال تعالى: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَذَّةً وَمَا

مَدْحُورًا لَمَنْ يَتَّبِعْ مِنْهُمْ لَا مَلَآنَ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأعراف: 18].

وقال تعالى: ﴿قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ يَتَّبِعْ مِنْهُمْ فَأَتْ جَهَنَّمَ جَزَاءً وَكُرْ جَزَاءً مَوْفُورًا﴾

[الإسراء: 63].

الموضع الثالث: اتباع الشيطان سبب الغواية قال تعالى ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ

ءَايَاتِنَا فَأَسْلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الأعراف: 175].

وقال: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الحجر: 42].

الموضع الرابع: أن رحمة الله بالعباد تمنعهم من اتباع الشيطان قال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ

إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ

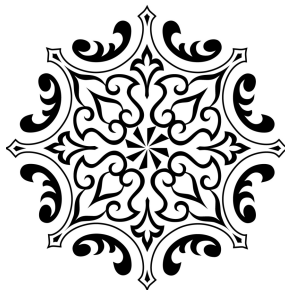
لَا تَبْعُهُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿ [النساء: 83].

الموضع الخامس: في قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ ۖ﴾ [البقرة: 102] وسيأتي الكلام عن هذه الآية بالتفصيل إن شاء الله تعالى.

الموضع السادس: كتب الله تعالى على كل من اتبع الشيطان الضلال والهداية إلى عذاب السعير، قال تعالى ﴿كُنِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [الحج: 4]

الموضع السابع: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمُ ابْنُ آدَمَ إِذْ قَالَ لِلَّهِ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [سبأ: 20]. وسيأتي الكلام عن تأويل هذه الآية في خصائص إبليس إن شاء الله تعالى.

فأقول: ما من موطن إلا قد حذرنا الله تعالى من إتباع الشيطان وإتباع خطواته وهو اجسه ووسوسته، وما من مدخل يدخل به على العبد إلا وبينه وبين أسبابه وبين علاجه، حتى لا يبقى لأحد حجة يوم القيامة، وتنقطع الأعدار.



(40)



حشر الشيطان

قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾

[مريم: 68]

قال ابن الجوزي - رحمه الله -:

(فوربك لنحشرنهم) يعني: المكذبين بالبعث (والشياطين) أي: مع الشياطين، وذلك أن كل كافر يُحشر مع شيطانه في سلسلة (ثم لنحضرنهم) أي: في جهنم، وذلك أن حول الشيء يجوز أن يكون داخله. تقول: جلس القوم حول البيت: إذا جلسوا داخله مطيفين به. وقيل: يجثون حولها قبل أن يدخلوها.

فأما قوله (جثياً): فقال الزجاج: هو جمع جاث، مثل: قاعد وقعود وهو منصوب على الحال، والأصل ضم الجيم، وجاء كسرهما إتباعاً لكسرة الثاء.

وللمفسرين في معناه خمسة أقوال:

أحدها: قعوداً. رواه العوفي عن ابن عباس - قلت: وسنده فيه ضعف وانقطاع والثاني: جماعات جماعات. روى عن ابن عباس أيضاً. فعلى هذا هو جمع جثوة وهي المجموع من التراب والحجارة.

والثالث: جثياً على الركب. قاله الحسن ومجاهد والزجاج.

والرابع: قياماً - قاله أبو مالك.

والخامس: قياماً على ركبهم. قاله السدي، وذلك لضيق المكان بهم⁽¹⁾

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله -:

(فوربك لنحشرنهم والشياطين): أقسم الرب تبارك وتعالى بنفسه الكريمة أنه لا بد

أن يحشرهم جميعاً وشياطينهم الذين كانوا يعبدون من دون الله⁽²⁾

(1) زاد المسير (5/ 253).

(2) ابن كثير (5/ 258).

قال ابن عطية - رحمه الله:-

"(فوربك) الآية وعيد يكون ما تفوه على أصعب وجوهه. قوله (لنحشرنهم) عائد للكفار والقائلين ما تقدم، ثم أخبر أنه يقرب بهم (الشياطين) المغوين لهم وقوله (جثيا) جمع جاث، كقاعد وقعود، جالس وجلوس، وأصله جثووا وليس في كلام العرب واو متطرفة قبلها ضمة فوجب لذلك أن تُعل، ولم يعتد هاهنجا بالسكن الذي بينها لخته وقلة حوله فقلبت ياء، فجاء جثويا فاجتمع الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت ياء، فجاء جثويا فاجتمع الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت ياء ثم أدغمت ثم كسرت التاء للتناسب بين الكسرة والياء - وقرأ الجمهور: (جثيا) و (صليا) بضم الجيم والصاد... وقال.. وأخبر الله تعالى أنه يحضر هؤلاء المستنكرين للبعث مع الشياطين فيجثون حول جهنم وهي قعدة الخائف الذليل على ركبته كالأسير ونحوه قال قتادة (جثيا) معناه: على ركبهم. وقال ابن زيد: الجثي شر الجلوس" (1)

قال القرطبي - رحمه الله:-

قوله تعالى ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ [مريم: 68] أي: أقسم بنفسه بعد إقامة الحجة بأنه يحشرهم من قبورهم إلى المعاد كما يحشر المؤمنين (والشياطين) أي: ولنحشرن الشياطين قرناء لهم، قيل: يحشر كل كافر مع شيطان في سلسلة كما قال تعالى ﴿أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ [الصفات: 22] والمعنى: أنهم يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين أغووههم، يقربون كل كافر مع شيطان في سلسلة.

فإن قلت: هذا إذا أريد بالإنسان الكفرة خاصة، فإن أريد الأناسي على العموم، فكيف يستقيم حشرهم مع الشياطين؟ قلت: إذا حشر جميع الناس حشراً واحداً وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين، فقد حشروا مع الشياطين كما حشروا مع الكفرة.

فإن قلت: هلاّ عزل السعداء عن الأشقياء في الحشر كما عزلوا عنهم في الجزاء.

قلت: لم يفرق بينهم في المحشر أو أحضروا حيث تجاثوا حول جهنم، وأوردتهم معهم النار ليشاهد السعداء الأحوال التي نجاهم الله منها، وخلصهم، فيزدادوا لذلك

غبطة، وسرورًا إلى سرور، ويشمتموا بأعداء الله تعالى وأعدائهم، فتزداد مسائتهم وحسرتهم، وما يغبطهم من سعادة أولياء الله وشمايتهم بهم، فإن قلت: ما معنى إحضارهم جثياً؟

قلت: أما إذا فسر الإنسان بالخصوص بالمعنى: أنهم يعتلون من المحشر إلى شاطئ جهنم تمتلاً - أي بالعنف - على حالهم التي كانوا عليها في الموقف، جثاة على ركبهم غير مشاة على أقدامهم، وذلك أن أهل الموقف وصفوا بالجثوا قال الله تعالى ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ [الجاثية: 28] على الحالة المعهودة في مواقف المقاولات والمناقلات، من تجاثي أهلها على الركب، لما في ذلك من الاستيفاز - أي عدم الإطمئنان - والقلق، وإطلاق الحُبَا خلاف الطمأنينة، أو لما يدهمهم من شدة الأمر التي لا يطيقون معها القيام على أرجلهم فيجثون على ركبهم جثواً، وإن فسر بالعموم، فالمعنى: أنهم يتجاثون عند موافاة شاطئ جهنم على أن (جثياً) حال مقدرة كما كانوا في الموقف متجاثين، لأنه من توابع التواقف للحساب، قبل التوصل إلى الثواب والعقاب، ويقال: إن معنى: (لنحضرهم حول جهنم جثياً) ي: جثياً على ركبهم، عن مجاهد، وقتادة، أي: أنهم لشدة ما هم فيه لا يقدرّون على القيام و(حول جهنم) يجوز أن يكون داخلها، كما تقول: جلس القوم حول البيت أي: داخله مطيفين به (1).



(41)



خطاب الشيطان في أهل النار

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلَا أَنْفُسُكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [إبراهيم: 22].

قال أبو جعفر بن جرير - رحمه الله - :

"يقول الله تعالى: وقال إبليس لما قضى الأمر، يعني لما أدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، واستقرَّ بكلِّ فريق منهم قرارهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ﴾ أيها الأتباع - النار، ووعدتكم النصره فأخلفتكم وعدى، ووفى الله لكم وعده ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ يقول: وما كان لي عليكم فيما وعدتكم من النصره من حجة تثبت لي عليكم بصدق قولي ﴿إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ﴾ وهذا من الاستثناء المنقطع عن الأول كما تقول: ما ضربته إلا أنه أحمق، ومعناه: ولكن دعوتكم ﴿فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ يقول: إلا أن دعوتكم إلى طاعتي ومعصية الله فاستجبت لدعائي ﴿فَلَا تَلُمُونِي﴾ على إجابتكم أيادي ﴿وَلَوْلَا أَنْفُسُكُمْ﴾ عليها ﴿مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ﴾ يقول: ما أنا بمغيثكم ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ﴾ ولا أنتم بمغيثي من عذاب الله فَمَنْجِيٍّ منه "إني كفرت بما أشركتموني" من ﴿قَبْلُ﴾ يقول: إن جحدت أن أكون شريكاً لله فيما أشركتموني فهي من عبادتكم ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ في الدنيا. ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يقول: إن الكافرين بالله ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ من الله موجه يقال: أصرخت الرجل: "إذا أغثته إصراخاً، وقد صرخ الصارخ بصرخ، وبصرخ قليلة وهو الصريخ والصراخ"

ثم روى بسند (561 - 2) من طريق داود عن عامر وهو الشعبي أنه قال في قوله

تعالى ﴿مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ﴾ الآية - قال: خطيبان يقومان يوم القيامة: إبليس،

وعيسى عليه السلام، فأما إبليس فيقوم في حزبه فيقول هذا القول، وأما عيسى عليه السلام فيقول ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ ﴾ [المائدة: 117] وذكره بأسانيد مختلفة (20562) (20563) (20564) ثم روى (20656) من طريق عبد الرحمن بن زياد عن دحين الحجري عن عقبة بن عامر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

يقول عيسى: "ذلك النبي الأمي فيأتونني، فيأذن الله لي أن أقوم فيثور من مجلسي من أطيب ريح شمها أحد حتى آتي ربي، فيشفعني، ويجعل لي نوراً إلى نور من شعر رأسي إلى ظفر قدمي، ثم يقول الكافرون: قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فقم أنت فاشفع لنا، فإنك أنت أضللتنا، فيقوم فيثور من مجلسه أنتن ريح شمها أحد، ثم يعظم نحيبهم، ويقول عند ذلك (إن الله وعدم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم) الآية وأخرجه البخاري في "خلق أفعال العباد" (606) والدارمي (2807) وابن المبارك في "الزهد" (374/ فوائد) والطبري في "الكبير" (887/17) عن طرق عن عبد الرحمن بن زياد وهو ابن أنعم الأفرقي وهو ضعيف وأخرج بن جرير (20566) عن الحسن قال في قوله ﴿ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ ﴾ قال: إذا كان يوم القيامة، قام إبليس خطيباً على منبر من نار، فقال ﴿ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ وَعْدَكُمْ وَعَدَّ الْحَقُّ وَوَعَدْتُمْ فَأَخْلَفْتُمْ ﴾ إلى قوله ﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِحِينَ ﴾ قال: بناصري ﴿ إِنْ كَفَرْتُمْ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ ﴾ قال: "بطاعتكم إياي في الدنيا" وأخرجه ابن جرير (20567) عن محمد بن كعب مثله.

وأخرج أيضاً (20575) عن ابن زيد قال: "خطيب السوء إبليس الصادق، أفرايم صادقاً لم ينفعه صدقه" ثم ذكر الآية (1).

قال الرازي - رحمه الله -:

"أعلم أنه تعالى لما ذكر المناظرة التي وقعت بين الرؤساء والأتباع من كفره الإنس، أردفها بالمناظرة التي وقعت بين الشيطان وبين أتباعه من الإنس فقال ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ وفي المراد بقوله ﴿ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ وجوه:

(1) تفسير الطبري (13/ 207) وتفسير الثعالبي (3/ 379).

القول الأول: قال المفسرون: إذا استقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار، أخذ أهل النار في لوم إبليس وتقريعه فيقوم في النار فيما بينهم خطيباً ويقول ما أخبر الله بقوله ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ ﴾ وذكر القول الثاني، ورجح الأول السابق.

وأما قوله ﴿ إِنَّكَ اللَّهُ وَعَدَّكُمْ وَعَدَّ الْحَقِّ وَوَعَدْتُمْ فَأَخْلَفْتُمْ ﴾ [إبراهيم: 22] ففيه مباحثة البحث الأول: المراد أن الله تعالى وعدكم وعد الحق وهو البعث والجزاء على الأعمال فوقكم بما وعدكم ووعدتكم خلاف ذلك فأخلفتكم وتقرير الكلام أن النفس تدعو إلى هذه الأحوال الدنيوية ولا تتصور كيفية السعادات الأخروية، والكمالات النفسانية، والله يدعوا إليها ويرغب فيها كما قال ﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ [الأعلى: 17].

وقوله ﴿ وَعَدَّكُمْ وَعَدَّ الْحَقِّ ﴾ التقدير إن الله وعدكم وعد الحق فصدقكم ووعدتكم فأخلفتكم، وحذف ذلك لدلالة تلك الحالة على صدق الوعد، لأنهم كانوا يشاهدونها، وليس وراء العيان بيان، ولأنه ذكر في وعد الشيطان الإخلاف فدل على الصدق في وعد الله تعالى.

وقوله ﴿ وَوَعَدْتُمْ فَأَخْلَفْتُمْ ﴾ ووعدتكم أن لا جنة، ولا نار، ولا حشر ولا حساب.

وأما قوله ﴿ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ ﴾ أي: قدرة ومكينة وتسلط وقهر، فأقهركم على الكفر والمعاصي، وأجئكم إليها، إلا أن دعوتكم أي: إلا دعائي إياكم إلى الضلالة بوسوستي وتزييني. وقال النحويون: ليس الدعاء من جنس السلطان⁽¹⁾

قال القضاعي - رحمة الله -:

ولما كان الشيطان أعظم المستكبرين، خص بالإفراد بالجواب فقيل: (وقال) أول المتبوعين في الضلال (الشيطان) الذي هو رأس المضلين المستكبرين المقضي ببعده

(1) تفسير الفخر الرازي (19/ 92 - 93) وأنظر هذه التفاسير فلم تأتي بجديد المحرر الوجيز (3/ 333) والوسيط (3/ 28 - 29) والقرطبي (5/ 322 - 324) وابن كثير (4/ 497 - 495) وروح المعاني (13/ 568 - 570) الفاسمي (6/ 320 - ؟؟؟)

واحتراقه (لما قضى الأمر) بتعين قوم للجنة وقوم للنار، جواباً لقول الاتباع مذعناً حيث لا ينفع الإذعان، ومؤمناً حيث فات نفع الإيمان: (إن الله) أي الذي له صفات الكمال (وعدكم وعد الحق) بأن أرسل إليكم رسلاً وأنزل معهم براهين وكتباً أخبركم فيها "ربكم الواحد القهار، ودعاكم إليه بعد أن أخابتكم الشياطين، وبشر من أجاب، وحذر من أبي، بما هو قادر عليه أتم القدرة، فكل ما قاله طابقة الواقع - كما ترون - فصدقكم فيه ووفي لكم (ووعدتكم) أنا بما زينت لكم به المعاصي من الوسوس وعد الباطل (فأخلفتكم) فلم أقل شيئاً إلا كان زيغاً، فاتبعتموني مع كوني عدوكم، وتركتكم ربكم وهو ربكم ووليكم؛ فالآية في الاحتباك: ذكر (وعد الحق) أولاً دليلاً على حذف ضده ثانياً، و (أخلفتكم) ثانياً دليلاً على حذف (صدقكم) أولاً.

ولما بين غروره، بين سهولته اغترارهم زيادة في تنديمهم فقال: (وما كان) لي إليكم في ذلك من ذنب لأنه ما كان (لي عليكم) وأبلغ في النفي فقال: (من سلطان) أي تسلط كبير أو صغير بشيء من الأشياء (إلا أن) أي بأن (دعوتكم) بالوسوسة التي كانت سبباً لتقوية دواعيكم إلى الشر (فاستجبتم) أي أوجدتم الإجابة إيجاد من هو طالب لها، راغب فيها (لي) محكمين الشهوات، معرضين عن مناهيج العقول ودعاء النصحاء، ولو حكمتهم عقولكم لتبتم الهداة لما في سبيلهم من النور الداعي إليها وما في سبيل غيرهم من الظلام الساد لها، والمهالك الزاجرة عنها دنيا وأخرى، وساقه على صورة الاستثناء - وإن لم يكن دعاءه من السلطان في شيء - لأن السلطان أخص من البرهان إذ معناه برهان يتسلط به على إبطال مذهب الخصم إشارة إلى أنهم تبعوه ولا قدرة له على غير هذا الدعاء الذي لا سلطان فيه. وتركوا دعاء من أنزل إليهم من كل سلطان مبین، مع تهديدهم بما هو قادر عليه وضرهم ببعضه، وفاعل مثل ذلك لا لوم له على غير نفسه (فلا) أي: فإذا قد تقرر هذا تسبب عنه أني أقول لكم. لا (تلوموني ولوموا أنفسكم) لأنكم مؤاخذون بكسبكم، لأنه كانت لكم قدرة واختيار فأخترتم الشر على الخير، وعلم منه قطعاً أن كلا منا مشغول عن صاحبه بما جُزي به، فعلم أني (ما أنا بمصرخكم) أي بمغيثكم فيما يخصكم من العذاب، فأتاكم بما يزيل صراخكم

منه (وما أنتم بمصرخي) فيما يخصني منه لتقطع الأسباب، بما دُهي من العذاب، ثم علل ذلك بقوله: (إني كفرت) مستهيناً (بما أشركتمون) أي بإتخاذكم لي شريكاً مع الله. ولما كان إشراكهم له يستغرق الزمان، أتى بالجاء فقال: (من قبل) لأن ذلك ظلم عظيم، ثم علل هذه العلة بقوله: (إن الظالمين) أي العريقين في هذا الوصف (لهم عذاب أليم) مكتوب لكل منهم مقداره، لا يغني أحدٌ منهم عن الآخر شيئاً بل كان مقصوداً على ما قدر له، وحكاية هذه المحاورة لتنبية السامعين على النظر في العواقب والاستعداد لذلك اليوم قبل أن لا يكون إلا الندم وقرع السن وعض اليد⁽¹⁾

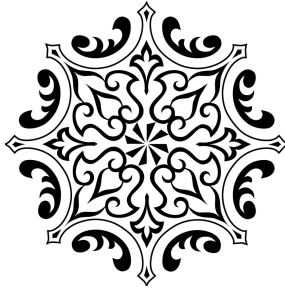
انتهي المجلد الأول ويليه باذن الله المجلد الثاني

تصنيف

أبو أنس المصري السلفي

حلمى بن محمد إسماعيل الرشيدى

حفظه الله وغفر له



(1) نظم الدرر (4/ 181 - 182) وأنظر زاد المسير (4/ 357) وأنظر لزاماً غرائب القرآن (6/ 562 - 564) فقيه كلاماً جيداً.